جامعة بنغازي
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي



التاريخ السياسي والحضاري لمملكة بني هود في سرقسطة

(431-503هـ/1039-1110م)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات إجازة التخصص العالي (الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

حميدة منصور حسن أبو شعراية

إشراف:

الأستاذ الدكتور/بشير رمضان التليسي

العام الدراسي: 2011-2012

الإهداء

إلى من حاكت سعادتي بخيوط مضيئة من نسيج قلبها

وإلى من كانت دعواتها لي نبراساً مضيئاً في طريقي

"أمي الحبيبة"

إلى من علمني أن أرتقي سلم الحياة بصبر وحكمـــة

وإلى من زودني بأعظم وسام وهو الثقـــــــــــة

" والدي العزيز"

إلى من أتمنى لهم الدرجات العلا ديناً ودُنيـــــــا

"إخوتي وأخواتي"

إلى كل إنسان غيور على مستقبل وطنه وعلى غـد الأمة العربية الإسلامية.

أهدي هذا الجهد المتواضع

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَتِلْكَ الأَيَامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنُكُمْ شُهَدَآءَ وَاللهُ لا يُحُبُّ الظَّالمِين (140)]

صدق الله العظيم

سورة آل عمران، الآية رقم (140)

شكر وتقدير

يقول الحق تبارك وتعالى: [وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ] W (الآية 282 من سورة البقرة).

يحتم علي واجب الشكر والتقدير أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور بشير رمضان التليسي لتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة، وإسداء النصح والإرشاد طيلة مراحل إعدادها، فشكراً له على ملاحظاته القيمة وانتقاداته البناءة، وإنسانيته النبيلة، والتي سيظل صداها ذكرى طيبة في نفسي لن أنساها مادامت الأيام، داعية الله تعالى له بدوام الصحة وطول العمر.

كذلك أسجل خالص شكري وتقديري إلى أساتذتي الأفاضل بقسم التاريخ الذين حاضروني خلال مسيرتي الدراسية السابقة بمرحلتيها الدنيا والعليا واخص بذكر الدكتور عبد الله إبراهيم والدكتور علي الشطشاط.

والشكر والتقدير موصول إلى الأستاذين، الكريمين عضوي لجنة التقييم والمناقشة الأستاذ الدكتور: علي الشطشاط، والأستاذ الدكتور: مفتاح الرباصي على ما أبدوه من ملاحظات قيمة كان لها ابلغ الأثر في إثراء هذه الرسالة.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير أيضاً إلى الدكتور عبد السلام شلوف على كل ما قدمه من مساعدة وعون، وإلى الدكتور حبيب عز الدين الذي لم يبخل علي بكتبه وإرشاداته فجزاه الله عني خير الجزاء.

ويسرني أن أتقدم كذلك بخالص شكري وعرفاني إلى كل من قدم لي يد العون، وأخص منهم كل من الدكتور فيصل الحداد الذي قام بمراجعة النصوص الشعرية لهذه الرسالة، كما اشكر الدكتور فؤاد بن طاهر مدير مكتب الدراسات

العليا، بكلية الآداب والدكتور عبد الله إبراهيم أمين قسم الدراسات العليا التاريخية على ما قدماه من مساعدة في سبيل إتمام مناقشة هذه الرسالة، كما اشكر كل من الدكتور طيب أحمادي والدكتور عطية مخزوم، والأستاذ عبد الله الزليتني، والأستاذة نجاة العبار، والأستاذة آمال الجبو، والأستاذة آمنة الرطب، والأستاذ رمضان الأحمر.

كذلك أوجه شكري وتقديري إلى العاملين بالمكتبة المركزية بجامعة بنغازي، والعاملين بمكتبة كلية الآداب بجامعة بنغازي، والعاملين بمكتبة كلية الآداب والعلوم بجامعة بنغازي / فرع سلوق، والعاملين بدار الكتب الوطنية ببنغازي، وأخص منهم بالذكر الأستاذ/ المرحوم علي الوحيشي، والأستاذ/ علي اخليف، والأخت / حنان نجم، كما اشكر الأستاذ / أحمد شقلوف منسق كليات الفروع بجامعة بنغازي / فرع سلوق على ما قدمه من عون، وأشكر كذلك الأخوة العاملين بالمركز الثقافي بمدينة سلوق على كل ما قدموه من مساعدة وعون، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وجعله الله في ميزان حسانتهم.

ولا يفوتني إلا أن أذكر صديقات درب هذه الرحلة وأخص بالذكر أختي وصديقتي بسمة محمد، وعزيزة عوض، وابتسام محارب، وحنان الفرجاني، داعية لهن الله تعالى بدوام الصحة والتوفيق.

كذلك أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع أفراد أسرتي الذين شجعوني وتحملوا معي مشاق هذه الرحلة، وأقدم أيضاً خالص شكري واعتزازي إلى وطني الحبيب الذي منحني فرصة الدراسة على نفقته.

الباحثة

الفهـرس

الصفحة

الفصل الخامس

الحياة الفكرية لمملكة سرقسطة في ظل بني هود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تمسك بشرعه وهديه إلى يوم الدين. وبعد،،،

مع بداية الربع الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي سقطت الخلافة الأموية بالأندلس واستحالت الأندلس، بعد أن كانت كتلة موحدة إلى أشلاء ممزقة ودويلات صغيرة متنازعة ودخلت البلاد في عصر جديد، اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر ملوك الطوائف أو عصر الفرق، كما يسميه ابن الكردبوس، وهو اسم صادق في مسماه يدل على ما كانت تعانيه البلاد من ضعف وانحلال، لاسيما بعد أن استنجد ملوك الطوائف في حروبهم ضد بعضهم البعض بالنصارى والأسبان.

قد رافق تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الأندلس ضعف وانقسام، استفاد منه النصارى الأسبان، فأخذوا يقتنصون المدن الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، حيث لم تكن تربط بين هذه الدويلات أية رابطة، حسب رأي حكامها ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة، بل على العكس من ذلك فقد غلب فيما بينها التنافس والأطماع الشخصية، وفقدت الأندلس بذلك مواردها وقواعدها القديمة تباعاً، وأصبح الخطر النصراني يحدق بها من كل جانب حتى أصبحت الأندلس بذلك حلماً ضائعاً وفردوساً مفقوداً.

ومن بين الممالك التي تحقق لها الظهور في الأندلس في ذلك العصر مملكة "بني هود في سرقسطة"، أو في الثغر الأعلى حيث كانت سرقسطة أعظم ممالك الطوائف، ليس فقط بضخامة رقعتها بل كذلك بموقعها الاستراتيجي الخطر بين الممالك النصرانية الثلاثة، قطالونية، ونافار، وقشتالة، والذي حتم عليها أن تكون هدفاً مستمراً لأطماع ملوك النصارى، يبتزون منها الأموال طوراً باسم الجزية، وطوراً آخر يقتنصون بعض أطرافها.

وبالرغم من أن ظروف قيام هذه المملكة ارتبط بعصر ملوك الطوائف الذي اعتبره المؤرخون بأنه يمثل انحداراً سياسياً وعسكرياً في تاريخ الأندلس الإسلامية، حيث تنازعت فيه الدويلات القائمة أسباب الفرقة والخلاف وتحملت البلاد ما تحملت من نتائج ذلك الضعف والانقسام وعلى الرغم من حقيقة هذه الصورة من الناحية السياسية، فإنها في الوقت نفسه تخفي الكثير من الجوانب الحضارية المشرقة التي شهدتها بلاد الأندلس إبان ذلك العصر.

كانت مملكة سرقسطة من أهم الممالك الأندلسية، التي حصلت على هويتها الاستقلالية في ذلك العصر، وذلك بعد مقتل أميرها المنذر بن يحيى التجيبي سنة (431هـ/1039م) على يد رجل من أبناء عمومته يدعى "عبدالله بن حكيم" عند ذلك استنجد أهالي مدينة سرقسطة بحاكم مدينة لاردة، وهو أبو أيوب سليمان بن هود الجذامي، والذي لعب دوراً كبيراً في الاستيلاء على مقاليد الحكم في سرقسطة، وتوطيد دعائم مملكته الفتية التي لعبت دوراً بارزاً وفعالاً في تاريخ أسبانيا الإسلامي من الناحيتين السياسية والحضارية، ونتيجة لتلك الأحداث التاريخية التي شهدتها هذه المملكة، فقد آثرت أن يكون موضوع هذه الدراسة "**التاريخ السياسي والحضاري لمملكة بني هود في سرقسطة**" (**431-503هـ/1039-1110م**).

وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع بصفة خاصة في في تسليط الضوء على الدور السياسي الذي أدته مملكة سرقسطة مع ممالك الطوائف المجاورة باعتبارها من اكبر واهم تلك الممالك الأخرى، نتيجة للدور الجهادي الذي لعبه أمراءها بالتعاون مع أمراء دولة المرابطين في التصدي للعدوان المسيحي الصليبي، الذي شهدته بلاد الأندلس خاصة بعد انتصار معركة الزلاقة المشرف عام (479هـ /1086م)، والتي انهزمت فيها جيوش الفونسو السادس وأبعدت خطره عن البلاد الأندلسية كلها إلى حين.

ومن الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

1- اهتمامي الشخصي بدراسة تاريخ المسلمين السياسي والحضاري في الأندلس، والذي يعتبر جزءاً مهماً من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

2- أن أغلب ما كتب عن فترة حكم بني هود لسرقسطة في عصر الطوائف ركز حسب اطلاعي على الجانب السياسي وأهمل الجوانب الحضارية الأخرى وخاصة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والمعمارية والفكرية منها الأمر الذي حفزني لطرق ودراسة هذا الموضوع.

3- إبراز ما وصلت إليه مملكة سرقسطة من تفوق علمي وفكري إبان فترة حكم بني هود لها، والمساهمة في إضافة الجديد حول تاريخ هذه المملكة.

4- تسليط الضوء على الدور الجهادي المشرف الذي لعبه ملوك بني هود وذلك بالتعاون مع أمراء دولة المرابطين في التصدي للعدوان المسيحي الصليبي الذي شهدته بلاد الأندلس في نهاية عصر الطوائف.

تهدف هذه الدراسة أيضاً إلى:

1- توضيح جانب مهم من جوانب التاريخ السياسي والحضاري لمملكة سرقسطة في عهد بني هود.

2- إبراز دورهم السياسي المتمثل في علاقتهم مع ملوك الطوائف والنصارى الأسبان.

3- كذلك إبراز دور مملكتهم الحضاري في شتى نواحي المظاهر الحضارية، خاصة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية والمعمارية والفكرية منها ، ومدى تأثيرها على مستقبل المملكة وعلى بلاد الأندلس.

أما عن المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي السردي والتحليلي المقارن، الذي يعتمد على جمع المعلومات من مصادرها وربطها، ومن ثم تحليلها ومقارنتها لإبراز الدور الكبير الذي لعبته هذه المملكة في تاريخ بلاد الأندلس.

هذا وقد واجهتني العديد من الصعوبات أثناء إعدادي لهذا الموضوع، منها على سبيل المثال ما يلي:

1- قلة المعلومات التاريخية عن تاريخ أسرة بني هود خاصة في الفترة التي سبقت سقوط الخلافة الأموية في الأندلس.

2- تبعثر مادة الموضوع في كتب التراجم والأدب، مما جعلني أسعى إلى التعمق في

التنقيب عن هذه المعلومات في هذه المصادر ولم شتاتها بما توفر في بطونها من شذرات مقتضبة، كما اعتمدت على كتب الحضارة الإسلامية في تغطية جوانب كثيرة خاصة في الجانب الحضاري لهذه الدراسة.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، فهي مازالت قليلة، مقارنة بالدراسات الأخرى التي حظيت بها حواضر الأندلس الأخرى كقرطبة وإشبيلية وغرناطة وبطليوس.

ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع ما يلي:

1- رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان دولة بني هود في سرقسطة "التاريخ السياسي" أعدها عبدالنبي علي داوود، بكلية الآداب، (جامعة الإسكندرية، 1992م)، وهي تقع في خمسة فصول، وعلى أهميتها، فانها تناولت تاريخ مدينة سرقسطة من ناحية سياسية صرفة، كذلك يغلب عليها بعض القصور في كونها لم تسلط الضوء الكافي عن الدور الذي لعبه بني هود مع أمراء دولة المرابطين المتمثل في تعاونهم الجهادي لصد هجمات الفونسو السادس عند حربه للمسلمين في الأندلس، خاصة قبيل معركة الزلالقة ومع ذلك فقد استفدت منها في أثناء كتابتي للفصل الأول من هذه الدراسة.

2- كتاب "دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"، لصاحبه د. محمد عبد الله عنان، وقد نشرت هذه الدراسة بالقاهرة سنة 1960م، وتُعد هذه الدراسة دراسة مهمة وغنية بالنقد والتحليل، فقد تناول فيها المؤلف العوامل السياسية التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية، وعوامل قيام مملكة بني هود حتى دخولها في حوزة المرابطين عام (503هـ/1110م)، وعلى الرغم من أهمية هذا الدراسة خاصة في الجانب السياسي إلا أنها لم تتطرق لدراسة المظاهر الحضارية، والجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والمعمارية في سرقسطة في ظل حكم بني هود لها، إلا أسطراً وصفحات قليلة، لذلك حاولت بذل الجهد في استدراك ما فاته وبذل الجهد والبحث للأحاطة بكل جوانب هذا الموضوع وإبراز ما وصلت إليه هذه المملكة من تقدم حضاري خاصة وأنها تعد دولة ثغرية مرابطة وذات أهمية بالغة للوجود العربي الإسلامي في الأندلس.

هذا وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على مجموعة كبيرة ومتنوعة من المصادر والمراجع، والدوريات التي كان لها دور كبير في تغطية جوانب عديدة من هذا البحث منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: كتب التاريخ العام: ومن أهمها:

1- كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، لابن بسام الشنتريني (م:543هـ/1147م). ويُعد هذا الكتاب من المصادر التاريخية الأدبية القيمة التي تناولت تاريخ الأندلس، خاصة وأنه اعتمد على ابن حيان في سرده لبعض الأحداث، وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، كل قسم يعالج إقليماً من أقاليم الأندلس، ويحوي هذا الكتاب الكثير من تراث القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وقد اعتمدت على القسم الثالث بشكل خاص في دراستي حيث حوى هذا القسم على الكثير من المعلومات القيمة التي تناولت أحوال سرقسطة السياسية، متناولاً تولية سليمان بن هود لحكم سرقسطة بعد مقتل المنذر بن يحيى التجيبي آخر أمراء بني تجيب في سرقسطة، كما تناول سقوط مدينة بربشتر في يد النصارى سنة (456هـ/1064م) بشكل مسهب ودقيق، وقد اعتمدت عليه في الفصل الثاني والثالث والرابع من هذه الدراسة.

2- كتاب "الحلة السيراء" لصاحبة ابن الآبار (م: 658هـ/1260م) وهو من الكتب الأدبية ينقسم إلى جزئيين، ويتناول الكتاب "تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي في منتصف القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري"، ويشمل على تفصيلات تاريخية وجغرافية وإشارات أقتصادية مهمة عن كل قرن، بما في ذلك ذكر مدينة سرقسطة وملوكها من بني هود خاصة الجزء الثاني من الكتاب. وقد اعتمدت عليه في كتابة الفصلين الأول والثاني من هذه الدراسة.

3- كتاب "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد المغربي (م: 685هـ/1286م) وبالرغم من ضياع جزء كبير من هذا الكتاب إلا أنه تناول في الجزء الثاني منه ذكر تراجم لبعض العلماء والشعراء الذين عاصروا بني هود وشاركوا في المجتمع السرقسطي، وقد استفدت منه في كتابة الفصل الثاني والخامس من هذه الدراسة.

4- ومن الكتب التي اعتمدت عليها أيضاً كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين أبن الخطيب" لمؤلفه المقرئ التلمساني (م:1041هـ/1631م) ويُعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية وأدبية قيمة، شاملة لكل أحداث الأندلس وقد اعتمدت على هذا الكتاب في أغلب فصول هذه الرسالة.

5- ومن الكتب القيمة أيضاً كتاب "أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" لصاحبه لسان الدين بن الخطيب (م: 776هـ/1385م) وهو من المؤرخين الأفذاذ في الأندلس، فقد تناول في كتابه أحداث سقوط الخلافة الأموية بالأندلس وقيام عصر ملوك الطوائف، حيث تناول ملوك الطوائف كلاً على حدا، وتناول أحداث قيام مملكة بني هود بشيء من التفصيل، وقد اعتمدت على هذا الكتاب في الفصل الأول والثاني من هذه الدراسة.

6- ومن الكتب المهمة أيضاً كتاب "البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي (كان حياً عام 712هـ/الثالث عشر الميلادي) ويقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء، وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى عصر المؤلف، وقد اعتمدت على الجزء الثاني والثالث الذي تناول أحداثاً تفصيلية لقيام مملكة بني هود وعلاقتهم مع النصارى الأسبان، والجزء الرابع الذي قام بتحقيقه د.إحسان عباس وتناول فيه تاريخ المرابطين في الأندلس، وتحدث في هذا الجزء عن علاقة أمراء بني هود مع أمراء دولة المرابطين، وقد اعتمدت على هذا الكتاب في كتابة الفصلين الأول والثاني من هذه الدراسة.

ثانياً: كتب التراجم والسير: ويأتي في مقدمة كتب التراجم والسير ما يلي:

1- كتاب "الصلة" لابن بشكوال (م: 578هـ/1183م) ويعد هذا الكتاب تكملة لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، حيث تناول تراجم لعلماء وفقهاء الأندلس على حسب التسلسل الأبجدي، وقد استفدت من هذا المصدر القيم في كتابة الفصل الخامس بشكل خاص.

2- واعتمدت أيضاً على كتاب المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي

لمؤلفه ابن الآبار (م: 658هـ/1259م)، وقد تناول في كتابه تراجم لأشهر العلماء والفقهاء وأهل الحديث من بلاد الأندلس، بما في ذلك علماء وفقهاء مملكة سرقسطة، وقد اعتمدت عليه في كتابة الفصل الخامس والأخير على وجه الخصوص.

ثالثاً: **كتب الأنساب**: وهي من المصادر المهمة التي تخدم هذا البحث، ومن أهمها:

1- كتاب "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم (م: 456هـ/1064م) لما له من أهمية في تتبع الأسر العربية والمغاربية والأسبانية التي عاشت في سرقسطة، وقد كانت استفادتي منه في الفصل الأول والفصل الرابع من هذه الدراسة.

رابعاً: **كتب الجغرافيا**: ويأتي في مقدمتها:

1- ما قدمه العذري (م: 533هـ/1138م) في كتابه "نصوص عن الأندلس" وقد تناول فيه هذا الجغرافي معلومات قيمة سواء من الناحية الجغرافية والأقتصادية لكل مدن الأندلس كل على حدا، كما أنه أعطى تعريفاً دقيقاً لمدينة سرقسطة وأسوارها وأنهارها مع إشارته لمعلومات تاريخية وأقتصادية لها، وقد استفدت من هذا المصدر الجغرافي القيم في كتابة الفصلين الأول والثالث بشكل خاص.

2- ومن الكتب الجغرافية أيضاً كتاب "نزهة المشتاق في إختراق الآفاق" لمؤلفه الشريف الإدريسي (م: 548هـ/1157م) وقد استفدت من المجلد الثاني من هذا الكتاب الذي تناول فيه مؤلفه التاريخ الجغرافي لشبه الجزيرة الأندلسية، بما في ذلك مدينة سرقسطة، حيث أعطى وصفاً دقيقاً لموقعها وأسوارها ومواردها الأقتصادية، وقد استفدت منه في كتابة الفصلين الأول والثالث على وجه الخصوص.

3- واستندت أيضاً على كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" لمؤلفه الحميري (م:866هـ/1461م)، وهو معجم مرتب على حروف الهجاء، وقد استفدت منه في التعرف على كثير من المدن الأندلسية وتحديد موقعها، بما في ذلك مدينة سرقسطة، وأعمالها ومواردها الاقتصادية، وكانت استفادتي منه عظيمة خاصة في كتابي الفصل الأول والثاني والثالث من هذا الرسالة.

خامساً: المراجع الحديثة: وأهم هذه المراجع ما يلي:

1- كتاب "الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين" لمؤلفه د. حسين مؤنس، وهو يتناول الأحداث السياسية التي شهدتها مملكة سرقسطة منذ قيامها، متناولاً معلومات دقيقة عن علاقتهم مع النصارى الأسبان حتى دخول المرابطين للأندلس ونهاية عصر الطوائف، وقد استفدت منه في كتابة الفصلين الثاني والثالث من هذه الرسالة.

2- كذلك كتاب "الدور الجهادي للمرابطين الجهادي في الأندلس (468-530هـ/1086-1147م)، لصاحبه عبدالواحد شعيب منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس، 1990م، وهو يتناول الدور الجهادي لدولة المرابطين وعلاقتهم مع دول الطوائف المجاورة، بما في ذلك علاقتهم مع بني هود في سرقسطة، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

3- ومن الكتب الحديثة:أيضاً كتاب "تاريخ الأندلس الأقتصادي"، لصاحبة كمال السيد ابو مصطفي وهو من الكتب القيمة التي تناولت تاريخ الأندلس من الناحية الأقتصادية، إذ حوى معلومات مهمة عن الظروف الاقتصادية للمجتمع الأندلسي وعوامل قيام الزراعة والصناعة والتجارة، كما تناول نظام الحسبة والمكاييل والموازين، وكانت استفادتي منه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

سادساً: كتب المستشرقين الأجانب: حيث أنه يجب ان ننوه بجهودهم ودورهم في كتابة تاريخ الأندلس، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- كتاب دوزي رينهارت "المسلمون في الأندلس"، وكتاب "تاريخ الفكر الأندلسي" للمستشرق آنخل بالنثيا، وهو موسوعة فكرية قيمة، تناولت شخصيات علمية وأدبية لمختلف مدن الأندلس بما فيها سرقسطة، وقد كانت استفادتي من هذا الكتاب في الفصل الخامس والأخير من هذه الدراسة، بالإضافة إلى عدد آخر من المصادر والكتب والدوريات التي سيأتي ذكرها في ثبت المصادر والمراجع بإذن الله تعالى.

هذا وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة سرقسطة، متناولة موقعها الجغرافي وتسميتها

والفتح الإسلامي لها، ودورها السياسي في مراحل الحكم الأموي للأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ/1030م) وقيام عصر الطوائف. كما تناولت فيه أيضاً أصل بني هود وقيام مملكتهم على يد سليمان بن هود ودوره في توطيد حكم مملكته الفتيه، وعلاقته مع جيرانه من ملوك الطوائف والنصارى الأسبان حتى وفاته سنة (438هـ/1046م).

أما الفصل الثاني فيتناول الأحداث السياسية التي شهدتها مملكة سرقسطة منذ تولية أحمد المقتدر بن هود مقاليد الحكم سنة (438هـ/1046م) وغزو النورمان لمدينة بربشتر في عهده سنة (456هـ/1064م) متناولة استعانته بخدمات السيد القمبيطور، مع ذكر يوسف المؤتمن وصراعه مع أخيه المنذر حول عرش المملكة،وذكرت فيه أيضاً أطماع يوسف المؤتمن في حكم مملكة بلنسية وضمها إلى حكمه بعد انتصاره على أخيه المنذر، حتى سقوط مملكة طليطلة في سنة (478هـ/1085م) والذي صادف تاريخ وفاته، كما تناولت في هذا الفصل أيضاً دخول المرابطين بلاد الأندلس، عقب انتصار معركة الزلالقة سنة (479هـ/1086م) وعلاقاتهم مع أمراء بني هود، وتوضيح الأسباب التي أدت إلى ضم مملكة سرقسطة لنفوذهم سنة (503هـ/1110م).

أما الفصل الثالث، فتطرقت فيه إلى دراسة الحياة الأقتصادية لمملكة سرقسطة حيث حاولت من خلاله التعريف بأهم المحاصيل الزراعية للمملكة، وإبراز صناعتها والتجارة التي تقوم عليها، وأهم الموارد المالية لها، كما ألحقت في هذا الفصل دراسة لأهم التنظيمات الإدارية التي شهدتها هذه المملكة.

واهتم الفصل الرابع بدراسة الحياة الاجتماعية لمملكة سرقسطة، وذلك بدراسة التركيبة الاجتماعية والعادات والتقاليد للمجتمع السرقسطي، مع التطرق إلى أهم وسائل التسلية، واختتمت هذا الفصل بدراسة للمظاهر العمرآنية التي شهدتها المملكة في ذلك الوقت.

وأما الفصل الخامس والأخير فيختص بدراسة الحياة الفكرية لمملكة سرقسطة، وفيه قدمت نبذة تاريخية عن نماذج من العلوم النقلية والعقلية لمملكة بني هود، وذكرت أهم من نبغ فيها من العلماء والأدباء والشعراء وذكر أهم مؤلفاتهم، ومساهمتهم في النهوض بالحركة العلمية والأدبية لهذه المملكة.

وختاماً اسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذا الجهد المتواضع بالصورة التي أنعقد عليها طموحي في أثناء بداية كتابتي لهذه الرسالة، فإن أصبت فهذا من فضل الله تعالى علي، وإن أخطأت فهو من نفسي ومن الشيطان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحثة

الفصل الأول
قيام مملكة بني هود في سرقسطة
(431-503هـ/1039-1110م)

1- الموقع وأصل التسمية.
2- الدور السياسي لسرقسطة قبيل قيام مملكة بني هود.
3- أصل بني هود وظهورهم في بلاد الأندلس.
4- سليمان بن هود، وتأسيس الملكية في سرقسطة(431-438هـ/1039-1046م).
5- سياسة سليمان بن هود الداخلية والخارجية.
6- وفاته وتقسيم المملكة بين أبنائه (438هـ/1046م).

أولاً: نبذة جغرافية وسياسية:

1- الموقع وأصل التسمية:

تعد مدينة سرقسطة (Zaragoza) قاعدة من قواعد الأندلس المهمة(1)، وهي تقع شرق مدينة قرطبة (Corduba) على الضفة اليمنى من نهر الآيبرو (Ebro)(2) وهو نهر كبير، يأتي بعضه من بلاد الروم، وبعضه الآخر من مدينة قلهرة(*)، فتتجمع مياه هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة(**)، ثم تصب في مدينة سرقسطة(3).

ولقد امتدح الجغرافيون المسلمون الموقع الجغرافي المتميز لمدينة سرقسطة، فالعذري يذكر أنها مدينة واسعة الخطة، بنيت على خمسة أنهار، منها النهر الأعظم، نهرة آبرة وهو لاصق بسور المدينة، ومنها نهر جلق الذي يقع إلى الشرق منها، ويسقى جناتها المعروفة بالربض، ونهر شالون، الذي تقع عليه مدينة سالم(***)، وقلعة أيوب(****)، والذي يسقي مدينة روطة(*****)، ونهر روية المعروف ببطلش، وهو

(1) أبو محمد عبدالمنعم الحميري: صفة جزيرة الأندلس "منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة، 1937)، ص98.

(2) محمد بن أيوب بن غالب: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية ، (القاهرة، 1955م)، ص278؛ السيد عبدالعزيز السالم: دائرة معارف الشعب، مطابع الشعب، "مادة سرقسطة"، القاهرة، 1959م، ص54.

(*) تقع مدينة قلهرة في منتصف الطريق بينها وبين مدينة تطيلة في شمال غرب سرقسطة = أبو مروان عبدالملك التوزي ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد، 1971)، هامش المحقق رقم (6)، ص74

(**) تقع مدينة تطيلة بالقرب من مدينة وشقة شرق مدينة سرقسطة وتشتهر بكثرة زروعها وطيب ثمارها = الحميري: المصدر السابق، ص64.

(3) الشريف أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة، 2002م)، 554/2.

(***) تقع مدينة سالم شرق مدينة وادي الحجارة على بعد خمسون ميلاً وهي مدينة كبيرة القطر وتشتهر بكثرة البساتين والجنات = الإدريسي، المصدر السابق، 553/2.

(****) تقع قلعة أيوب في ولاية سرقسطة واسمها القديم "ابلبة" ثم أعاد بناؤها والي الأندلس التابعي العربي "أيوب بن حبيب اللخمي، سنة(97هـ / 716م) فسميت باسمه = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (8)، ص111.

(*****) روطة: تقع بالقرب من نهر شالون وهو أحد فروع نهر ابره بالقرب من مدينة وشقة = أبو عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، (القاهرة، 1985م)، هامش المحقق رقم (2) ص246.

يصب من الغرب إلى شرق المدينة[1].

أما الحميري، فقد وصفها بأنها مدينة كبيرة الخطة ممتدة الأطناب، آهلة حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنات والبساتين[2].

أما عن أصل التسمية، فتتفق أغلب النصوص التاريخية، بأن اسمها مشتق من اسم قيصر[3]، وهو الذي بناها، حيث أن سرقسطة هي تسمية عربية للاسم الروماني قيصر آجسطسا (Caesar Augusts)[4] ملك روما، والذي تؤرخ مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح عليه السلام[5].

ولقد أقيمت سرقسطة، على أطلال المدينة الأيبيرية القديمة، والتي تُعرف في عهد الأيبيريين باسم سلدوبا (Saldouba)، وتفسير اسمها قصر السيد، وذلك لأنه اختار ذلك المكان بالأندلس[6]، وقد عربه العرب بعد ذلك إلى سرقسطة.

وقد سميت سرقسطة، باسم المدينة البيضاء، وذلك لكثرة جصها وجيارها[7]، ومن خواصها أنها لا تدخلها حية أبداً وإذا جلبت إليها ماتت، وقد ذكر أن سبب ذلك هو أن أكثر مبانيها من الرخام الذي هو صنف من الملح الذراني، والذي لا تقوى الحناش الصعود عليه[8].

وقد ذكر أيضاً، أنها بنيت مثل الصليب، ولها أربعة أبواب، باب إذا طلعت

---

(1) أحمد بن عمر بن أنس العذري ابن الدلائي: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد، 1965م)، ص22.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص96.

(3) أحمد بن محمد التلمساني المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: تحقيق إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، 150/1.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص96.

(5) المقرئ: نفح الطيب، 150/1.

(6) العذري: المصدر السابق، ص21؛ السيد عبدالعزيز سالم: دائرة معارف الشعب، "مادة سرقسطة"، ص54.

(7) الإدريسي: المصدر السابق، 554/2؛ العذري: المصدر السابق، ص97.

(8)الإدريسي: المصدر نفسه، 454/2؛ الحميري: المصدر السابق، ص96.

الشمس من أقصى المطالع في القيظ(*)، قابلته عند بزوغها، وهو الباب القبلي، وإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي، ولسرقسطة جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة(1)، وقد عرفت كذلك بأم الثغر الأعلى(2)، ذلك لأنها كانت قاعدة الحدود(**) بين العرب والفرنجة، وهو الذي يمثل المنطقة الشمالية للأندلس حتى جبال البرتات أو البرنية، وعرفت كذلك باسم الثغر الأقصى والذي يُعد إقليماً منيعاً ومهماً، والذي يمثل المركز الدفاعي المتقدم، في مواجهة أسبانيا المسيحية، خاصة ضد مملكتي نبره(***) وآرغون(3)،ويشمل الثغر الأعلى في الجغرافية الأندلسية، كل من مدينة سرقسطة وأعمالها، وتطيلة، ووشقة(****)،وبربشتر(*****)، ولاردة(******)، وطركونة(*******)، وطرطوشة (********)ففي هذه المنطقة الشاسعة التي تكثر فيها

(*) القيظ: هو شدة الحر في الصيف = أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب ، دار الفكر ودار صادر، ط3، (بيروت، 1994)، 227/2.

(1) العذري: المصدر السابق، ص2؛ الحميري: المصدر السابق، ص96.

(2) المقرئ: نفح الطيب، 166/1.

(**) ينظر شكل رقم (1)، ص15.

(***) نبره: قامت هذه المملكة في بلاد البشكنش الجبلية غربي جبال البرنس، وكانت تخضع منذ بدايتها أي منذ اواخر القرن الثامن الميلادي لبعض السادة الاقطاعيين، الذين يتبعون مملكة الفرنج= سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس في العصور الإسلامية، موسسة شباب الجامعة، (القاهرة، 1989م)، 211/2.

(3) أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن السماك المالقي الغرناطي: الزاهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2004م، هامش المحقق رقم (8) ص128؛ كمال السيد أبو مصطفى: بحوث ودراسات في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 1997م)، هامش المحقق رقم (1) ص98.

(****) وشقة: من مدن الثغر الأعلى، وتقع على بعد "73" كم شمال شرقي سرقسطة = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (2) ص74.

(*****) بربشتر: مدينة حصينة تقع على بعد "60" كم شمال سرقسطة على إحدى فروع نهر الأبرو بين مدينتي لاردة وسرقسطة = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (6) ص 72.

(******) لاردة: مدينة قديمة مرتفعة حصينة على وادي شقر شرقي سرقسطة وهي القاعدة الثانية في منطقة الثغر الأعلى = الحميري: المصدر السابق، ص268.

(*******) طركونة: قاعدة من قواعد الأندلس بينها وبين لاردة خمسون ميلاً تقع على ساحل البحر المتوسط = الحميري: المصدر السابق، ص 126.

(********) طرطوشة: تقع في شمال شرق الأندلس بقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو على بعد "84" كم، جنوبي مدينة طركونة التي تعتبر طرطوشة من أعمالها = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص 100.

شكل رقم (1)[*]

دول الطوائف والممالك الاسبانية بعد انهيار الخلافة الأموية أوائـــل القـــرن الخـــامس الهجري/ الحادي عشر ميلاد.

(*) نقلاً عن: محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الاندلس، دار النفائس، (بيروت، 2005م)، ص 478.

الوديان اليانعة، والمواقع الإستراتيجية التي يخترقها، نهر الآبرو، كانت تقــوم مملكــة سرقسطة، حاضرة بني هود(1).

وقد كانت سرقسطة في عهد القوط(*) الغربيين من أهم المدن الأسبانية، حيــث كان أسقفها سان بروليوا (San Baroloee) أحد الشخصيات البارزة في المدينة، وقــد قام بتأسيس العديد من الأديرة(2).

ولقد ظلت سرقسطة، تتمتع بهذه المكانة السامية، حتى عبرت جيوش المســلمين الفاتحة شبه جزيرة الأندلس، وقد كان فتحها بعد فتح طليطلة بقليل، ففي بداية ربيع سنة (94هــ/714م)، تقدمت جيوش المسلمين بقيادة موسى بن نصير نحو مدينة سرقسطة ومدائنها(3)، حيث تم فتحها على يده.

وهكذا فتحت المدينة البيضاء سرقسطة أبوابها للفاتحين سنة (94هـــ/714م)، وأسرع حنش بن عبد الله الصنعاني(**)، التابعي الجليل، بتأسيس مســجد سرقســطة، وتركيز قبلته، وقد ظل هذا المسجد لقرون عديدة عنواناً ونبراساً شاهداً علــى عظمــة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس(4).

---

(1) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، الهيئة المصرية العامــة للكتــاب، المكتبة العصرية، (القاهرة، 2003م)، ص265.

(*) القوط الغربيون: هم أعظم فروع قبائل الجرمان الشرقية التي اجتاحت الدولة الرومانية الغربية بعد أن ســادها الضعف في أواخر القرن الرابع الميلادي = إبراهيم طرخان: دولة القــوط الغربيــون ، (القــاهرة، 1959)، ص21.

(2) السيد عبدالعزيز سالم: دائرة معارف الشعب، "مادة سرقسطة"، ص54.

(3) مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراؤها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق، محمد زيــنهم عزب، دار الفرجاني ، القاهرة، 1994م؛ طه عبد الله ذنون: موسى بن نصير، دار المدار الإســلامي (بيروت، 2004م)، ص112، 113.

(**) حنش بن عبد الله الصنعاني يكنى أبا رشدين، وهو من التابعين، كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بالكوفة وقدم إلى مصر بعد مقتل علي رحمة الله، ثم رافق موسى بن النصير لفتح الأندلس = أحمد بن يحي بن عميرة الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتب العصرية، (بيروت، 1988م)، ص 255.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص97؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1988م)، ص101؛ محمود خطاب: قادة فتح المغرب العربــي، (بيــروت، 1966م)، ص266.

ثانياً: الدور السياسي لسرقسطة قبيل قيام مملكة بني هود:

كانت سرقسطة تُعرف بولاية الثغر الأعلى قبل قيام الفتنـة وسـقوط الخلافـة الأموية بالأندلس سنة (422هـ/1030م)، وعاصمتها مدينة سرقسطة التي بقيت عاصمة للمملكة في عصر ملوك الطوائف[1].

وتتميز فضلاً عن ذلك بموقعها الخطر الدقيق، المجـاور للممالـك الأسـبانية الثلاث، فهو بين قطالونية[*] من الشرق، ونبره أو نافار من الشمال الغربي وقشتالة[**] من الجنوب والغرب، ولقد حتم عليها موقعها المنعزل، النائي في شمال شرق الجزيرة إلى مضاعفة الجهود للدفاع عن وجودها ضد مختلف الأطماع المحدقة بها مـن كـل جانب[2].

ولقد تداول حكم سرقسطة، أسرتان عربيتان، هما الأسرة التجيبية[***]، والأسرة الهودية، ولقد ظهر دور أسرة بني تجيب في سرقسطة في سنة (248هـ/862م) وذلك

---

(1) تقي الدين عارف الدوري: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، منشورات جامعة ناصر، (طـرابلس، 1997م)، ص126.

(*) قطالونية: تقع هذه المملكة بين جبال البرنيه من الشمال وبلاد ارغون من الغرب وبلنسيه من الجنوب والبحـر المتوسط من الشرق واغلب ارضيها جبلية، وقد اختلف المؤرخون في سبب تسميتها، حيث أشار بعضهم الـى انه مشتق من اسم الكاستلاني، واشار البعض الأخر انه مشتق من اسم قبيلة قوطي آلأني= شـكيب ارسـلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، 199/2، 2002.

(**) قشتالة: هي عمل من الأعمال، قاعدة قشتالة سمى العمل بها، وقالوا: ما خلف الجبل المسمى بالشارات في جهة الجنوب يسمى اسبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة= الحميري: المصدر السابق، ص161.

(2) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم فـي الأنـدلس، دار الكتـاب الجديـد ، (بيروت، 2000م)، ص241؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص255-256.

(***) ينتمي بنو تجيب إلى عميرة وعبد الله ابنا المهاجر الذي دخل مع موسى بن نصير من مصر، وهم من قبيلة مذحج العربية التي تنتمي إلى بن عدي وأمهما تجيب بنت ثوبان. وديار تجيب بالأندلس، هي سرقسطة ودورقة، وقلعة أيوب = علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الفكر العربي، (القاهرة، 2009م)، ص433؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، 80/2.

عندما استعان بهم الأمير "محمد بن عبدالرحمن"(*) للحد من تمرد أسرة بني قسي(**). وفي ذلك الأمر يقول العذري: "أنه لما ثار بنو قسي على الإمام محمد بثغور سرقسطة، نوه بأولاد عبدالعزيز التجيبي، وبنى لهم قلعة أيوب، أدخل فيها عبد الرحمن بن عبد العزيز، وبني شميط ودورقة، وفرتش، ونصبهم لمحاربة بني قسي، وعقد لهم وعلى قومهم، وأجرى عليهم، من المعارف، لكل واحد عند كل غزاة مائة دينار[1].

ولقد نجحت أسرة بني تجيب في مقاومة أسرة بني قسي بشدة "فلم يزل عبدالرحمن فيها مغاوراً لبني قسي، ومحارباً لهم إلى أن توفي سنة سبع وسبعين ومائتين، وفي أيام الأمير عبد الله حيث خشي الأمير عبد الله(***) خطر هذه الأسرة فقرر التخلص منها، حيث ذكر المقربون للأمير عبد الله نباهة بني تجيب وقد استدعاهم وبنى لهم مدينة قلعة أيوب، وقد تمكن عبدالرحمن التجيبي وابنه محمد من القضاء على

(*) هو الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام وكنينه ابو عبد الله تولي الإمارة في ربيع الآخر سنة (238هـ/ 852م)، وقد كان عاقلاً على اخلاق جميلة ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، وقد استمر حكمة لمدة خمسة وثلاثين عاماً، قضاها في محاربة الخارجين عليه، توفي رحمة الله في شهر صفر من سنة (273هـ/ 883م)= ابو عبد الله بن محمد بن عذاري المركشي: البيان المغرب في اخبار ملوك الأندلس بمغرب، تحقيق ج، س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة، ط2، (بيروت، 1980م)، 2/ 92-107؛ علي حسين الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة، دار قباء لنشر والتوزيع، (القاهرة، 2001م)، ص133.

(**) ينتمي بني قسي إلى القوط، فلما افتتح المسلمون الأندلس، لحق بالشام، وأسلم على يدي الوليد بن عبد الملك، فكان ينتمي إلى ولائه، ولذلك كان بنو قسي في أول أمرهم إذا وقعت العصبية بين المضرية واليمنية، يكون في جانب المضرية ، ابن حزم، المصدر السابق، ص501، 502.

(1) العذري: المصدر السابق، ص41.

(***) كنيته أبو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم، ولد في منتصف شهر ربيع الآخر سنة (229هـ/843م)، وأمه تسمى بهار وقيل اعشار، توفى في ربيع الآخر سنة (300هـ/912م، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وكانت امارته خمسة وعشرين سنة وخمسة عشر يوما، وهو أصلح امراء الأندلس علماً وديناً = ابن عذاري: المصدر السابق، 120/2؛ أبن الآبار: الحلة السيراء، 120/1، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق، حمدي الدمرداش، مكتبة مصطفى الباز، ط2، (السعودية، 2007م)، ص419.

نفوذ هذه الأسرة[1].

وقد أرسل الأمير عبد الله، إلى يحيى بن محمد التجيبي المعروف بالأنقر، وهو من زعماء القبائل العربية، أن ينتزع سرقسطة من حاكمها الأموي، أحمد بن البراء القرشي، الذي سبق وأن عينه عبدالرحمن التجيبي، حيث بعث إلى أعوانه فقتلوه، بعد أن كثر رجاله في الثغر، فخشي الأمير عبد الله نفوذه، وكان مقتله سنة (276هـ/880م)، ومنذ ذلك الحين ملك التجيبيون سرقسطة[2].

وبقيت أسرة بني تجيب على ولائها لحكومة قرطبة حتى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر[*] (300-350هـ/912-961م) أي قبل إعلان الخلافة الأموية بالأندلس، فكانوا مرة يحافظون على ولائهم لحكومة قرطبة، وأحياناً أخرى يخرجون عليها، طوال عهد الخليفة الناصر الذي أعلن نفسه خليفة على الأندلس سنة (316هـ/928م). وقد قامت في عهده بعض حركات التمرد والعصيان خاصة في الولايات الشمالية ومنها سرقسطة التي تولت الزعامة فيها أسرة بني تجيب[3]، حيث بادروا بإعلان الطاعة لإمارته وكانت طاعتهم تتردد بين القوة والضعف والظهور والغياب، حيث كانت تحدوهم أطماع كثيرة، وكانوا يخشون عواقب هذه السياسة التي

---

(1) العذري: المصدر السابق، ص49.

(2) أبو بكر محمد بن عامر ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص123؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة من عبدالرحمن الداخل إلى عبدالرحمن الناصر، منشورات الجامعة الليبية، (بنغازي، 1971م)، ص319.

(*) هو الأمير عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل، وكنيته أبو المطرف، لقبه الناصر لدين الله، أمه تسمى مزنة، ولد سنة (277هـ/890م)، وقد قتل والده وهو لا يزال صغيراً، فرباه جده. تولى إمارة الأندلس عقب وفاة جده دون أعمامه الذين تخلوا عنها زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار، فقد كان شاباً طموحاً حازماً، وكانت الأندلس يوماً تضطرم شقاقاً ونفاقاً كان مولعاً بالبناء والتشييد، حكم البلاد لمدة خمسين عاماً، توفي رحمه الله سنة (350هـ/961م)، ابن الآبار: الحلة السيراء، 197/1، 199؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، 28/2، 29؛ أبو عبدالله محمد بن نصر الأزدي، جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص42.

(3) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس منذ الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الأول، مؤسسةالخانجي، ط3، (القاهرة، 1960م)، ص385؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص224؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، ص280.

كان يتبعها الناصر في إخضاع الولاة المحليين وسحق الأسر القديمة[1]، خاصة وأن الناصر يتبع في ذلك سياسة الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى، مع تعامله أيضاً بكثير من الحكمة مع حكام الثغور التي قبل منها الحد الأدنى من الطاعة وصدق الولاء، وذلك لأن هذه المناطق مجاورة لنصارى الشمال، وعلى حكامها يقع العبء الدائم في الدفاع وحماية دولة الإسلام في الأندلس من غزواتهم المستمرة[2]، ولعل أهم المشاكل التي واجهها الناصر من بني تجيب هو تحالف زعيم بني تجيب محمد بن هاشم التجيبي، سنة (323هـ/934م) مع راميرو الثاني ملك ليون[*]، ضد الخليفة عبدالرحمن الناصر، وخلع طاعته[3]، الأمر الذي دفع الخليفة عبدالرحمن الناصر إلى الخروج بنفسه إلى سرقسطة ومحاصرتها حيث استمر حصارها لمدة أربعة أشهر، وانتهى الأمر بتسليمها وسقوطها مع سائر الحصون المجاورة، وأسر صاحبها محمد بن هاشم التجيبي[4]، الذي التمس العفو بعد ذلك من الخليفة الناصر فعفا عنه، ورده إلى منصبه السابق، وذلك لما يتمتع به من مقدرة سياسية، ولما كان لبني هاشم التجيبي في الشمال من العصبية والأنصار[5].

وهكذا انهارت ثورة التجيبيين في الشمال، وكان من أخطر الثورات التي واجهها الناصر، لأنها أضحت مركزاً لتجمع القوى المعادية لخلافة قرطبة، وكان للناصر الدور الأساسي في توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها، ومنذ ذلك الحين، أصبح بنو هاشم التجيبيين هم سادة الثغر الأعلى دون منازع طيلة الفترة الباقية من

---

(1) عبدالمجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1983م)، ص320.

(2) المرجع نفسه، ص321.

(*) ليون: هي قاعدة من قواعد قشتالة، عامرة وبها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها، همه ونفاسه= الحميري: المصدر السابق، 174.

(3) أبو مروان بن حيان: المقتبس، نشر شالميتا، المعهد الأسباني للثقافة، (مدريد، 1979م)، 5/359-365.

(4) العذري: المصدر السابق، ص45، 46؛ محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى عهد الناصر، ص386، 387.

(5) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، ص25؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص224.

الحكم الأموي[1].

وقد استغل الخليفة الحكم المستنصر[*] في بداية حكمه خبرة التجيبين في حرب نصارى الشمال، حيث عين الخليفة الحكم المستنصر سنة (364هـ/974م) عبدالرحمن بن يحيى التجيبي المقيم بقرطبة، قائداً لمدينة سرقسطة، وذلك بعد انتصاره على قوات بنبلونة، حيث أرسل إلى قرطبة ثلاثة وثلاثين من أسرى النصارى وسبعة وأربعين فرساً، وقرىء هذا الفتح بجامعي قرطبة والزهراء[2].

عندما صارت الخلافة إلى هشام المؤيد (366-403هـ/976-1013م) بدأت مرحلة جديدة في تاريخ دولة الإسلام في الأندلس، وفي حياة البيت الأموي في تلك الديار، فصار السلطان الفعلي إلى محمد بن أبي عامر[**]، الذي سيطر على الحياة

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: بحوث ودراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص75.

(*) هو الحكم بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، كنيته أبو المطرف، أمه اسمها مهرجان، تولى خلافة الأندلس عقب وفاة أبيه الناصر، وذلك يوم الخميس في ثلاثون خلون من شهر رمضان سنة (350هـ/961م)، وكان خبيراً في شؤون الحكم والسياسة، فقد أشركه والده الناصر معه من قبل تدبير شؤون الدولة وقد كان حسن السيرة جامعاً للعلوم وخاصة علوم الفقه والدين والأنساب، وكان رجل علم وحضارة، توفى رحمه الله ليلة الأحد لأربع خلون من شهر صفر سنة (366هـ/976م)، تاركاً ولاية العهد لابنه القاصر هشام المؤيد، وبموته اختفى آخر العظماء من بني أمية = لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد التلمساني: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، دار المكشوف، بيروت، 1957م، 41/2؛ نورالدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالملك بن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، (القاهرة، 1964م)، 18/1؛ علي الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس، ص383؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط8، (القاهرة، 2007م)، ص383.

(2) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا، 234/5، 238؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971م)، ص427.

(**) هو محمد بن عبدالله بن أبي عامر، الملقب بالمنصور وهو رجل قوي وجده عبدالملك، أحد الوجوه الذين دخلوا الأندلس مع جيش طارق بن زياد، في أول الداخلين من المغرب ولقب بالمنصور واستطاع بحنكته أن يستحوذ عطف السيدة صبح أم هشام المؤيد، ولما توفى الحكم المستنصر سنة (366هـ/976م) تولى زمام الأمور والحكم في الأندلس وقد تمتعت الأندلس في عهده بفيض من الأمن والرخاء، وقد دام حكمه سبع وعشرين عاماً، توفي في 27من شهر رمضان سنة (392هـ/1001م) عن عمر يناهز 65 عاماً، ودفن بمدينة سالم = محي الدين عبدالله عبدالواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد عزب، دار الفرجاني، (القاهرة، 1994م)، ص36؛ أبن عذاري: المصدر السابق، 301/2؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، 268/1، 269.

السياسية خلال كل الفترة المتبقية من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بحيث يمكن أن نُطلق على كل الفترة المتبقية من سنة (366-399هـ/976-1008م) بتسلط الأسرة العامرية والتي ليست من بيت الحكم ولكنها استطاعت أن تستبد بالحكم، وتصرف شؤونه تصرفاً تاماً، أما الخلافة فقد أصبحت رمزاً للدولة وصورة للحكم والسلطان لا فعالية لها، ولا كلمة مسموعة للجالس على سدتها[1]. فقد قام المنصور بما لم يقم به أحد في تاريخ الإسلام في الأندلس، إذ استولى على سلطان دولة كبرى في أوج سلطانها[2]، ففي عهده حاول زعيم بني تجيب عبدالرحمن بن مطرف التجيبي التآمر على المنصور بن أبي عامر مع ابنه عبدالله المنصور الذي كان مقيماً بسرقسطة عند صاحبها عبدالرحمن التجيبي، وكان ناقماً على والده لأنه كان يؤثر أخاه عبدالملك عليه، وكان عبدالملك يرى أنه أشجع وأفرس منه فاستغل عبدالرحمن بن مطرف فرصة وجود عبدالله المنصور عنده، وأخذ يسعى لتوسيع شقة الخلاف الموجود بين المنصور وابنه، وأذكى حقده على أبيه، واتفق الاثنان على الوثوب به، وتقسيم ملك الأندلس، فيستولى عبدالله على قرطبة وما حولها ويستولى عبدالرحمن على الثغر وشمال الأندلس، وانضم إليهم في تلك المؤامرة، بعض أكابر الجند ورجال الدولة المعارضين لحكم المنصور والناقمين عليه، وفي مقدمتهم عبدالله بن عبدالعزيز المرواني حاكم طليطلة[3]، وعلى يد عبدالرحمن التجيبي تحول بيت بني هاشم التجيبي من بيت جليل من بيوت الحكم إلى بيت طامعين في السلطان والجاه بأي ثمن[4].ولكن ما لبث أن ترامت أخبار هذه المؤامرة إلى المنصور قبل نضجها وذلك بسبب تعدد من اشترك فيها، فكان من الصعب أن يظل أمرها مكتوماً لمدة طويلة، فما كان من المنصور إلا أن قضى على هذا التآمر، حيث خرج بالصائفة غازياً، إلى أراضي قشتالة، حيث استدعى إمداد الثغور، فتوافدت إلى لقائه، وفيهم عبدالرحمن بن مطرف

---

(1) عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية السياسي، ص422.
(2) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص401.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 281/2؛ محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى عهد الناصر، ص498.
(4) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص399.

ورجاله واجتمعت الحشود في مدينة وادي الحجارة(*)، وهنا أجمع أهل الثغــور علــى الشكوى منه، بتحريض من المنصور نفسه، ضد عبدالرحمن التجيبي، وذلك بحجة أنه يحتبس أرزاقهم(1).

وهنا وجد المنصور المبرر الكافي لعزله عن ولاية سرقسطة وعين حاكماً تجيبياً آخر وهو ولده، يحيى الملقب بسماجة أطماعاً لقومه التجبيين، واستبقاء لولاء الأســرة، وجرياً على سياسة الدولة الأموية السابقة، ولم تمض على ذلك أيام قلائل حتــى أمــر المنصور بالقبض عليه، ثم أعدم بعد ذلك بالزاهرة(**) بين يدي المنصور، وذلك فــي 12 ربيع الأول من سنة (379هــ/989م)(2) وقد أمر أيضاً بقتل ابنه عبدالله، والــذي أُعدم عند غروب شمس يوم الأربعاء سنة (380هــ/990م) وجز رأسه وبعث به إلى ولده المنصور، وكان عمره يوم أُعدم ثلاثة عشرين عاماً(3).

ولقد كان ما قام به المنصور من قتله لولده عبدالله أن أهتز منه الناس وملئــوا منه وحشة ورعباً، وذلك لحرصه على السلطان، كما كان بغــدره لعبــدالرحمن بــن مطرف صاحب سرقسطة وممثل بني هاشم التجيبين وهم من أعرق البيوت الأندلســية التي اشتهرت بالشجاعة والهمة، من أشد ما غير قلوب الأندلسيين عليه(4). ورغم هــذه الحادثة فإن بني تجيب قد استمروا في ولائهم للعامريين، حتى بــدأت أحــداث الفتنــة القرطبية، فعندما دخل سليمان المستعين(***) وقواته المغاربــة قصــر قرطبــة ســنة

(*) وادي الحجارة: هي مدينة بالأندلس تقع بالشرق من مدينة قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وســتون ميلاً، وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق= الحميري: المصدر السابق، ص193.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 281/2، 282؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص498.

(**) الزاهرة: هي مدينة متصلة بقرطبة بناها المنصور بن أبي عامر سنة (363هــ/ 973م) وقــد بــالغ في تشييدها حيث شيد بها أعظم الدور والقصور فاتسعت المدينة بعد ذلك، وقامت فيها الأسواق وكثرة فيها الأرزاق وتنافس الناس على النزول بها= الحميري: المصدر السابق، ص80، 82.

(2) أبن عذاري: المصدر السابق، 281/2، 282؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص225.

(3) أبن عذاري: المصدر نفسه: 285/2؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص379.

(4)أبن عذاري: المصدر نفسه: 2/ 285؛ حسين مؤنس: المرجع نفسه، ص379.

(***) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر لدين الله، كان أديباً وشاعراً، وقد فر من قرطبة طالباً النجاة بنفسه لما قتل من قتل من بني أمية، وقد كانت نهايته على يد علي بن حمود سنة (407هــ/1016م)، حيث قتله انتقاماً لمقتل الخليفة الأموي هشام المؤيد = ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 119/2، 121؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص168.

(403هـ/1013م) واستتب له الأمر، أدرك خطورة وجود المغاربة في قرطبة، علـى نفوذه، لذا أخذ يولي رجاله وقواده المدن والكور المختلفة، فـأعطى قبيلـة صـنهاجة وزعائمها من بني زيري كورة البيره[*] وغرناطة[**]، وأعطى المنذر بن يحيى التجيبي والذي انضم إلى سليمان المستعين وحارب مع المغاربة حكم سرقسطة[1]، حيث كـان يتولى أمر سرقسطة قبل المنذر عبدالرحمن بن يحيى التجيبي، الملقب بسماجة، الـذي سبق وأن عينه المنصور حاكماً على سرقسطة في سنة (379هـ/989م) وبتوليه أمر سرقسطة انتقل إلى فرع آخر من أسرة بني تجيب[***]، حيث انتقل من فـرع محمـد الأنقر الأعور إلى فرع أخيه عبدالعزيز المتمثل في الأسر المستقلة، لآخر التجيبيـين، المنذر يحيى بن المنذر، المنذر الثاني[2].

وبرز من بين التجيبيين في تلك الفترة - كما سبق لي وأن ذكرت سابقاً - المنذر ابن يحيى الذي كان جندياً في جيش المنصور بن أبي عامر، ثم تولى القيادة في آخـر دولة بني عامر، حيث تولى حكم مدينة تطيلة بالثغر الأعلى، سنة (396هـ/1006م) في أيام عبدالملك المظفر، ثم عهد إليه سـليمان المسـتعين بولايـة سرقسـطة سـنة (403هـ/1013م)، واستقل بعد ذلك بحكمها في عصر ملوك الطوائف[3]. ويمكننا أن نعتبر المنذر بن يحيى التجيبي أول أمير للثغر في عصر الطوائف، فحكـم سرقسـطة وأعمالها، وتسمى بالحاجب ذي الرياستين وتلقب من الألقاب السلطانية بالمنصـور[4]، ولما تطورت الحوادث في قرطبة ودخلها على بن حمـود [****]، وذلـك فـي سـنة

(*) البيرة: تقع شرق مدينة قرطبة وهي مدينة جليلة القدر عزيزة الأنهار كثيرة الاشجار، نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي عبد الرحمن بن معاوية ثم خالطهم العرب بعد ذلك = الحميري: المصدر السابق، ص 283.

(**)غرناطة: قيل أن الصواب أغرناطة بالهمز ومعناها بلغتهم الرمانة وهي مدينة جليلة بالأندلس شبهت بدمشق بلاد الأندلس= شكيب ارسلان: المرجع السابق، 1/ 188.

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق، 119/2؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، ص 356.

(***) انظر الملحق رقم (1)، ص 229.

(2) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص434، 435؛ أبن عذاري: المصدر السابق، 281/2.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 175/3، 176؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص196.

(4) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص266؛ علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي، ص25، 26.

(****)ينتمي علي بن حمود إلى ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن إدريس ابن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد كان علي يتولى حكم طنجة وعند قيام الفتنة دخل مع أخيه القاسم وطمع علي في ولاية الأندلس = المراكشي: المعجب، ص48، 49.

(407هـ/1016م) حيث كان يطمع أن يجد الخليفة هشاماً المؤيد حياً، فلم يجده، وكان الاعتقاد سائداً بأن سليمان أخفاه ولم يقتله، فلم علم بأنه قُتل أتى بسليمان وأبيه وأخيه وقتلهم، وأخذ ينادي هذا جزاء من قتل هشاماً، ثم دعا لنفسه بالخلافة، وبويع له بها، وتلقب بالناصر لدين الله[1].

وبمقتل سليمان المستعين، انقطع ملك بني أمية في جميع أقطار الأندلس، لتتولى أسرة بني حمود الخلافة ردحاً من الزمن، ليعود الملك بعدها لنبي أمية، وكان من ضمن من دخل قرطبة مع علي بن حمود خيران العامري الذي غادر قرطبة، وسار إلى شرق الأندلس، وأخذ يحشد معظم الزعماء العامريين[2]، ونصب خيران العامري عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبدالرحمن الناصر، فبايعه خيران وعدد من أصحابه بالخلافة، ولقبوه بالمرتضى، وأيدهم في ذلك عدد من ولاة الثغور، وكان في مقدمتهم المنذر بن يحيى التجيبي والي سرقسطة[3].

ولكن ما لبث أن نشبت الحرب بين قوات المرتضى، ومغاربة غرناطة، بقيادة زاوي[*] بن زيري الصنهاجي، كما شارك المنذر بن يحيى في الحرب مع الخليفة المرتضي لمقاتلة المغاربة، وخلع علي بن حمود، حيث سار المنذر مع بعض قواته، ومعه فرقة من المرتزقة النصارى بقيادة خليفة الكونت رامون برنجير أمير برشلونة[**] [4]، وقد كان من قواده في تلك الحملة رجل سوف يكون له فيما بعد أكبر شأن في تطور الأحداث في الثغر الأعلى، وهو سليمان بن هود الجذامي، الذي كان

(1) أبن عذاري: المصدر السابق، 117/3؛ ابن الخطيب:أعمال الأعلام ، ص121، السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، ص357.

(2) أبن عذاري: المصدر السابق، 117/3؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص121؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم بأندلس، ص557

(3) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص266.

(*) زاوي بن زيري الصنهاجي: كان والده أميراً على المغرب الأوسط تابعاً للخلافة الفاطمية، وعقب وفاة والده سنة (322هـ/933م)، اشتبك مع أعمامه في حروب في بلاد المغرب، ثم كتب إلى المنصور بن أبي عامر ليلحق به في الأندلس، فأذن له بذلك = ابن السماك: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (5) ص126، 127.

(**) برشلونة: هي مدينة الروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً = الحميري المصدر السابق، ص42.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 177؛ محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 267.

والياً على مدينة تطيلة في تلك الأثناء(1).

وقد أسفرت هذه المعركة عن هزيمة أهل الأندلس، ومقتل مرشحهم الخليفة المرتضى سنة (408هـ/1018م)، فما كان من المنذر إلا أن عاد هو وحلفاؤه النصارى إلى الشمال، وأيقن أنه يؤازر قضية خاسرة(2)، وقد كانت تربط المنذر بجيرانه النصارى علاقات صداقة ومودة ولاسيما "رامون بوريل" أمير برشلونة، وسانشو الكبير ملك نافار وولده فرناندو الأول ملك قشتالة، والفونسو الخامس ملك ليون، وقد بالغ المنذر في صداقته لأمراء الأسبان، حتى أنه نظم في قصره بسرقسطة حفلا لعقد المصاهرة بين أميرين من أولئك الأسبان هما سانشو ملك نافار ورامون أمير برشلونة(3)، حضره الفقهاء والقساوسة وأعيان الملتين، وقد جلب عليه هذا التودد سخط الناس ورموه بألسنة حداد، إلا أنه قد حقق بهذه السياسة مسالمة ملوك النصارى وكف عدوانهم عن بلاده(4).

وقد تمتعت سرقسطة في عهده بفترة من الدعة والرخاء، وأصبحت باتساع عمرانها وتقدم أحوالها شبيهة بحضرة قرطبة الكبرى، أيام الجماعة، كما أنه كان يقدم الهدايا الفاخرة لملوك الأسبان، تأكيداً على مودتهم ورضاهم، ولم يدرك الناس نتيجة سياسته، وحسن تقديره للعواقب إلا بعد وفاته سنة (412هـ/1021م)(5).

وقد خلفه في الحكم من بعده ابنه يحيى المنذر(6) الذي تلقب بالمظفر، ويبدو أنه لم يواصل سياسة الصداقة التي كان يتبعها والده المنذر مع جيرانه النصارى، خاصة ملوك برشلونة، حيث أغار ملكها رامون بوريل على حدود الثغر الأعلى، وتنازل له

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 125/3، 127؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوئف، المرجع نفسه، ص266، 267.

(2) ابن عذاري: المصدر نفسه، 125/3، 126؛ محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص267.

(3) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، 1971م)، 163/4؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 177/3، محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ، ص267.

(4) ابن عذاري: المصدر نفسه ، 176/3، 177؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص268.

(5)ابن عذاري: المصدر نفسه ، 176/3؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص268.

(6) العذري: المصدر السابق، ص48.

المظفر عن بعض الحصون والقلاع[1].

واستمر يحيى بن المنذر المقلب بالمظفر بحكم سرقسطة وأعمالها حتى وفاته سنة (427هـ/1035م)، وخلفه في الحكم من بعده ابنه منذر بن يحيى الثاني، وهو ابن أخت سليمان بن ذي النون، صاحب طليطلة، حيث كان صغير السن لذا فإنه كان يستمد قوته من خاله، الذي كانت كل القوى المحيطة بسرقسطة تخشى بأسه، إضافة إلى ذلك فقد انتهج يحيى سياسة إقامة العلاقات الحسنة مع جيرانه النصارى، وقد أشاع بذلك السلام والأمن في حدود مملكته المجاورة لأراضيهم[2].

وقد بقي على حكم سرقسطة وتلقب بالحاجب معز الدولة، ولكن ما لبث أن اغتيل في مجلسه في سرقسطة، في غرة ذي الحجة من سنة (431هـ/1039م) على يد رجل من أبناء عمومته يدعى "عبد الله بن حكيم"[3] حيث نفذ إلى قصره، وكان يضمر الفتك به، فعندما كان المنذر جالساً بين نفر قليل من خدمه الصقالبة، يقرأ كتاباً في يده، ولم يلبث أن أنقض عليه "عبد الله بن حكيم" وطعنه في عنقه بسكين، وفر خدمه في الحال، ولم يبق منهم إلا خادم واحد حاول الدفاع عن سيده، فصرعه عبد الله بخنجره وأخرج رأس المنذر وأبرزها من شرفة في القصر مرفوعة على عصاً وهو يصيح هذا جزاء من عصى أمير المؤمنين هشاماً[4]، مدعياً أن سبب مقتله هو عدم اعتراف المنذر بن يحيى بدعوة هشام المؤيد والتي أعلنها القاضي أبن عباد في إشبيلية سنة (426هـ/1035م) واعترف بخلافته عدد من أمراء الطوائف ورفض يحيى التجيبي يومئذ الأعتراف بها، وتابعه في ذلك ولده المنذر[5].

ولما شهد الناس رأس المنذر بهتوا وعقد الذعر ألسنتهم، وأرسل القاتل في الحال

---

(1) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص268.

(2) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود مكي، ص131؛ عبدالمجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت)، ص109؛ علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالأندلس، ص26.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 178/3؛ ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود مكي، ص131.

(4) ابن عذاري: المصدر نفسه، 178/3، 179؛ العذري: المصدر السابق، ص48.

(5) ابن عذاري: المصدر نفسه، 178/3؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص269.

إلى القاضي والأعيان فحضروا إلى القصر، والقاتل جالس على فراش قتيلـــه وجثـــة المنذر ملقاة في دمائها، فأعلن لهم أنه فعل ما فعل في سبيل الإصلاح العـــام[1]، إلا أن أهل سرقسطة الذين كانت تشدهم إلى البيت التجيبي وإلى سيدهم القتيل رابطـــة حـــب وولاء رفضوا قبول مزاعم هذا القاتل المغامر، وهاجم العامة قصر سرقسطة، ونهبـــوه وقلعوا مرمره، وطمسوا آثاره، وأعملوا فيه الأضطراب والخراب، والأسوأ من ذلك أنه لم يبق أحد من إخوة المنذر على قيد الحياة لخلافته في حكم المدينة[2]، حيـــث أخـــذهم معه وحبسهم في حصن روطة المنيع، وعند ذلك عم الهرج والمرج، وثار الناس عليه ودعوا بالحكم لسليمان المستعين بن هود الذي كان مستقلاً بمدينة لاردة[3].

وبمقتل منذر بن يحيى، انتهت رياسة التجيبيين للثغر الأعلى، بعد أن لبثت زهاء قرن ونصف، وبدأت في سرقسطة والثغر الأعلى رئاسة أسرة جديدة هي رياسة أسرة بني هود التي يخصها ابن الأبار دون غيرها من أســـر الطوائـــف بغلبـــة الشـــجاعة والشهامة عليها[4]، والتي لعبت في حوادث الثغر الأعلى، وشرق الأندلس في عصـــر الطوائف أعظم دور[5]، وهذا ما سوف أتناوله في الصفحات اللاحقة من هذه الدراسة.

ثالثاً: قيام مملكة بني هود في سرقسطة (431-503هـ/1039-1110):

1- أصل بني هود وظهورهم في بلاد الأندلس:

قبل الحديث عن قيام هذه المملكة يجدر بي أن أتطرق إلى معرفة أصـــل هـــذه الأسرة، حيث كانت هذه المملكة من أهم الممالك التي تحقق لها الظهور في الأنـــدلس، في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

فاعلى الرغم من الدور الكبير الذي لعبه ملوكها وما تركوه من بصمات بارزة

---

(1)ابن عذاري: المصدر السابق: 3/ 178.

(2)ابن عذاري: المصدر نفسه: 3/ 178؛ عبدالمجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، ص101.

(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (2) ص69؛ ابن عـــذاري: المصـــدر الســـابق، 180/3، ابن خلدون: المصدر السابق، 163/4، علي الشطشاط: نهاية الوجـــود العربـــي بالأنـــدلس، ص26.

(4) ابن الآبار: الحلة السيراء، 246/2.

(5) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص271.

في تاريخ الثغر الأعلى فإن آراء المؤرخين التي تحدثت عن مدة حكمهم لم تعطِ جواباً كافياً عن نسبهم[1]،إذا يتفق كل من ابن عذاري وابن الآبار، على أن سليمان بن هود الجذامي[2]، ينتسب إلى قبيلة جذام العربية.

أما ابن حزم[*] الأندلسي، فقد ذكر أن نسبهم ينتمي إلى روح بن زنباع، من قبيلة جذام اليمنية، وذكر أن منازلهم في المشرق آيلة بالحجاز، وأما ديارهم بالأندلس، فهي شذونة[**] والجزيرة الخضراء[***] وتدمير[****] واشبيلية[3].

أما صاحب كتاب المعجب، فقد ذكر أن سليمان بن محمد بن هود بن عبد الله بن موسى الجذامي، المكنى بأبي أيوب، مولى أبي حذيفة الجذامي، وجدهم هود الداخل إلى الأندلس[4]،أما ابن خلدون فقد ذكر أن أبا أيوب[*****] سليمان أبن محمد الجذامي كان

---

(1) عبدالنبي علي داود: دولة بني هود في سرقسطة، دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب،جامعة الإسكندرية،(الاسكندرية، 1992م)، ص108.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ص179؛ أبن الآبار: الحلة السيراء، 245/2.

(*) هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب ولد في قرطبة سنة (384هـ / 994م) في بيت علم ورياسة وكان فطناً عالماً بعلوم الحديث والفقه، وفق الكتاب والسنة متفنناً في علوم جمه، عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبل، حيث كان ولده وزيراً للدولة العامرية، ثم تولي الوزارة بعده وكان من مؤيدي الخلافة الأموية وقد أشتهر ابن حزم بنقده اللاذع لملوك الطوائف ورفض ان يبيع قلمه لأحد منهم واعتبرهم جميعاً من أسباب فرقت المسلمين في الأندلس، توفي رحمه الله سنة (456هـ / 1063م)= الضبي: المصدر السابق، ص 386، 387؛ محمد حسن قجه: محطات أندلسية، دراسات في التاريخ والأدب والفن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (الرياض، 1986)، ص141.

(**) شذونة: هي كورة جليلة القدر كريمة البقعة كثيرة الثمار وقد نزلها جند فلسطين من العرب= الحميري: المصدر السابق، ص100.

(***)الجزيرة الخضراء: هي اول مدينة افتتحت من الأندلس في الفتح الاسلامي وذلك سنة (90هـ/709م)على يد موسي بن نصير وطارق بن زياد وبها مسجد يسمى مسجد الرايات= الإدريسي: المصدر السابق، 2/ 737، 538.

(****)تدمير: هي مدينة بالاندلس سميت باسم ملكها تدمير، وهي مدينة طيبة البقعة كثيرة الثمار، وقد نزلها جند مصر بها نهر يجري من الشرق منه، يسقي أرضها كنهر النيل بمصر= العذاري:المصدر السابق، ص1؛ الحميري: المصدر السابق، ص62.

(3) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص425.

(4) المراكشي: المعجب، هامش المحقق رقم (1) ص75.

(****) ينظر الملحق رقم (2) ،ص230.

(5) ابن خلدون: العبر، 163/4.

مستبداً بمدينة تطيلة، منذ أول الفتنة، وجدهم هود، هو الداخل للأندلس، ونسبه الأزد إلى سالم مولى أبي حذيفة الجذامي، وذكر أن هوداً هو من ولد روح ابن زنباع[5].

ومما سبق يتبين أن ابن خلدون يوافق رواية ابن حزم الأندلسي، الذي رفع نسبهم إلى روح ابن زنباع الذي تنتمي إلي قبيلة جذام اليمنية.

بالرغم من أهمية هذه الروايات السابقة، فإن أغلبها تتفق على أنهم ينحدرون من أسرة عربية ترجع في أصلها البعيد، إلى قبيلة جذام اليمنية، وهذا ما يؤيده د. حسين مؤنس، حيث ذكر أنها كانت تملك مدينتي لاردة، وتطيلة بالأندلس، وكان سليمان بن محمد بن هود الجذامي من كبار الجند بالثغر الأعلى، وعند قيام الفتنة استولى على مدينة لاردة سنة (431هـ/1039م) ثم دخل سرقسطة، وأصبح صاحب سرقسطة والثغر الأعلى كله[1].

أما ابن الخطيب فقد ذكر أن أهل سرقسطة هم الذين ثاروا بيحيى ابن المنذر التجيبي، وصرفوا طاعتها إلى سليمان ابن هود[2]، وهذه الرواية يؤيدها ابن عذاري حيث ذكر: "أنه لما نزلت بسرقسطة يومئذ حادثة عظيمة، وأشرف أهلها على فتنة شديدة، وطمع فيها أكثر من كان يجاورهم، أذعنوا لهذا العربي الموثب عليهم ورهبوه حتى ملكهم"[3].

ولم يكن سليمان بن هود أميراً على سرقسطة، حيث كانت أمارته لا تتجاوز لاردة، وتطيلة. وعموماً سواء أكان استيلاءه عليها نتيجة لدعوة أهلها واختيارهم إياه لولايتها، أم كان عملاً من أعمال القوة وهو الأرجح[4]،فإنه في الواقع قد دخل سرقسطة وآل إليه حكم الثغر الأعلى كله، وأسس فيها مملكة بني هود التي ظلت تحكم هذه الجهة، حتى سقوطها في يد الفونسو الأول الملقب بالمحارب ملك أرغون

---

(1) حسين مؤنس:الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 1992م)، ص11.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 2 /170؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، 270/2.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 128/3، 129.

(4) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص220.

سنة(512هـ/ 1118م)[1].

2- سليمان بن هود وتأسيس الملكية في سرقسطة (431-438هـ/ 1039-1046م).

يعتبر أبي أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي، أول حاكم من تلك الأسرة، تولى مقاليد الحكم في الثغر، وعلى الرغم من أنه المؤسس الحقيقي لتلك الأسرة، فإن المؤرخين القدامى والمحدثين لم يلقوا ضوءاً كافياً عن حياته كحاكم للثغر باستثناء ما ورد، حول سيرته، من خلال الحروب التي خاضها ضد بني ذي النون وهم أخوال التجيبيين، الذين سبقوا بني هود في حكم الثغر الأعلى[2]، وسوف أتطرق إلى ذكر هذه الحروب مع سليمان بن هود في الصفحات اللاحقة من هذه الدراسة.

3- سياسة سليمان بن هود الداخلية:

جلس سليمان بن محمد بن هود الجذامي على عرش سرقسطة في غرة محرم من سنة (431هـ/1039م) وحكم الثغر الأعلى ماعدا طرطوشة، التي كانت بيد بعض الفتيان العامريين، واتخذ من الألقاب السلطانية لقب المستعين، وظهر منذ البداية بقوة عزمه وشدة بأسه، فاشتهر أمره وتوطد ملكه بسرعة[3].

وقد صرف المستعين بن هود السنوات الأربع الأولى من حكمه في تنظيم شؤون مملكته الفتية حتى امتدت إلى بيارس إحدى القلاع المتقدمة في مواجهة مملكة أرغون شمالاً وإلى قتشالة ونبرة غرباً، وإلى مملكة طليطلة جنوباً واشتركت في حدودها مع

---

(1) ابن السماك: المصدر السابق، ص 270.
(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، 245/2؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 178/3؛ عبدالنبي علي داوود: المرجع السابق، ص114.
(3) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص271.

دولة بني رزين[*] في السهلة، كما امتدت رقعة مملكته في الشمال الشرقي إلى حـــدود مملكة قطالوينة، وجاورت من الجهة الشرقية، ممالك الفتيان الصقالبة فـــي طرطوشـــة وبلنسية[1]، وبهذا الأمتداد أصبحت من أكبر وأهم دول الطوائف امتداداً وعمراناً[2].

4- سياسة سليمان بن هود الخارجية:

تكمن سياسة سليمان المستعين بن هود الخارجية في علاقاته مع بعض ملـــوك الطوائف من جهة، وعلاقاته مع ملوك النصارى الأسبان من جهة أخرى، هذه العلاقات التي اتسمت بالعدائية أكثر من كونها سلمية، وفيما يأتي أعرض لكل واحدة منها بشيء من التفصيل.

أ- علاقة سليمان المستعين مع بني ذي النون في طليطلة:

تعدُ مدينة طليطلة من أعظم مدن الأندلس وتقع في وســـط الأنـــدلس[3]، علـــى الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير على مقربة من مصبه على المحيط الأطلســـي[4]، على بعد خمسة وستين ميلاً من وادي الحجارة، وعرفت طليطلة وأعمالها منـــذ قيـــام الدولة الأموية بالثغر الأوسط، لمتاخمة حدودها للممالك الأسبانية النصرانية، واعتبارها بذلك حاجز الدولة الإسلامية وجناحها الشمالي الأوسط ضد عدوان النصارى[5].

(*) عرف بنو رزين باسم جدهم الأعلى رزين البرنسي، أحد كبار رجال المغاربة الداخلين إلى الأندلس في جـــيش طارق بن زياد، وهو ينتمي إلى أحد بطون قبيلة البرانس المغاربية وكان منزل رزين بقرطبة، ثم نزحوا إلـــى الثغر، ونزلوا بأراضي السهلة، وهي التي تتوسطها شنتمرية الواقعة في جنوب غرب ولاية الغـــرب الأندلســـية على المحيط الأطلسي = محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص253.

(1) عبدالنبي علي داود: المرجع السابق، ص115.

(2) رجب عبدالحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بنـــي أميـــة وملـــوك الطوائف، دار الكتب العلمية، القاهرة، (بيروت، د.ت)، ص337.

(3) المقرئ: نفح الطيب، 161/1.

(4) الإدريسي: المصدر السابق، 536/2؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق،262/1، 263.

(5) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، ص29.

وبعد سقوط الخلافة الأموية بخمس سنوات أرسل أهل طليطلة إلى عبـدالرحمن بن ذي النون(*)، حاكم شنتمرية(**)، يعرضون عليه ولاية بلادهم فأرسل إلـيهم ابنـه إسماعيل، الذي كان قد أعلن استقلاله على ما في حوزته من أراضي، عقـب سـقوط السلطة المركزية في قرطبة[1].

وعند ذلك تولى إسماعيل بن ذي النون حكم طليطلـة، وأعمالهـا فـي سـنة (427هـ/1035م)، وتلقب بالظافر[2]. وقد ساس مملكته سياسة حسنة[3]، ومن أبـرز حوادث عهد سليمان هي تلك الحروب التي حدثت بينه وبين المأمون بـن ذي النـون جاره من الناحية الشمالية، حيث كانت منطقة الحدود بين الإمارتين هي مكان الاحتكاك وخاصة مدينة وادي الحجارة، المتفق عليها جغرافياً، أنها من أعمال طليطلـة، ولكـن كان فيها من يميل إلى حكم بني هود في الثغر الأعلى، الأمر الذي دعـا أهلهـا إلـى الانضمام إلى سليمان بن هود[4]. ومما زاد الأمر سوءًا هو تولي سـليمان بـن هـود الإمارة التجيبيه بمقتل آخر أمرائها، المنذر بن يحيى التجيبي، ابن أخت إسماعيل بـن ذي النون والدة المأمون، وكان هذا الأمر عاملاً أخراً في اشتداد الخصومة بينهم[5].

إضافة إلى ذلك فإن سليمان بن هود كان يُظهر كرهنا شديداً لمملكـة طليطلـة وللبيت المالك فيها، نظراً لخوفه الشديد من قوة الظافر وقدراته العسكرية. وبعد وفـاة إسماعيل الظافر سنة (435هـ/1043م) لم يعد فقط بن هود يخشى قوة طليطلة، وإنما

(*) ينتمي بنو ذي النون إلى أصول مغاربية، من قبيلة هوارة وكان جدهم الأعلى ذو النون بـن سـليمان حاكماً لحصن إقليش منذ أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم = علي الشطشاط: نهايـة الوجـود العربي في الأندلس، هامش المؤلف رقم (4) ص29.

(**) شنتمرية، مدينة تقع شرقي الأندلس، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ولها حصون كثيرة = شـهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، (بيروت، 1979م)، 366/3.

(1) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 460/1؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص374.

(2) علي حسين الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالأندلس، ص30.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 277/3.

(4) ابن عذاري: المصدر نفسه، 277/3، 278؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص226، 227؛ ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ولطفي عبدالبديع، دار نهضـة مصر للطباعة والنشر ، (القاهرة، د.ت)، ص123.

(5) تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص226.

عمل على استغلال مدة الأضطراب التي رافقت انتقال الملك إلى ابنه المأمون وعمل على التوسع على حساب أراضيه مستغلاً تلك الظروف[1].

وقد سنحت له الفرصة عندما قامت الحرب بينه وبين ابن هود حول مدينة وادي الحجارة، حيث كانت الغلبة فيها لابن هود بقيادة ابنه أحمد بن هود، الذي قام بمحاصرته في مدينة طلبيبرة[*] ولم ينج المأمون من هذا المأزق، إلا حينما أمر سليمان بن هود ابنه أحمد بتركه وشأنه والعودة إلى سرقسطة[2].

ولعل من أهم ما ساعد على نجاح حملة ابن هود هذه هو عبدالرحمن بن ذي النون أخ المأمون، الذي كان على خلاف معه، وقام بمرافقة ابن هود في تحركاته وقدم له معلومات كثيرة عن طرق ومسالك المنطقة[3].

وهذا الأمر دفع ابن هود إلى الاستعانة بملوك النصارى حيث طلب المساعدة من فرناندو الأول ملك قشتالة نظير أن يؤدي له الجزية ويعترف له بالطاعة، وبالطبع فقد قام فرناندو الأول بالمهمة خير قيام، وخرج بقواته التي خربت ضياع طليطلة[4]، حيث جال العدو في أحوازها لمدة شهرين متتاليين، وكان ذلك في وقت الصيف والزروع على وشك الحصاد، فقام الجند النصارى بحصدها ونقلها إلى بلادهم، وجردت المنطقة من سائر الزروع والأقوات، وقتل النصارى وسبوا ما استطاعوا ثم عادوا إلى بلادهم، كل ذلك وأبن هود ممتنع في حصونه متجنب الاشتباك مع المعتدين، وانتهز المأمون هذه الفرصة وأغار بدوره على أرض أبن هود المجاورة له وعاث فيها فساداً[5].

عند ذلك اضطر ابن هود على أن يسك طريق بن ذي النون وأرسل إلى فرناندو الأول ملك قشتالة أموالاً وتحفاً على أن يعترف بطاعته مقابل أن يغير على أراضي

(1) عبدالمجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، ص129، 130.
(*) طلبيبرة: مدينة من أعمال طليطلة وتطل على نهر تاجة وتبعد عنها حوالي "150" كم = ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص79.
(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 277/3؛ أبن الخطيب: أعمال الأعلام، 178/2.
(3) ابن عذاري: المصدر نفسه، 281/3.
(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 178/2؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص338.
(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 278/3؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، 178/2.

ابن ذي النون فاستجاب فرناندو إلى دعوته وقام بالمهمة خير قيـــام وخـــرب ضـــياع طليطلة[1].

ولقد أثار هذا الأمر غضب المأمون بن ذي النون فالتمس محالفة غرسيه ملـــك نافار وهو أخ ملك قشتالة، مستغلاً التنافس والعداء بين الأخوين، فبعث المأمون بن ذي النون إلى حليفه غرسيه الأموال والتحف، وقد أغار بدوره على أراضـــي بـــن هـــود المجاورة له، فيما بين تطيلة ووشقة، وسيطر على قلعة قلهرة سنة (437هـ/1045م) والتي سبق وأن فتحها المنصور بن أبي عامر وهي من أعمال مملكة نافار الجنوبيـــة، ولكن ما لبث أن عادت إلى قبضة النصارى من جديد[2].

ولما وجد أهالي طليطلة أن هذا الصراع سوف يعصف بملكهم، بادروا بإرسال وفد من أعيانهم، إلى سليمان بن هود، يطلبون منه المصالحة، والمهادنة، فدخلوا عليه ووعظوه، وذكروه بالله سبحانه وتعالى وذكروا له ما أفسده النصارى من بلادهم، ومـــا ظفرت به أيديهم من أموال المسلمين، وعرضوا عليه الصلح الذي أظهر قبوله ورجعوا إلى أميرهم، يحيى بن ذي النون، الذي كان متردداً في الميل نحو النصارى فنهوه عن ذلك[3].

إلا أن ابن هود لم يلبث أن مكر بهم، وسار مع بعض قواته نحو مدينـــة ســـالم فهاجمها واسترد معظم الحصون، والتي كان قد انتزعها منه ابن ذي النون، وكان معه أيضاً عبدالرحمن بن ذي النون أخ المأمون الذي دلهم على عورات البلاد[4]، إضـــافة إلى عم المأمون المسمى بالأرقم، وقد كان أديباً لامعاً، فحسده ابن أخيه، فخـــاف هـــذا الأمر وفر إلى الثغر الأعلى عند بني هود أعداء ابن أخيه المأمون، وأتى معه لمقابلته في طليطلة، والانتقام لما فعله، شانجة ملك قشتالة بأرض ابن هود، ولينتقم هو أيضـــاً

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، 178/2؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص338.
(2) أبن الخطيب: أعمال الأعلام ، 178/2؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص271.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 280/3.
(4) المصدر نفسه، 281/3.

من ابن أخيه، ولقد أحدث ذلك الحشد والذعر في نفوس الناس واضطربت أحوالهم[1].

ولقد كان المأمون بن ذي النون غائباً عن طليطلة عند الهجوم عليها ومقيماً بجيشه في مدينة سالم، حتى يمنع عنها هجوم أبن هود المتوقع، وأدى هذا الأمر إلى شراء أهل طليطلة حريتهم من فرناندو الأول بالأموال، وقد استطاع المأمون بعد ذلك أن يتخلص من عمه بالحيلة والخديعة إذ دس إلى فرناندو من أوعز إليه بأن الأرقم ما هو إلا جاسوس لابن أخيه المأمون، فخشى فرناندو أمره، ثم قتله وخرج بذلك المأمون وقال: "هذه نعمة من جهتين فقد عدو، ووجوب ثأر نطلب به"[2].

وهكذا استباح الأسبان أراضي المملكتين الإسلاميتين بسوء سياسة ابن هود وابن ذي النون، وفتحت هذه السياسة التي اتبعها ملكان أندلسيين المجال أمام من كانوا أتباع وموالي للدولة الإسلامية للتدخل في شؤونها الداخلية[3]، وأنهارت بذلك خطوط الدفاع، وساءت أحوال المسلمين إلى أبعد حد، وقد استمرت هذه الفتنة المدمرة لمدة ثلاثة أعوام من سنة (435هـ إلى 438هـ/1043م إلى 1046م) واستمر ملكا قشتالة ونافار يعملان على إذكاء هذه الفتنة، ولم تنته إلا بوفاة سليمان بن هود سنة (438هـ/1046م) والتي بها تنفس المأمون الصعداء، بعد أن زال خطره عن طليطلة[4].

ب- علاقة سليمان بن هود مع بني عباد في أشبيلية:

تُعد مدينة أشبيلية من قواعد الأندلس المهمة، تقع غرب مدينة قرطبة[5]، على

---

(1) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص290؛ محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، مؤسسة الخناجي، ط4، (القاهرة، 1962م)، ص268.

(2) رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص290.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 282/3؛ محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة من تاريخ الإسلام، ص268، وعبدالمجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، ص132.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 282/3؛ خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص242؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص286، تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص291؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص99، 100.

(5) ابن غالب: المصدر السابق، ص292.

الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير على مقربة من مصبه على المحيط الأطلسـي[1]، وهي من أعظم مدن الأندلس[2]، وذلك من حيث الرقعة الجغرافية والزعامة السياسية، والقوة العسكرية وهي من أعظم دول الطوائف شأناً، فقد سطعت بـين دول الطوائـف زهاء نصف قرن بفخامة بلاطها، وروعة رسومها، وكان للأدب والشعر بهـا دولـة زاهرة طبعت هذه الحقبة القصيرة من تاريخها بطابعها الخالد[3].

وقي عصر الطوائف استقل بها بنو عباد الذين ينتمون إلى قبيلة لخم العربية[4]، فيرجع نسبهم إلى ملوك الحيرة اللخميين[5] وجدهم عطاف بن نعيم هو الـداخل إلـى الأندلس في طالعة بلج بن بشر[6] وظهر بنو عباد على مسرح الأحداث أثناء الفتنة التي عمت الأندلس بعد سقوط الدولة العامرية، وسطع نجمهم على يد إسماعيل بـن عبـاد، الذي كان يتولى القضاء منذ أيام بني عامر، وقد عمل على ضبط الأمور وحفظ النظام إلى جانب توليته القضاء أثناء الفتنة، لما له من نفوذ وأخذ يعمل على توطيد نفوذه في الرياسة[7]، وعند حدوث الفتنة سيطر على مدينة أشبيلية بعد أن خرج منها القاسم بـن حمود وابنه محمد والحسن، وذلك عندما اتفق أهل المدينة مع القاضي بن عباد علـى إغلاق المدينة في وجهه وإخراج أهلها عنها[8].

وهكذا تأسست هذه المملكة، ونظم القاضي ابن عباد شؤون أشبيلية، معتمداً على تأييد العرب فيها، وأحسن السياسة مع رعيته، وبقى يدير أمور أشبيلية، أحسن تـدبير،

---

(1) حمدي عبدالمنعم حسين: التاريخ السياسي لشبيلية في العصر الأمـوي، مؤسسـة شـباب الجامعـة، (الإسكندرية، 1987م)، ص7.
(2) الإدريسي: المصدر السابق، 451/2؛ المقريء: نفح الطيب156/1.
(3) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالأندلس، ص19.
(4) أبو نصر الفتح بن خاقان محمد: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مملح أهل الأندلس، تحقيق محمـد علي شوابكة، (بيروت، 1983م)، ص169.
(5) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب: نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق أحمـد كمـال زكـي، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1980م)، 442/23.
(6) سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضـة العربيـة، (بيـروت، 1998م)، ص200.
(7) عزالدين أبي الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق عمـر عبدالسـلام تـدمري، دار الكتـاب العربي، (بيروت، 1999م)، 633/7.
(8) ابن الأثير: المصدر السابق، 633/7.

حتى وفاته سنة (439هـ/1047م)[1] وإسباغاً لشريعته في حكم أشبيلية دعا في سنة (426هـ/1035م) لرجل يقال له خلف الحصري[*] زعم أنه هشام الثاني المؤيد، وكان شديد الشبه به، وزعم أنه فر من الفتنة، وذلك بسبب تخوفه من الحموديين، الذين يتربصون به، ويطمعون في ضم أشبيلية إلى أملاكهم، فالخليفة الثاني المؤيد بالله قتل على يد سليمان المستعين بالله سنة (403هـ/1012م) ولكن وردت إشاعات روجها بعض فتيان قصر الخلافة السابقين، على أنه لم يقتل وقد ظهر في المرية سنة (420هـ/1029م) وسيعود في الوقت المناسب ليتولى الخلافة[2]، وقد كان هذا الرجل من قلعة رباح[**] واسمه خلف الحصري، فأشاع القاضي ابن عباد بأن هشاماً لم يمت وإنما كان متخفياً في مالقة، حينما وثب على بن حمود إلى قرطبة، ثم ذهب إلى المرية وبعدها إلى قلعة رباح[3] ولقد كان هذا الرجل يعمل في إحدى قرى أشبيلية، وقد بهت هذا الرجل عندما أحاط به الناس بعد خروجه من المسجد، وأعلنوا خلافته للناس، وشهد الشهود وكبار رجال الدولة، بأنه الخليفة هشام المؤيد، وقد عين إسماعيل بن محمد بن عُباد حاجباً له[4].

وبعث القاضي ابن عُباد بذلك كتاباً إلى شتى أنحاء الأندلس ومدنها يدعو الناس إلى الدخول في طاعة هشام المؤيد، فاستجاب له بعض رؤساء وأمراء الأندلس، منهم عبدالعزيز بن عامر صاحب بلنسية، وصاحب دانية، وصاحب طرطوشة، والمنذر ابن يحيى صاحب سرقسطة، وقد كان اعتراف بن جهور للأسباب نفسها والتي حملت ابن

---

(1) سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص201؛ خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص228.

(*) يسمى هذا الرجل خلف الحصري لأنه كان يعمل حصرياً في مصنع للحلفا، فأقاموه خليفة على أنه هشام المؤيد زمناً إلى أن أظهر موته المعتضد بن عباد بعد ذلك، ونعاه إلى رعيته سنة (455هـ/1063م)، واستظهر بعهد عهده له هشام المزعوم، بأنه الأمير بعده على جميع بلاد الأندلس = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (2) ص68.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، 630/7؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 197/3، 198.

(**) قلعة رباح: مدينة محدثة ايام بني اميه، تقع بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة، وله حصون حصينة= الحميري: المصدر السابق، 163.

(3) تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص216.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 132، 199، 200؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص217.

عُباد للقيام بتنصيب هشام المزعوم خليفة، وذلك لصد أطماع الحموديين[1].

ولقد ندد بهذه المزاعم المفكر الكبير ابن حزم الأندلسي في أحداث تولية هذا الخليفة بقوله: "آخلوقة لم يقع في الدهر مثلها، ظهر رجل بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد، وادعى أنه هو فبويع له بالخلافة، وخطب له على جميع منابر الأندلس، في أوقات شتى، وسفكت الدماء، وتصادمت الجيوش في أمره"[2].

وفي أثناء أحداث ظهور هذا الخليفة المزعوم، الذي نصبه أبن عباد في أشبيلية، كان يحكم سرقسطة، المنذر بن يحيى التجيبي، والذي رفض الدخول في هذه الدعوة كما سبقت الاشارة الى ذلك سابقاً، حيث كان هذا الرفض سبباً في مقتله على يد رجل من كبار قواده يدعى "عبد الله بن حكيم" مدعياً أن سبب مقتله هو عدم اعتراف المنذر بن يحيى بدعوة هشام المؤيد، وعند ذلك اضطربت الأمور، وعم الهرج والمرج، الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى أن يتولى حكم سرقسطة سليمان بن هود الجذامي[3].

وفي عهد سليمان المستعين بن هود، اعترف بدعوة هشام المؤيد، حيث ذكر صاحب البيان المغرب: "أنه في سنة (435هـ/1043م) دخل سليمان بن هود الجذامي صاحب الثغر الأعلى ومعه مقاتل الصقلبي صاحب طرطوشة، وعبدالعزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية، وغيرهم من الرؤساء، في دعوة هشام المنصوب في أشبيلية"[4].

ومما سبق يتضح مدى انتهازية المعتضد بن عباد لقضية الخلافة الاموية، ورغبته في تحقيق اطماع سياسية يعجز عن تحقيقها بحد السيف ومن جهة أخرى فان هذه الحادثة برهنت على مدى تعلق الأندلسيين بقضية الخلافة الأموية المنتهية .

أما بنسبة لبني هود فقد استجاب سليمان بن هود لهذه الدعوة فحسن علاقته مع

---

(1) ابن عداري: المصدر السابق: 219/3؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص217، 218.

(2) علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الثالث عشر، الجزء الثاني، (القاهرة، 1951م)، ص83؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص217.

(3) ابن الخطيب: المصدر السابق، 170/2، 171؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 178/3، 179، محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص269، علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالأندلس، ص26.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 219/3.

بني عباد في اشبيلية إذا لم تشر المصادر التي اطلعت عليها الى وقوع أي اضطرابات ومشاكل بين بني هود وبني عباد خلال فترة حكم سليمان بن هود لمملكــة سرقســطة حتى وفاته عام (438هـ/ 1046م).

5- علاقة أحمد سليمان بن هود بملوك النصارى في الشمال:

عندما تولى سليمان المستعين بن هود حكم إمارة سرقسطة وأعمالها كانت حدود مملكته سرقسطة تتصل مباشرة بحدود الإمارات، والممالك النصرانية جميعها(1)، لــذا فإن موقعها الخطر الدقيق النائي المنعزل في شمال شرق الجزيــرة، وابتعادهــا عــن مجموعة الدول الأندلسية الأخرى حتم عليها مضاعفة الجهــود للــذود والــدفاع عــن استقلالها ضد مختلف الأطماع المضطرمة من حولها(2). خاصة وأن هؤلاء النصارى الأسبان، يعتبرون أنفسهم أقدر على مبادرة المسلمين بالهجوم، بعد أن تمزقت وحــدتهم بانهيار الخلافة الأموية(3)، لذا فإن بني هود قد نجحوا إلى حد كبيــر فــي أن يتقــوا عدوانهم، أطول وقت ممكن وأن يجنبوا بلادهم من تلك الغزوات المخربة التي تتعرض لها دول الطوائف الأخرى(4). حيث ظهر دور قشتالة في تــاريخ الثغــر، عنــدما دب الصراع بين سليمان أبن هود، والمأمون بن ذي النون،وذلك بسبب ميل بعض ســكان وادي الحجارة كما سبق لي ذكره، للانضمام إلى مملكة سليمان بن هود، فكان رد فعل المستعين ابن هود، أن أذاق بن ذي النون من نفس الكأس التي تجرع منها(5)، فطلــب معونة فرناندو ملك قشتالة، على أن يؤدي له الجزية، ولم يتــردد ملــك قشــتالة فــي الاستجابة إلى طلبه، طالما سيحصل على ثمن مناصرته له، بالإضافة إلى سيسهم مــن جانبه في إضعاف الجبهة الإسلامية، المتمثلة في مملكتي بني هود، وبني ذي النــون، ومنذ ذلك الحين بدأت علاقات طيبة تسود بين قشتالة وبين بني هود أصــحاب الثغــر

---

(1) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص12.
(2) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص264، 265.
(3) عبدالمحيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، ص105.
(4) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص296.
(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 277/3، 278؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 177/2.

الأعلى، وهي علاقات نفعية لكل من المملكتين[1].

وعندما أحس المأمون أن العلاقات قد توثقت بين المستعين أبن هود وفرنانـــدو ملك قشتالة، تطلع إلى مساندة غرسيه ملك نافار، الذي عاثت قواته في بلاد بني هود، فسلبت وهبت في حين اعتمد بنو هود على مساندة ملك قشتالة، وبفضل هذه المســاندة شددت قوات المستعين من ضرباتها الموجهة صوب طليطلة إلى الحد الذي دفع أهــل طليطلة إلى الاستعانة بفرناندو ملك قشتالة نفسه، والذي اشترط عليهم شروطاً جــائرة لوقف تلك الحروب، وعندما عجزوا عن أدائها قــال لهــم قولتــه المشــهورة: "إمــا استدعاؤكم المغاربة فأمر تكثرون به علينا وتهددوننا به ولا تقدرون عليه مع عدواتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التــي غلبتمونــا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضى لكــم، وقــد نصــرنا الآن علــيكم برداءتكم فارجعوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكناكم معنــا بعــد اليوم ولنا نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم"[2].

ولعل هذا الرد يمثل سياسة أسبانيا النصرانية حول الأندلس أحسن تمثيل[3].

وهكذا وبعد ثلاث سنوات من بدء النزاع بين ابن هود وابن ذي النون، أصبحت أراضي المملكتين في حالة يرثى لها من التخريب والدمار، الذي حل بها، وجاءت وفاة ابن ذي النون المفاجأة سنة (438هــ/1046م) إنقاذاً للمملكتين من التدخل القشتالي[4].

6- وفاته وتقسيم المملكة بين أبنائه:

توفي سليمان بن هود سنة(438هــ/ 1046م) تاركاً مملكته قوية[5]، وقد حاول

---

(1) ابن عداري: المصدر السابق، 277/2، 270؛ محمد عبد الله عنــان: دول الطوائــف، ص281، 282، عبدالمجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، ص130، 132.

(2) ابن عداري: المصدر السابق 281/3، 282؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق،442/1، سعد عبدالحميد زغلول: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1995م)، ص291.

(3) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص339.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 282/3؛ عبدالمجيد نعنعي: الإســلام فــي طليطلــة، ص135؛ ليفــي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، 123/3.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 282؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص11.

سليمان بن هود ان يجنب ابناؤه النزاع على السلطة من بعدة فعهد الى كل واحد مــن ابنائه الخمسة بنصيب في المملكة، لكن ابنه احمد المقتدر كان اكثر ابنائه حكمة وقــوة فتولي امر المملكة[1]، اذا استطاع ان ينجو بمملكته من العواصف التي كانــت تشــتاح ممالك الطوائف الاخرى فكانت مملكته درة الأندلس الاسلامية[2]، وهو ما سوف أتناوله بشي من التفصيل في الصفحات اللاحقة من هذه الدراسة.

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 222/3.
(2) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص13.

الفصل الثاني

مملكة سرقسطة منذ تولية أحمد المقتدر وحتى دخول المرابطين الأندلس ودخول مملكة سرقسطة لنفوذهم سنة (503هـ/1110م)

أولاً: أهم الأحداث السياسية التي شهدتها مملكة سرقسطة عقب وفاة سليمان بن هود:

أ- أحمد المقتدر وصراعه مع إخوته الأربعة حول عرش المملكة.

ب- غزو النورمان لمدينة بربشتر عام (456هـ/1063م).

ج- استعانته بخدمات السيد القمبيطور.

د- وفاته وتقسيم المملكة بين أبنائه (474هـ/1081م).

ه- يوسف المؤتمن وصراعه مع أخيه المنذر حول عرش المملكة.

ثانياً: أحداث سرقسطة بعد وفاة أحمد المقتدر بن هود (474هـ/1081م):

أ- يوسف المؤتمن وصراعه مع إخوته الأربعة حول عرش المملكة

ب- أطماع يوسف المؤتمن للسيطرة على مملكة بلنسية.

ج- استيلاء الفونسو السادس على مملكة طليطلة وأثره على مملكة سرقسطة سنة (478هـ/1086م).

ثالثاً: دخول المرابطين للأندلس (478هـ/1086م) وأثره في ضم مملكة سرقسطة لنفوذهم سنة (503هـ/1110م):

أ- علاقة بني هود بالمرابطين عقب انتصار الزلالقة (479هـ/1086م).

ب- دخول سرقسطة تحت نفوذ دولة المرابطين سنة (503هـ/1110م).

أولاً: الأحداث السياسية التي شهدتها مملكة سرقسطة عقب وفاة سليمان بن هود:

أ- أحمد المقتدر بن هود وصراعه مع إخوته حول عرش المملكة:

سبق لي وأن ذكرت في الفصل الأول من هذه الدراسة، أن سليمان بن هود مؤسس مملكة بني هود في سرقسطة، كان قد قسم مملكته قبل وفاته سنة (438هـ/1046م) بين أولاده الخمسة، فولى ابنه أحمد مدينة سرقسطة البيضاء، وولى يوسف مدينة لاردة، وولى ابنه محمداً مدينة قلعة أيوب، وولى المنذر مدينة تطيلة، وولى لباً(*) مدينة وشقة[1].

ولقد استقل كل منهم بحكم مدينته وأعمالها، غير أن هذا التقسيم لم يكن عملاً سليماً، بل على العكس من ذلك، فقد كان هذا التقسيم من المساوئ السيئة، لسياسة سليمان بن هود.

حيث كان هذا التقسيم نذيراً لقيام الخلاف والحرب الأهلية بينهم، وكان ابنه أحمد المكنى بأبي جعفر، صاحب سرقسطة، وهو الذي لُقب فيما بعد باسم المقتدر، من بين إخوته الخمسة وأشدهم طمعاً، إلى انتزاع ما في أيديهم[2]. هذا وقد وصفه ابن سعيد نقلاً عن الحجاري في المسهب بأنه: "عميد بني هود ورئيسهم وكريمهم ذو الغزوات المشهورة والوقائع المذكورة من رجل كان يعاقب من حس الكؤوس وقطف الرؤوس"[3].

وبالفعل فقد ظهرت هذه الصفات في علاقته مع إخوته، فلقد استطاع أن يحتال على ثلاثة من إخوته بالوعيد والخداع وهم محمد والمنذر ويوسف، وبلغت به القسوة

(*) لب: كلمة أندلسية معربة عن "لوبو – Lobo" الأسبانية ومعناها الذئب = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1)، ص 82.

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، 222/3، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 177/2؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص242.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، 247/2؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 222/3، محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص272.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، 436/2.

أن سل عيونهم بالنار، غير أن أخاه يوسف صاحب لاردة، وهو المسمى بحسام الدولة الذي كان نداً وبطلاً شهماً، والذي استطاع وحده أن يقف في وجه أطماعه وأن يحبط من محاولاته ودسائسه[1].

وهنا وقعت الحرب الأهلية بين الأخوين، ولما رأى أهل الثغر ما صنعه أحمد أبن سليمان بإخوته كرهوه وسخطوا عليه ونادوا بخلعه، وخرجت معظم القواعد عن طاعته، وانضمت إلى أخيه يوسف، وقاموا بدعوته، ولم يبق لأحمد إلا مدينة سرقسطة، وكان يوسف بن سليمان بطلاً شهماً، وتلقب لذلك بالمظفر، لكنه كان قليل الحظ، إذ كان أخوه أحمد أسعد منه حظاً[2]، وانتقم أحمد بن سليمان من أخيه يوسف المظفر، انتقاماً غير أخلاقي وذلك حينما عانت مدينة تطيلة من حدوث مجاعة وغلاء شديد بها، إذ كانت تحت حكم أخيه يوسف المظفر، فاستنجد أهل المدينة بيوسف المظفر، فطلب المظفر إلى سكان الثغور بجمع المؤن والطعام وأرسله إلى مدينة تطيلة[3]، ولكن وصول هذه المؤن كان يستلزم المرور بالأراضي التابعة للمظفر أو بالأراضي التابعة لمملكة نافار، فأرسل المظفر سراً إلى غرسيه ملك نافار، بعد أن بعث إليه الأموال لكي يسمح له بمرور القافلة عبر أراضيه إلى تطيلة، فوافق الملك الأسباني على ذلك[4]، فلما عَلِمَ أخيه أحمد بذلك بعث سراً إلى غرسيه ملك نافار، يعرض عليه ضعف الأموال التي عرضها عليه أخوه المظفر على أن لا يمنعه من الفتك بالقافلة، وذلك حين مرورها داخل أراضيه، فاستجاب ملك نافار لهذا الإغراء الدنئ وقضي على القافلة اثناء مرورها[5].

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، 222/3؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص227، حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص13.

(2) ابن عذارى: المصدر نفسه، 222/3؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص13؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص227.

(3) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص240؛ تقي الدين الدورى: المرجع السابق، ص228.

(4) ابن عذارى: المصدر السابق، 222/3؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص272، تقي الدين الدورى: المرجع السابق، ص228.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، 222/3؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص272.

وانتهى الأمر بضياع القافلة والفتك بها، وكانت تتكون من بضع آلاف من الجند وعدد كبير من الخيل والدواب، حيث ما كادت تتجاوز أراضي نافار، وشرق شمال تطيلة حتى داهمتها قوات أحمد المقتدر بن هود وفتكت بها، وأبيد معظم رجالها قتلاً واستولي، النصارى على أسلابهم، وما كان معهم من المؤن، ولم ينج منها سوى القليل[1].

وقد نبهت هذه الكارثة عما كانت تنطوي عليه صفات أحمد بن سليمان المقتدر من غدر وخديعة أدت إلى ضعف أمر يوسف وتقلص سلطانه واشتداد باس أخيه احمد الذي هابه الناس وجمع معظم المملكة تحث يديه[2].

لذلك لم يجد الناس بداً من الاعتراف بسلطان احمد المقتدر بن هود أما يوسف بن هود فقد تم القبض عليه وسجنه بقلعة روطة حتى وفاة أخيه احمد المقتدر سنة (474هـ/1081م)[3].

لقد حاول الأخوان أن يصطلحاً حسب ما ذكره ابن بسام صاحب الذخيرة إذ يضيف بإن الأخوين إلتقيا من اجل الصلح والكف عن الفتنة وعدم رفع السلاح، وكان اللقاء ودياً في بدايته إلا أن احد رجال احمد المقتدر بن هود قد هم بقتل يوسف المظفر وطعنه ثلاث طعنات لم تأتي عليه لأنه كان يرتدي درعاً تحت ملابسه وهنا أعلن يوسف المظفر أن هذا غُدر فهم أصحابه بالأشتباك مع إتباع احمد المقتدر الذي لا يستبعد أن يكون وراء هذه المحاولة لكنه تبرأ من هذه الفعلة فتم قتله صاحب المحاولة وهو احد علوجة [*] ورفع رأسه على رمح فهدا الموقف وهدأ أصحاب يوسف المظفر.

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، 223/3-224؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص291، محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص273.

(2) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص291؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص281.

(3) ابن الآبار: الحلة السيراء، 248/2؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص291.

(*) العلج هو الشديد من الرجال قتالاً من كفار العجم= ابن منظور: المصدر السابق، 227/2؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الجيل، (بيروت، د ت)، 1/ 207.

ويبدو أن الصلح بين الأخوين لم يدم طويلاً وعاد الأخوين إلى ما كانا عليه من الفرقة والخصام[1].

تسبب هذا الصراع بين الأخوين إلى ضعف أسرة بني هود، وأثر ذلك تـأثيراً واضحاً على الأهالي ومداخيلهم التي تعرضت إلى المصادرة والضرائب الباهضة لسد نفقات الحرب بين الإخوة، وإذا ذلك إلى ضعف الأسرة وضعف كيان المسلمين في هذه المملكة، التي كانت حاجزاً بين الإمارات الإسلامية وممالك النصارى الأسبان [2].

ب- غزو النورمان[*] لمدينة بربشتر "Barbastro" (456هـ/1064م):

من أهم الأحداث التاريخية التي شهدها عهد أحمد بن هود، بل لعلها من أهم الأحداث التاريخية التي شهدها تاريخ المسلمين في الأندلس على السواء، هو غزو النورمان لمدينة بربشتر، وفتكهم بأهلها أبشع وأفظع ما سجلت كتب التاريخ[3].

وقبل الحديث عن غزو النورمان لهذه المدينة، يجدر بي أن أتطرق إلى التعريف بالموقع الجغرافي الذي تتميز به هذه المدينة، حيث تقع مدينة بربشتر على بعد " 60" كم شمال مدينة سرقسطة، على إحدى فروع نهر الآبرو "Ebro" بين مدينتي لاردة وسرقسطة، الذي يصب في البحر المتوسط، بعد أن يمر بمدينة طرطوشة، وهي من أمنع القواعد الإسلامية الشمالية في الأندلس[4].

هذا وقد سجلت الروايات التاريخية أحداث هذه النكبة "أن الفرنجة خرجوا من الأرض

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص226 – 424.
(2) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص292.
(*) سموا بهذا الاسم نسبة إلى إقليم نورماندي الذي يقع في شمال غرب فرنسا، والذي استقر به النورمانديين سنة(299هـ/911م) بعد حروب ومفاوضات مع شارل الثالث الملقب بالأبله، وقد غزا بعضهم إيطاليا واتصلوا بالبابوية وهناك نصحهم الناس بالاتجاه لحرب المسلمين في الأندلس حيث غزو مدينة بربشتر واعملوا في أهلها قتلاً ونهباً = ابن الآبار: الحلة السيراء، هامش المحقق رقم (2) ص247؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: هامش رقم (107)، ص243.
(3) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف: ص274.
(4) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش الحقق رقم (6) ص72؛ عبدالله محمد الزيات: رثاء المدن في الشعر الأندلسي، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي 1990م)، ص199.

الكبيرة[*] ، أي غالة، إلى الأندلس في جموع كبيرة ليس لها حد ولا يحصى لها عدداً إلا الله وانتشروا على ثغور سرقسطة"[1].

وقد تميزت هذه الحملة بالطابع الصليبي، حيث بشر بها البابا " اسكندر الثاني في إيطاليا وأسبانيا وفرنسا"[2] ، وكان الهدف منها هو إنقاذ مملكتي " أرغون ونافار" في شمال أسبانيا من الخطر الإسلامي بمنطقة الثغر الأعلى، ولاسيما بعد كارثة "جردواس" التي قُتل فيها ملك أرغون راميرو الأول سنة (455هـ/1063م) على يد أحمد بن هود ملك سرقسطة[3].

وقد سار الجيش الأوربي المؤلف من نحو عشرة آلاف فارس من فرنسا إلى منطقة قاطولينة تحميه من الخلف، مملكة برشلونة الأسبانية[4] ، وقصد أولاً مدينة وشقة فحاصرها أياماً وعندما لم يفلح الجيش المشترك في د خولها، سار شرقاً إلى مدينة بربشتر وضرب حولها الحصار في أوائل سنة (456 هـ/1063م) وهي لا تقل عن مدينة وشقة أهمية وحصانة[5]، حيث كان الماء يأتي إلى المدينة من سرب[**] تحت الأرض من النهر حتى يدخل إليها فيخترقها فخرج أحد الخونة من أهل المدينة ودلهم عليها فساروا إليه وهدموه، وقام العدو بهدم القناة وإلقاء صخرة كبيرة حالت دون وصول الماء إلى المدينة

(*) المقصود بالارض الكبيرة هي شمال غرب فرنسا حيث كان أهلها في الوسيط يسمونها بهذا الاسم "Barbastro" ويقصد بذلك الاقاليم شمال غرب فرنسا واهلها اقليم نورماندي، الذي كان يسكنه النورماندين= ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1)، ص 71.

(1) مؤلف مجهول: كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه د. سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، (الدار البيضاء،1979م)، ص76.

(2) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين "صفحة مشرقة من تاريخ العرب في العصور الوسطى"، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1957م)، ص290.

(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص70.

(4) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص275.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، 224/3، 245؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص275.

(**) السرب: هو حفير تحت الأرض يدخل أو يخرج منه الماء = ابن منظور: المصدر السابق، 466/1.

وانقطع الماء عن أهل المدينة[1]. ولما اشتد الظمأ بأهل المدينة وأحسوا بأنه لا مفر من الاستسلام وتسليم المدينة للغزاة أرسل أهالي بربشتر إلى قائد الحملة يطلبون منه عدم التعرض إلى أولادهم وأنفسهم إذا ما وافقوا على الاستسلام[2] ، إلا أن النصارى فتكوا بأهلها فتكاً ذريعاً، وذلك في أوائل سنة (456 هـ/1063م)[3] ، حيث أوقع النصارى بأهل المدينة، فقامت مذبحة قتل فيها خلق كبير بلغ عددهم أكثر من ستة آلاف قتيل بخلاف من هلك منهم، عندها أذن لهم الغزاة بالخروج من أبواب المدينة في التزاحم في الخروج[4]، أما من لاذ من المسلمين بالقصبة، فقد أمنهم الغزاة النصارى فخرجوا من المدينة وانتشروا في بسط الأرض، فلما رأى قائد الحملة كثرتهم وانتشارهم في البلاد، خاف أن تُدركهم الحمية في استنقاذ أنفسهم، فأمر بقتلهم وبعضهم ينظر إلى بعض من رجال ونساء، ولقد بلغ عدد القتلى نحو ستة آلاف[5] ، أما عدد من وقع في السبي من نساء المدينة وبنات المسلمين الجواري الحسان والأبكار، ومن صبيانهم الأيفاع، ألوفاً عدة وزعوا على المشاركين في الحملة من النصارى، فبلغ نصيب قائد خيل رومة نحو خمسة آلاف جارية، أبكاراً كلهن، وبلغ جملة عدد القتلى والسبى مائة ألف نسمة[6]. هذا وقد تخير النصارى من نساء المسلمين وأهل الحسن منهم خمسة آلاف جارية وأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية وغنموا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه[7] ، وذلك بعد أن أنهكوهم عطشاً وتـ جويعاً في حصار المدينة، حيث قسم النصارى دور المدينة و ساكنيها وعاثو فسادا وقامو باعمال تقشعر لها الابدان ولا تقرها الشرائع السماوية وقد عبر ابن عذارى عن تلك

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، 225/3؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص231.
(2) المصدر نفسه، 225/3؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص275، 276.
(3) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، ص27؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، 186/2.
(4) ابن عذارى: المصدر نفسه، 226/3؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، مج186/2.
(5) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص182؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص231.
(6) المصدر نفسه: ق3، مج1، ص182؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص277، شكيب أرسلان: المرجع السابق، 186/2.
(7) الحميرى: المصدر السابق، ص40؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص277.

الافعال بقوله :" الحول والقوة لله" [1] ، وقد تعددت آراء المؤرخين حول هذه المذبحة إذ وصفها ابن عذارى بـأنها " اشد الرزايا على المسلمين في الأندلس" ووصفها شكيب ارسلان " بالفاجعة التي اصابت المسلمين فى الاندلس ان لم تكن اكبر فاجعة تعرض لها الاسلام في تاريخه الوسيط"[2] .

ولقد اهتزت الأندلس من أقصاها إلى أقصاها وسادها الاشمئزاز والروع لتلك الفظائع والشناعات التي لم يُسمع بمثلها[3] ، ولم يفكر أحمد بن هود بنجدة المدينة في بداية الأمر لكونها من أعمال أخيه يوسف، الذي تخاذل بدوره عن تقديم أي عون لها، فتركها تلاقي مصيرها[4].

ولما استولى النصارى على هذه المدينة ترك فيها قائد الحملة ألف فارس وأربعة الألف راجل ورحل منها إلى بلاده[5] وكان لنكبة بربشتر اثر كبير في نفوس المسلمين في الأندلس وتنادوا للجهاد وهنا أبى احمد بن هود التكفير عن ذنبه بسبب موقفه المتخاذل فاستعد لتحريرها[6] ، ونادى بالنفير للجهاد في سائر بلاد المسلمين، فحميت نفوس أهل الإسلام وجاء منهم خلق عظيم لا يحصى عد ده، حيث وصل من سائر بلاد الأندلس ستة آلاف من الرماة المهرة [7]، ولبا دعوة الجهاد كذلك عبدالملك بن جهور صاحب قرطبة[8]، حيث يروي ابن حيان نقلاً عن ابن بسام معركة استرداد بني هود لبربشتر في 8 جمادي الأول سنة (457 هـ/1064م) بقوله: " أن أحمد المقتدر بن هود عندما عزم على استرجاعها، وتأهب لقصدها، سار نحوها مع رجال المعتمد بن عباد، الذين بلغوا نحو

---

(1) ابن عذارى :المصدر السابق ,226/3.
(2) المصدر نفسه: 226/3.
(3) شكيب ارسلان: المرجع السابق، 2/ 186.
(4) تقى الدين الدورى : المرجع السابق، ص230؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ,ص277.
(5) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج 1، ص 178، 190؛ خليل ابراهيم السامرائي وآخرون: المرجــع السابق، ص 243.
(6) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 2/ 185، 187.
(7) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص 73؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص 232.
(8) حنان علي ابو صاع: قرطبة في ظل بني جهور (422- 462هــ/ 1031- 1070)،رسالة ماجســتير غير منشورة، (جامعة بنغازي، 2007م)، ص 48.

خمسمائة فارس من المغاربة، وغيرهم من أبطال الأندلس، فنزل عليها بجمعه فجالدوا المسلمين بباب المدينة، جلاداً ارتاب منه كل جبان إلى أن نصر الله أولياءه، وزلزل أعداءه، وولوا الأ دبار، مقتحمين أبواب المدينة فاقتحم المسلمون عليهم وملوكها أجمعين"[1].

فلما رأى النصارى ضخامة الحشود الإسلامية آثروا التحصن داخل أسوار المدينة، فأمر أحمد بن هود بضرب الحصار حولها في جمادى الأول عام (457هـ/1064م) واستبسل المسلمون في استرجاع المدينة المنكوبة، وقد أفلحوا في ذلك بثقب أسوارها، فغادرها الأسبان مهزومين[2]، ونشبت بين الطرفين معركة شديدة مزق فيها الأسبان، وهلك معظمهم، وأسر من كان بالمدينة من أهلهم، وحملوا منهم سبايا إلى سرقسطة خمسة آلاف، كما غنم المسلمون ألف فرس، غير الأموال والسلاح، ولم يصب من المسلمين إلا نحو الخمسين بعد أن دام احتلالها والعبث فيها تسعة أشهر[3]، وبذلك تمكن المسلمون من استرجاع مدينة بربشتر وغسلوها من رجس الشرك وجلوها من صدأ الإفك[4].

ولقد كان هذا الانتصار الذي أحرزه، أحمد بن هود في هذه المعركة سبباً فيما حظى به من أمجاد وبطولات حيث عبر عن ذلك ابن الخطيب بقوله: "فشاع له بذلك ذكر جميل وصيت شهير"[5]، وكان اقتحامه لها لثمان خلون من جمادي الأولى، سنة (457هـ/1064م) بعد حصار لها دام تسعة أشهر، وبعد ذلك لقب ابن هود بالمقتدر بالله[6].

---

(1) ابن عذارى :المصدر السابق ,227/3.
(2) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج 1، ص 190.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 226/3؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص232، ومحمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص279.
(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 227.
(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 171
(6) الحميري: المصدر السابق، 21.

ج- استعانة أحمد بن هود بخدمات السيد القمبيطور:

لعل من أهم الأحداث السياسية التي تميز بها عهد أحمد بن سليمان بن هود، هو استعانته بخدمات السيد القمبيطور، الذي لعب دوراً مهماً في أحداث الثغر الأعلى في عصر ملوك الطوائف، حيث قدر للحروب التي دارت ما بين ملوك أسبانيا النصرانية وبين المسلمين أن تربى في صفوفها طائفة من الفرسان ذوي قدرة حربية وصبر وشجاعة، وستتحمل هذه الطائفة عبء الكفاح مع المسلمين إلى جانب ملوكها[1]، والسيد القمبيطور واحد من ذلك الجيل المقاتل من فرسان أسبانيا النصرانية الذي ملأ أرض الجزيرة الأندلسية خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري،/ الحادي عشر الميلادي بأعمال الشجاعة والكفاح والتخريب والدمار[2].

والاسم الحقيقي للسيد هو "ردريغو دياز - Rodrigo Diaz" لأنه ولد في قرية "Dirar"، والمراجع العربية تسميه "لذريق" أو "الطاغية لذريق"، وكان والده من رجال فرناندو الأول، وكان يملك إقطاعات على نهر دويرة، ويظن أن لذريق ولد في سنة (437هـ/1045م) أي بعد زوال الخلافة الأموية بخمسة عشرة سنة[3].

وقد كانت بداية دخول السيد القمبيطور في خدمة أحمد بن سليمان بن هود عندما دارت أحداث معركة قرب بلدة جردواس ما بين قوات أحمد بن هود صاحب سرقسطة، تساندها القوات القشتالية، وبين قوات راميرو ملك أرغون، وقد انتصر فيها القشتاليون انتصاراً باهراً، وحيث اشترك السيد القمبيطور مع جنود قشتالة وعرف بأنه محارباً بارعاً[4]، وهكذا نرى أن السيد القمبيطور شهر سلاحه أول ما شهره، وهو في صفوف الجيش الإسلامي، وذلك في أثناء مدافعته للأسبان المسيحيين. وفي عام (463هـ/1070م) قتل الملك شانجة عند أسوار سموره، فاستدعى أخوه الفونسو

---

(1) حسين مؤنس: السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، (القاهرة، 1958م)، ص 41.

(2) المرجع نفسه: ص41.

(3) المرجع نفسه: ص41.

(4) عبدالواحد شعيب: دور المرابطين في الجهادي بالأندلس، (468-530هـ/1086-1147م) منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (طرابلس، 1990)، ص79، 80.

السادس واعتلى عرش قشتالة وليون، ومنذ ذلك الحين، انتقل السيد إلى خدمة الفونسو الذي كلفه بتحصيل مال الجزية من ملك أشبيلية، ولكن ما لبث أن قرر الفونسو في سنة (474هـ/1081م) نفي السيد من بلاده بعد أن خرج دون أمر سيده وحارب نفراً من جند طليطلة المسلمين عند حصن "غرماج" على نهر دويرة، هذا فضلاً عن استيلاء السيد على نصيب من الأموال التي جباها من المعتمد بن عباد لنفسه، ولقد كان نفي السيد من بلاده نقطة تحول مهمة في تاريخ حياته، فعاش فترة طويلة مليئة بالأحداث والمغامرات، خرج فيها عن كل اعتبار ديني أو قومي، وأخذ يبحث وراء طلائعه، فيعمل تارة لحساب الأمراء المسلمين، وتارة أخرى لحساب أمراء النصارى[1].

وعند ذلك خرج السيد من قشتالة على رأس فرقة تضم نحو ثلاثمائة فارس، وعرض خدماته أولاً على كونت برشلونة، رامون بيرنجر، ولما لم يجد منه ترحيباً انتقل إلى سرقسطة وعرض خدماته على أميرها، أحمد المقتدر بن هود الذي أحسن استقباله، وذلك في نفس السنة التي توفى فيها أحمد بن هود عام (474هـ/1081م)، وكان أحمد بن هود أول من أولاه رعايته واستخدمه من الملوك المسلمين قبيل وفاته بقليل[2].

ويبدو أن لقب السيد الذي لازمه طوال حياته، قد أطلقه المسلمون عليه، ذلك لأنه كان يقود جنداً منهم[3].

د - سياسة أحمد المقتدر الخارجية:

بتولي أحمد المقتدر بن هود مقاليد الحكم في سرقسطة، واجه صعوبات عديدة على صعيد علاقاته الخارجية[4]، وليس هناك سبيل إلى الشك في أنه كان أقدر ملوك الطوائف على مغالبة شدائد عصره الفياض بالمآسي، وأمهرهم في النجاة ببلده

(1) عبدالواحد شعيب: المرجع السابق، ص80، 81.
(2) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص183، 184؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص281.
(3) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص14.
(4) عبدالكريم التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م، ص261.

وعرشه[1]. ونتيجة لطول فترة حكمه، فقد آثرت أن قسم سياسته الخارجية إلى قسمين:

أ – علاقته مع بعض ملوك الطوائف:

1- علاقة أحمد المقتدر مع بني ذي النون في طليطلة:

بعد أن تولى أحمد المقتدر بني هود حكمه لسرقسطة، صار أقوى أمراء المتاخمين لمملكة طليطلة من ناحية الشمال والشرق[2]. وكان يحكم طليطلة في تلك الفترة يحيى القادر بن ذي النون، الذي كان يتميز بقلة الخبرة السياسية، وبالتالي صارت بلاده مطمع جيرانه من أعداء جده السابقين، كابن عباد، والمقتدر بن هود، الذي لم ينس غارات المأمون بن ذي النون على أراضي مملكة والده سليمان المستعين قبل ثلاثين عاماً، فأراد أن ينتقم منه، فاستعان بأحد ملوك النصارى وهو سانشو راميرز، ملك أرغون، الذي قام بالإغارة على أراضي طليطلة، وتمكن من الاستيلاء على مدينة شنتمرية، وملينة التابعتان لمملكة طليطلة[3].

هذا وقد قام القادر بن ذي النون بالوقوف في وجه هجمات ابن هود، وملك أرغون، فبادر بإرسال قوة من الجيش لصد هجمات المغيرين، غير أنهم ما لبثوا أن انصرفوا دون قتال، الأمر الذي عده القادر بن ذي النون مكسباً كبيراً له[4].

2- علاقة أحمد المقتدر بصاحب طرطوشة:

بعد أن تولى أحمد المقتدر بن هود حكم سرقسطة بعد انتهاء الحرب الأهلية، التي قامت بينه وبين إخوته الأربعة حول عرش المملكة، التي انتهت بانتزاع نصيبهم

(1) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (جدة، 1985م)، ص246.
(2) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص111.
(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص81، 82؛ دوزي رينهارت: المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1995م)، 125/3.
(4) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص81.

في عرش المملكة، باستثناء أخيه يوسف المظفر الذي تولى حكم لاردة[1]، أصبح أحمد المقتدر أميراً صارماً وافر الأطماع[2]، حيث تطلع إلى ضم إمـــارة طرطوشـــة إلـــى أراضيه وكانت مجرد إمارة صغيرة[3]، حيث كان ثغر طرطوشة هو مخرج سرقسطة إلى البحر الذي يعمل على تصريف تجارة المشرق وتجارة الأندلس والمغرب ويعمـــل على تصريفها إلى أوروبا، وإذا استثنينا ثغر طركونة الواقع على حدود إمارة برشلونة، الذي كان من أعمال لاردة وبالتأكيد فإن استيلاء الفتيان العامريين على هذا الثغر يُحرم بني هود من الكثير من الأموال[4].

وقد كانت طرطوشة تحت حكم الفتى نبيل الصقلبي في سنة (450هـــ/1058م) الذي كان يفتقر للحنكة السياسية والكفاءة الإدارية، لذا ثار عليه أهل طرطوشة في سنة (452هـــ/1060م) بسبب سوء معاملته لرعيته[5]. ولقد كان المقتدر بن هود ينظر إلى سيطرة أولئك الفتيان بعين السخط، ويتحين الفرص لانتزاع هذا الثغر المهم من أعمال مملكته[6].

وعلى أية حال فقد وجد المقتدر بن هود في ثورة أهل طرطوشة ضد حاكمهـــا نبيل الصقلبي ذريعة للتدخل العسكري، فزحف بجيوشه نحو طرطوشة، ودخلها ســـلماً دون مقاومة في سنة (452هـــ/1060م)، وبـــذلك انتهـــت دولـــة الفتيـــان الصـــقالبة بطرطوشة[7] في هذا الثغر ودخلت منذ ذلك الحين في فلك مملكة بني هود بسرقسطة، وأصبحت تتمتع بحمايـــة بني هود الأقوياء أصحـــاب الثغـــــر الأعلـــى، فتحســـنت

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 224/3؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 171/2.
(2) عمر مصطفى لطيف: تاريخ الصقالبة في الأندلس، دراسة تاريخية جديدة، القاهرة، د.ت، ص149.
(3) ابن خلدون: العبر، 163/4؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص273.
(4) عمر مصطفى لطيف: المرجع السابق، ص102.
(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 224/3؛ المراكشي: المعجب، هامش رقم (4) ص75؛ وكمال السيد أبو مصطفى: بحوث ودراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، ص163.
(6) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص254؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، 131/2.
(7) المراكشي: المعجب، هامش رقم (4) ص75؛ كمال السيد أبو مصطفى: دراسات وبحوث فـــي تـــاريخ وحضارة الأندلس، ص163.

أحوالها الداخلية ونَعِمَ أهلها بالهدوء، والاستقرار والأمن في ظل حكم بني هود لها[1].

3- علاقة أحمد المقتدر مع بني عباد في إشبيلية:

سبق وأن ذكرت في الفصل الأول من هذه الدراسة، أن سليمان المستعين بن هود كان قد دخل في دعوة هشام المؤيد المزعوم المنصب في إشبيلية التي أعلنها ابن عباد في إشبيلية سنة (426هـ/1034م)، وذلك لمحاربة دعوى الحموديين في الخلافة[2]. ولقد ظلت العلاقة ما بين بني هود وبين بني عباد في إشبيلية بعد ذلك قائمة على المشاورة والتفاهم، حيث كان المقتدر بالله يستشير حليفه ابن عباد في بعض أموره، ومنها تلك الرسالة التي أرسلها إلى حليفه ابن عباد صاحب إشبيلية يشرح له فيها الأسباب التي حملته على اعتقال أخيه المظفر، صاحب لاردة وسجنه واستيلاءه على لاردة، وضمها إلى ملكه (وهي مذيلة بكتاب محمد عبدالله عنان[3]).

وقد استمرت العلاقات ما بين الحاضرتين يسودها الوئام والمشاورة إلى أن نكب بني هود في سنة (456هـ/1063م) بسقوط مدينة بربشتر في أيدي النصارى مما أثار الخوف والفزع في نفوس ملوك الطوائف، وكان أكثرهم جزعاً لما حدث لبني هود هو المعتضد بن عباد الذي بادر بنصرة المقتدر، فأمده بقوة من الفرسان عددها خمسمائة فارس بقيادة معاذ بن أبي قرة[*]، وكان لهم دور كبير في استرجاع مدينة بربشتر. وتعتبر هذه المشاركة من قِبل بني عباد تعبيرا عن التحالف القائم بينه وبين بني هود[4]، وفي ذلك يقول ابن حيان نقلاً عن ابن بسام: "فلما كان عقب جمادي الأولى من سنة

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 250/3؛ كمال السيد أبو مصطفى: بحوث دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، ص164، ومحمد عبالله عنان: دول الطوائف، ص273، 274.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 219/3؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص216.

(3) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص453-454.

(*) ينتمي معاذ بن أبي قرة إلى بني يفرن الزنانتين الذين استقروا خلال الفتنة أواخر أيام الدولة الأموية وكانت قاعدتهم مدينة رندة، وكان أميرهم في ذلك الوقت يسمى أبو نوار ابن أبي قرة والذي كان معاصراً وحليفاً للمعتضد بن عباد، فلعل هذا القائد المذكور هو أحد أقاربه أو أحد أبنائه = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش رقم (4) ص73.

(4) ابن الكردبوس: المصدر نفسه، ص73؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص232.

سبع وخمسين وأربعمائة شاع الخبر بقرطبة، باسترجاع المسلمين لبربشتر، وذلـــك أن أحمد بن هود الملقب بالمقتدر المفرط فيها، والمتهم على أهلها لانحرافهم إلى أخيه حشد لها مع مدد ابن عباد حليفه"[1].

4- علاقة أحمد المقتدر مع بني جهور في قرطبة:

تُعد مدينة قرطبة قاعدة الأندلس[2] وهي تقع على سفح جبل العروس[3]، وهـــي مستقر خلافة الأمويين وأهم مدائنهم[4].

وكانت قرطبة منذ أن اختارها المسلمون حاضرة لهم في الأندلس، مهد للحيـــاة الرفيعة، ومصدراً للحضارة السامية وموطن الفلاسفة والشـــعراء، ومركـــزاً للفنـــون والآداب[5].

وفي عصر الفتنة التي انتهت بسقوط الخلافـــة وقيـــام دول الطوائـــف، قـــرر القرطبيون في شهر ذي القعدة من سنة (422هــ/1030م) إلغاءهـــا والـــتخلص مـــن الأمويين، ونودى في الأسواق والأرباض بألا يبقى أحد من بني أمية ولا يكنفهم أحـــد، ويصدر قراراً من شيوخ قرطبة وعلى رأسهم أبو الحزم[*] جهور بن محمد بن جهـــور بإخراج هشام المعتد ونفيه من قرطبة، وإعلان نهاية ذلك الملك الذي تداوله على طول ثلاثة قرون نفر من أعظم من رأى العالم الإسلامي من الحكام جلالة ومقـــدرة، حتـــى أصبحت أسماؤهم مرتبطة بعزة الإسلام في تلك البلاد[6].

وبعد إلغاء الخلافة الأموية ابتكر أبو الحزم بن جهور لأهل قرطبة نظاماً جديداً للحكم أشبه ما يكون بالنظم الجمهورية، حيث أنه لم يستبد بالسلطة استبداد غيره مـــن

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص189.
(2) ابن غالب: المصدر السابق، ص295.
(3) حنان بوصاع: المرجع السابق، ص
(4) الحميري: المصدر السابق، ص153. المقريء: نفح الطيب، 459/1.
(5) السيد عبدالعزيز السالم: دائرة معارف الشعب، "مادة قرطبة"، ص18.
(*) أبو الحزم بن جهور: هو جهور بن محمد بن جهور بن عبدالملك بن جهور بن عبدالله بن محمـــد بـــن بخت من وزراء الدولة العامرية موصوفاً بالدهاء والعقل = الضبي: المصدر السابق، ص38.
(6) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص38.

ملوك الطوائف[1]، وقد عرفت هذه الحكومة باسم "حكومة الجماعة". ولاشك أن صفات أبو الحزم كانت من الأسباب القوية التي حملت أهل قرطبة على اختيـاره[2]، خاصـة وأنه كان لا يصدر قراراً إلا باسمهم[3]. وحينما دعى القاضي محمد بن إسماعيل بـن عباد لمبايعة هشام المزعوم باشبيلية سنة (426هـ/1034م) دخـل أبو الحـزم بـن جهور في طاعة هشام المزعوم، ذلك دفعاً لخطر الحموديين عن قرطبة، غير أنه لـم يلبث أن تبرأ من تلك الدعوة وندم عليها[4]. وتوفى أبـو الحـزم بـن جهـور سـنة (435هـ/1043م) فخلفه ولده أبو الوليد بن جهور الذي سار على سياسة أبيه وأسـند منصب الوزارة إلى ابنه عبدالملك[5]، وعاصر عبدالملك بن جهور الفترة التي أعقبـت وفاة سليمان بن محمد بن هود الجذامي وشهد النزاع الذي نشب بين أبنائه الخمسة على عرش المملكة، وتغلب أحمد المقتدر على إخوته وضم بلادهم إلى مملكتـه، وخاصـة الصراع الذي دار بين يوسف بن هود صاحب لاردة وأخيه أحمد بن هـود صـاحب سرقسطة[6]. وقد أورد ابن بسام رسالة بعث بها المظفر يوسف صـاحب لاردة إلـى عبدالملك بن جهور في قرطبة يشرح له فيها ما وقع بينه وبين أخيه أحمد بـن هـود وذلك عندما التقيا طلباً للصلح، وكف العداء، وموقف أخيه أحمـد المقتـدر المخـادع لأخيه، وقد شرح صاحب لاردة تفاصيل تلك المقابلة والتي ذكرها صاحب الذخيرة نقلاً عن ابن حيان[7].

ومما سبق يتبين أن هذه المشاورات التي كانت قائمة بين الحاضرتين، تدل على عمق العلاقة الطيبة ما بين بني جهور في قرطبة وبين بني هود في سرقسطة، ومـع ذلك فإن المقتدر بن هود لم يحرك ساكناً، عندما أقدم ابن عباد على ضم قرطبة إلـى

(1) الحميوي: المصدر السابق، ص27؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص22.
(2) ابن خلدون: العبر، 159/4؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 185/3.
(3) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص65.
(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 199/3.
(5) المصدر نفسه، 232/3؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص22.
(6) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص424.
(7) المصدر نفسه، ق3، مج1، ص224، 225.

مملكته في شعبان من سنة (462هـ/1069م)[1].

5- علاقة أحمد المقتدر بمجاهد العامري في دانية:

تقع مدينة دانية شرق الأندلس على ساحل البحر المتوسط جنوبي مدينة بلنسية[2] وهي قاعدة مهمة، ودار صناعة للأسطول[3]. وفي بداية عصر الفتنة كانت دانية كمثيلاتها من ممالك شرق الأندلس، تخضع للفتيان العامريين حيث تمكن مجاهد العامري من التغلب عليها وحكمها باسمه، ثم تغلب على الجزر الشرقية في حدود سنة (405هـ/1014م)[4].

وتوفي مجاهد العامري في سنة (436هـ/1044م) بعد أن حكم دانية والجزر الشرقية زهاء ثلاثين عاماً، وخلفه على الحكم ولده علي الملقب بإقبال الدولة سنة (436هـ-1044هـ/1075-1045م)[5]، وقد تمتعت المملكة في عهده بقدر كبير من الاستقرار كفلته السياسة السلمية، التي سادت العلاقات بين علي وممالك الطوائف وممالك الشمال الأسباني، فزاد الرخاء الاقتصادي بفضل نشاط التجارة وتكدس الأموال، وازدهرت الحياة الثقافية بفضل تشجيع العلم والعلماء الذين أقبلوا على المملكة من كل أنحاء الأندلس ومن المشرق أيضاً[6]. هذا وقد اقتدى إقبال الدولة بسياسة أبيه في الحيدة والموادعة مع جيرانه وحاول أن يوثق علاقاته بملوك عصره بالمصاهرة وكانت له بنات حسان يصفهن صاحب الذخيرة بأنهن: "أحسن من الشموس وأفتن من الطواويس"[7]، حيث تنافس ملوك الطوائف على الزواج منهن وجعلهن والدهن على عيوناً له على أزواجهن،

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق2، مج1، ص272ابن خلدون: العبر، 159/4.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص76؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (4) ص96.

(3)الحميري: المصدر نفسه، ص76؛ العذري: المصدر السابق، ص19.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 155/3؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص245.

(5) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (2) ص96؛ عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية "التاريخ الإسلامي لجزر البليار"، دار العلم للملايين، (بيروت، 1984م)، ص156؛ وخليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص246.

(6) هدى حسن النيهوم: دور الصقالبة في الأندلس منذ عصر الإمارة حتى نهاية عهد الطوائف الأول، (180-468هـ/796-1076م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بنغازي،(بنغازي، 1998م)، ص165.

(7) ابن بسام: المصدر السابق، ق 4، مج1، ص206.

معتمداً على ما تحققه له المصاهرة وصلة الرحم من الرعاية والحماية، فزوج إحداهن للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وأخرى للمعتصم(*) بن صمادح صاحب المرية(**) وتزوج هو من ابنة أحمد المقتدر بن هود[1]. غير أن من غرائب القدر أن هذا الزواج كان وبالاً عليه وعلى مملكته، حيث أن سياسته السلمية لم تجدي نفعاً في عصر سيطرت عليه الأنانية وحب الذات والطمع في ثروات وأملاك الغير، ولقد كانت الضربة القاصمة لمملكة دانية قد جاءت من صهره على إقبال الدولة، وهو احمد المقتدر بن هود، صاحب مملكة سرقسطة لتثبت له فشل سياسة النسب والمصاهرة التي أرادها بمثابة خط الدفاع الأمامي عن حدود مملكته من جهة البر[2]، حيث إن المقتدر بن هود أمير سرقسطة لم يتورع على التحرش بالمملكة المجاهدية بالرغم من حرمة المصاهرة بينه وبين زوج ابنته على إقبال الدولة، حيث طلب من المقتدر أن يتنازل له عن بعض القلاع والحصون من أجل إلحاقها بطرطوشة، التي آل إليه حكمها في سنة (452هـ/1060م)[3].

وقد وافق على مطالب صهره المقتدر تحاشياً للاشتباك المسلح بينهما، ولكنه كما يبدو لم يكن راضياً في قرارة نفسه عن تسليم تلك القلاع، وقد كتب إلى عمالها بإخلائها[4]، بعد أن أشعره أصحابه بالندم على تسليم تلك القلاع والحصون وزينوا له الغدر فأرسل رسائله إلى عمال تلك القلاع يحضهم فيها على التحصن والمقاومة ولكن

(*) هو أبو يحيى بن محمد بن معن الملقب بالمعتصم بن صمادح، تولى حكم المرية عقب وفاة والده سنة (443هـ/1051م) وكان يومها في الثامنة عشر من عمره، وقد أخذ له والده البيعة في حياته، وقد كان حسن السيرة مع رعيته وجنده وتوفى في شهر ربيع الآخر سنة (484هـ/1091م) بعد مدة حكم استمرت أربعين عاماً = ابن الآبار: الحلة السيراء، 81/2، 82.

(**) المرية مدينة محدثة بالأندلس أمر ببنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة (344هـ/954م) وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها = الحميري: المصدر السابق، ص123.

(1) عصام سيسالم: المرجع السابق، ص184؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص201، وعمر مصطفى لطيف: المرجع السابق، ص144.

(2) هدى النيهوم: المرجع السابق، ص16؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص201، وعمر مصطفى لطيف: المرجع السابق، ص144.

(3) ابن بسام: المصدر السابق، ق4، مج1، ص266؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 171/2، وعصام سيسالم: المرجع السابق، ص185.

(4) أبن بسام: المصدر نفسه، ق4، مج1، ص 266.

المقتدر علم بأمر تلك الرسائل السرية فعاد زاحفاً إلى دانية وضرب عليها الحصار واستولى على ما كان بخزائن القصر من أموال وياقوت وجواهر وذهب والتي تحصل عليها مجاهد العامري من مصر مقابل الطعام الذي أرسله إليها أيام الشدة[*] المستنصرية[1]. وقد وصف ابن بسام حملة ابن هود على دانية بقوله: "لم يرع أهل دانية إلا تصهال الخيل، فاستولى الفزع على أهل المدينة"[2] لهذا الهجوم المفاجئ، قام علي إقبال الدولة بإرسال ابنه وولي عهده المعز لمقابلة جده والتفاوض معه، لعله يثنيه عن ذلك ويرعى حرمة النسب والمصاهرة[3]، حيث خاطب معز الدولة جده بأرق العبارات لعلها تثني جده على اقتحام دانية والاستيلاء عليها، فقال له: "أي عم تبلغ رضاك، ومتى اختلفنا عليك أو خالفناك"، فرد عليه ابن هود بقوله: "والله لا أريم العرصة حتى يسهل مرامها، ويخلي في يدي زمامها"[4]. وكان يقصد أنه لن يرجع عن دانية حتى يتحصل على الحصون والقلاع وذلك لضمها إلى مملكته في سرقسطة، ومع أنه في بداية الأمر لم يكن يطمع في الاستيلاء على دانية، وكل ما كان يسعى إليه هو ضم بعض معاقل الحدود المجاورة لطرطوشة حيث استغل رد معز الدولة على جده بعد أن طلب منه تسليم تلك الحصون بقوله: "وأين تنقلنا وإلى من تكلنا" فتنبه وزير المقتدر الداهية أبا المطرف عبدالرحمن بن مثنى[**] إلى ما وقع فيه معز الدولة من سوء الفهم فأشار إلى المقتدر بن هود باغتنام الفرصة وقال له: "غرة فاهتبلها، عثرة فلا

(*) سميت بذلك لأنها حدثت في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وقد استمرت سبع سنوات، حيث انخفض منسوب مياه نهر النيل مما أدى إلى انتشار الوباء والقحط وأدت إلى قيام الفتن وضعف المملكة. هذا وقد اختلفت الروايات التاريخية في تحديد السنة التي وقعت فيها فهناك من ذكر أنها وقعت سنة (457هـ/1064م) وهناك من ذكر أنها وقعت سنة 447هـ/1055م) = تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، قدم له وعلق عليه ياسر سيد صالحين، مكتبة الآداب، (القاهرة، 1999م)، ص19.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 228/3.

(2) ابن بسام: المصدر السابق، ق4، مج1، ص266، 267.

(3) المصدر نفسه، ق4، مج1، ص266، 267؛ العذري: المصدر السابق، ص16.

(4) المصدر نفسه، ق4، مج1، ص266، 268.

(**) أطلعت على كتب التراجم ولم أعثر له على أية ترجمة.

تقلها، [1].ويبدو ان ابن هود قد استغل هذا الاستجداء من حفيده و تمكن المقتدر بن هود من الاستيلاء على دانية وأخرج منها علي إقبال الدولة وذلك في شهر رمضان من سنة (468هـ/1075م)[2].

ثم بعد ذلك نودي بأهل دانية للمثول أمام ابن هود والبيعة له مبايعة الخاصة والعامة[3]، حيث يشير الأمير عبدالله بن زيرى في مذكراته أن الخيانة لعبت دوراً مهماً في استيلاء المقتدر على مملكة دانية الحصينة، حيث ذكر أن وزير علي إقبال الدولة المعروف بابن الربولة[*]، قد اتصل بالمقتدر وسهل عليه استلام المدينة والتي، كما يؤكد، أنها استسلمت له بسهولة ودخلها المقتدر بدون أي عناء يذكر، فكانت مكافأة ابن هود لهذا الوزير الخائن بأن عينه وزيراً له[4].

وفي استيلاء المقتدر على دانية، يقول الشاعر أبو الحسن علي بن عبدالغني الكفيف المعروف بالحصري[**]، في قصيدة له يخاطب فيها المقتدر بقوله[5]:

كذا تفتض أبكار البلاد ... ولا مهر سوى البيض الحدادِ
هديت العسكر الجرار ليلاً ... فأهديت دانية إلى الهوادي
وكان مرام دانية عزيزاً ... فهان على المسوقة الجيادِ
تشاغلت الملوك بمن دهاها ... وشغلك في جهاتك بالجهادِ

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق4، مج1، ص266، 267؛ عصام سيسالم: المرجع السابق، ص186.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، 678/7؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، 149/2، وابن سعيد: المصدر السابق، 437/2.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 228/3.

(*) اطلعت على كتب التراجم ولم اعثر له على أية ترجمة.

(4) عبدالله بن بلقين بن زيري: مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب "التبيان"، نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال، تقديم سليمان العطار، دار المعارف، (القاهرة، 2008م)، ص55.

(**) هو علي بن عبدالغني، أبو الحسن القروي المعروف بالحصري، ولد بالقيروان ونشأ بها، واشتهر أمره وذاع ذكره فيها، ولما غزا بني هلال تونس ودمروا مدينة القيروان وجامعها، وعند ذلك فر إلى مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، ومنها إلى بلاد الأندلس، وذلك في منتصف القرن الخامس الهجري، فتنافس ملوك الطوائف عليه لذيوع شهرته وعلو مكانته الأدبية = الضبي: المصدر السابق، ص395؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ، دار الجيل بيروت، ومكتبة الثقافة الدينية، ط13، (القاهرة، 1991م)، 470/4.

(5) ابن بسام: المصدر السابق، ق4، مج1، ص263، 264.

هذا وقد اختلفت الروايات التاريخية في مصير علي بن إقبال الدولة، آخر ملوك المملكة المجاهدية، فقد ذكر ابن عذاري والأمير عبدالله في مذكراته المسماة بكتاب التبيان والذي كان أيضاً معاصراً لعلي إقبال الدولة، إنه عندما استسلم علي إقبال الدولة عرض على المقتدر الاستسلام بشرط تأمينه على نفسه وأهله، وأن يترك القصر بكل ما فيه من ذخائر وأموال ورحل بعدها مع المقتدر ليعيش في كنفه في سرقسطة، وذلك في شهر شعبان سنة (468هـ/1075م) حيث أعطاهم المقتدر إقطاعاً يؤمنهم ويسد حاجتهم إلى أن توفي هناك[1].

أما ابن الكردبوس فقد ذكر بأن ابن علي بن إقبال الدولة استطاع الفرار والالتجاء إلى مدينة بجاية التى تقع على الساحل الجزائرى والعيش في كنف آل حماد[*] إلى أن توفي هناك[2].

وبذلك انتهت الدولة المجاهدية على يده، وأصبحت سرقسطة بعد هذا الفتح من أعظم ممالك الطوائف، بل وربما من أعظمها جميعاً، وقد مهد لها هذا الامتداد إلى شرق الأندلس سبيل التطلع إلى مملكة بلنسية والتدخل في شؤونها[3]، وقد أشار الأمير عبدالله الزيري إلى ذلك في مذكراته بقوله: "وأن ابن هود لما حصل على دانية، انفسد طبعه وأدركته الرغبة في البلاد، وزال عما كان عليه من جهاد الروم، وطمع في بلنسية عند ذلك"[4].

6- علاقة أحمد المقتدر مع بني عامر في بلنسية:

تُعد مدينة بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس المهمة[5]، وهي تقع شرق الأندلس على مسافة تُبعد نحو ثلاثة أيام من ساحل البحر المتوسط[6]. وتتميز بوجود دار

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 228/3؛ ابن بلقين: المصدر السابق، ص55.
(2) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (2) ص102.
(*) ينتمى بني حماد إلى قبيلة صنهاجة المغاربية =ابن الكردبوس:المصدر السابق ,ص102
(3) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص282؛ محمد طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ص473.
(4) ابن بلقين: المصدر السابق، ص55.
(5) الإدريسي: المصدر السابق، 556/2.
(6) المقرئ: نفح الطيب، 180/1.

لصناعة السفن بها والتي كان لها أثر كبير في ازدهـار تجارتها الخارجية[1]، فضـلاً عن ذلك فهي مدينة سهلية عامرة القطر، كثيرة التجـارات، والأسـواق[2]. وتميـزت أيضاً بطيب هوائها، واعتدال مناخها، مما ساعد على اتساع رقعتها الجغرافية، وكثـرة بساتينها التي تطوقها من كل جانب لذا عُرفت "ببستان الأندلس"[3].

وتمثل بلنسية في عصر الطوائف، نموذجاً للفوضى السياسية التي كانت سمة من سمات ذلك العصر[4]، حيث تتميز بغلبة العنصر الصقلبي الذي نزح إليها بعد انهيـار الدولةالعامرية سنة (399هـ/1008م)[5]، حيث تمكن هؤلاء الموالي الصـقالبة مـن العامريين نتيجة لضعف الدولة الأموية، وعجز الخلفاء الأمويين عن إنقاذها من السقوط من تكوين دويلات مستقلة في شرق الأندلس، متفاوتة في القوة والأهمية مسهمين بذلك في ضعف الحكم العربي في الأندلس والتعجيل بسقوطه، وبذلك برزت نتائج السياسـة التي اتبعها حكام بني أمية من الاستعانة بالعناصر الخارجية وإيثارها علـى العـرب، وذلك أن أي دولة تسعى على حفظ كيانها وتدعيم سلطانها على عنصر خارجي لابـد وأن تصبح ضعيفة أمام هذا العنصر الذي أردته عبداً فأصبح سيداً في فترات الضعف والانحلال وغياب الشخصيات القيادية[6].

أما عن علاقة أحمد المقتدر بمملكة بلنسية، فبعد أن سيطر أحمد المقتدر علـى مملكة دانية وضمها إلى مملكته، تطلع إلى امتلاك بلنسية[7].

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، 556/2.
(2) الحميري: المصدر السابق، ص47.
(3) ابن سعيد: المصدر السابق، 297/2.
(4) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص346.
(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 155/3، 156؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، ص237.
(6) هدى النيهوم: المرجع السابق، ص170.
(7) ابن بلقين: المصدر السابق، ص55.

وقد كان يحكم بلنسية عبدالملك الملقب بنظام الدولة وبالمظفر(*) (452-457هـ/1060-1064م)، وفي عهده تعرضت مملكة بلنسية لهجمة شرسة من قبل فرناندو ملك قشتالة، سنة (457هـ/1064م). ويبدو أن تلك الهجمة كانت رد فعل لاسترداد مدينة بربشتر على يد المقتدر سنة (456هـ/1063م) وذلك بسبب سوء معاملة النصارى والتي صحبت القضاء على آثار تلك الحملة المدمرة التي تعرضت لها بربشتر[1].

وقد تولى حكمهم أبو بكر بن عبدالعزيز(**)، حيث كانت مملكته مشتهرة بثرواتها الغنية[2].فعمل المقتدر عندئذ بالسيطرة عليها بكل السبل، واتفق مع فرناندوا ملك قشتالة على معاونته على غزو بلنسية مقابل أموالاً كثيرة يدفعها له[3]، وعند ذلك سار إليها المقتدر بحشود ضخمة، وعندما اقترب منها خرج إليه أبوبكر بن عبدالعزيز في أحسن زي، وقد كان يُدرك تماماً عجزه عن مواجهة جيش ابن هود، فعمد إلى الحيلة، وذلك بأن خاطبه بأرق العبارات وأعذبها فقد خاطب المقتدر بن هود بقوله: "هي بلادكم، فقدم ما شئت وأخر، وفق طاعتك وقوادك، فاقلل من وأكثر"[4].

ومازال صاحب بلنسية يوجه إليه أمثال هذه العبارات الرقيقة، مستهدفاً سل

(*) تولى حكم بلنسية بعد وفاة والده عبدالعزيز المنصور سنة (452هـ/1061م) بإجماع أهل دولته، وتولى تدبير دولته وزير والده أبو عبدالله محمد بن مروان بن عبدالعزيز المشهور بابن رويش القرطبي وأحسن تدبير الأمور واستقر على يديه النظام والأمن في بلنسية = ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 195/2، 196؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص223.

(1) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص328.

(**) كان والده أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز المشهور بابن روبش وزيراً للأمير عبدالعزيز العامري صاحب بلنسية ثم وزيراً لابنه من بعده عبدالملك المظفر بن عبدالعزيز وبعد وفاة هذا الأمير سنة (456هـ/1064م) خلفه ابنه أبو بكر بن عبدالعزيز في حكم بلنسية ولكنه لم يمكث طويلاً بها بحيث سقطت في يد المأمون بن ذي النون، وبعدها عاد لحكم بلنسية باسم بني ذي النون، ولقد ظل هذا الوزير يحكم بلنسية إلى أن توفي سنة (478هـ/1085م) = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (6)، ص80، 81.

(2) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص42.

(3) ابن بلقين: المصدر السابق، ص55، 56.

(4) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص42.

الأحقاد، حتى وفق في تحقيق هدفه، واستشعر المقتدر أمامه بالخجل مما أقـدم عليـه، فانصرف بجيشه عن بلنسية، بعد أن اتفق مع أميرها على أن لا يتردد في توفير وتقديم مساعدته ضد أعدائه[1] وهكذا فشلت محاولة احمد المقتدر بن هود في السيطرة علـى مملكة بلنسية.

سادساً: علاقة أحمد المقتدر بملوك النصارى في الشمال:

1- علاقة أحمد المقتدر بفرناندو الأول ملك قشتالة وليون:

مع إطلالة النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر المـيلادي، حدث في شبه الجزيرة الأيبيرية انقلاب حاسم في ميزان القوى السياسية والعسـكرية، فبعد أن كانت أسبانيا المسلمة، منذ أيام عهد الناصر وحتى عهد الحاجـب المنصـور، تحتفظ بتفوقها العظيم على أسبانيا النصرانية[2]، فقد تغيرت، وتطورت الأوضاع فـي شبه الجزيرة الأيبيرية، بعد ذلك تطوراً حاسماً، في تلك الفترة، فقد كان المسلمون فـي حالة يرثى لها، من التفكك والتدهور وعدم الاسـتقرار السياسـي فـي عهـد ملـوك الطوائف[3]، وذلك بسبب ما قام به فرناندوا الأول، الابن الأكبر "لسانشو العظيم"، الذي حكم أول الأمر مملكة قشتالة، ثم قام بمحاربة صهره "برمـودو الثالـث" أخ زوجتـه "سانشا"، ملك ليون، حيـث انتصـر عليـه وقتلـه فـي معركـة "تامـارون" سـنة (429هـ/1037م) وضم مملكة ليون إلى مملكته[4]، واستطاع بذلك أن يوحد الإمارات النصرانية ويمهد الطريق أمامها، لتخوض معركة "الاسـترداد" ومحاربـة المسـلمين بالأندلس، هذا وقد لقب فرناندوا الأول بلقب الإمبراطور تأكيداً لسيادته علـى أسـبانيا المسيحية[5].

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسـلامي، مركـز الإسـكندرية للكتـاب، (الإسكندرية، د.ت)، ص178.

(2) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص282؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص303.

(3) سحر السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق، 75/1، 76.

(4) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص75.

(5) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص304، 305.

ونظراً لمجاورة مملكة سرقسطة للممالك النصرانية الثلاثة، فقد أصبحت محــط أطماعها حيث كانت هذه الممالك تتحين الفرص للنيل من هذه الدويلة، سواء باقتطـــاع أقاليمها أو بابتزاز أموالها، وهذه الظروف نفسها كانت العامل أيضاً في إلتجاء المقتدر إلى محالفة بعض ملوك هذه الممالك ودفع الأموال الطائلة لهم ضد البعض الآخر وفقاً لمختلف الظروف والأحوال[1]. ففي سنة (452هــ/1060م) زحف الملك فرناندو الأول ملك قشتالة بقواته على حدود مملكة سرقسطة الجنوبية، وسيطر على حصن غرمـــاج وبعض الحصون الأخرى، فاضطر المقتدر أن يُذعن له ويدفع له الجزية[2]، حيث يشير مؤرخو العرب أن ابن هود كان يشتري مسالمة القشتاليين فلاذ بالجزية، وأرهق رعيته في جمع مالها من قراهم[3].

ولقد استمر هذا الوضع حتى وفاة فرنانــدو الأول عــام (457هــــ/1064م)، وبعدها خلفه في حكم قشتالة ولده "سانشو" وفي حقوق الجزيـــة أيضـــاً علـــى مملكـــة سرقسطة، حيث حاول "سانشو" أن يتدخل في شؤون المملكة فبعث إليها جيشاً في سنة (459هــ/1066م) وضرب عليها الحصار، وكان يقود الجيش القشتالي يومئذ الســيد القمبيطور، فاضطر المقتدر أن يبعث إليه مقادير كبيرة من الذهب والفضة والأحجــار الكريمة، أداءًا للجزية المطلوبة، وبذلك رفع الحصار عن سرقسطة[4].

2- علاقة أحمد المقتدر مع راميروا الأول ملك أرغون:

لقد اتسمت علاقة أحمد المقتدر مع راميروا الأول ملك أرغون بالطابع العدائي، حيث ذكرت الروايات التاريخية أنه في سنة (455هــ/1063م) هاجم راميــروا الأول ثغور الأندلس، فالتمس المقتدر ابن هود المساعدة من فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة،

---

(1) خيل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص243-244؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص279، 280.
(2) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص280.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 229/3.
(4) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص229-230.

فأرسل إليه قوة عسكرية بقيادة ابنه سانشو ومعه السيد القمبيطور[1]. وقد التقى الطرفان ودارت بينهما معركة كبيرة التقى فيها المقتدر مع راميروا الأول ملك أرغون عند ثغور الأندلس[2]، حيث دارت أحداث المعركة قرب بلدة جردواس، وقُتل فيها راميروا الأول وفر جنوده منهزمين، وذلك في سنة (455هـ/1063م) وقد كان من أثار تلك المعركة غزو النورمان لمدينة بربشتر سنة (456هـ/1064م)[3]، التي سبق لي ذكرها من قبل.

سابعاً: وفاته وتقسيم المملكة بين ابنائه:

لقد استمر حكم المقتدر لمملكة سرقسطة حوالي خمسة وثلاثين عاماً[4] وقد أثبت بذلك قدرته على مغالبة شدائد عصره الفياض بالمآسي في مواجهة الخطر النصراني المُحدق به من كل جانب[5]. وقد ترك مملكته سرقسطة من أعظم دول الطوائف رقعة بل من أعظمها جميعاً[6]، بعد أن وقع في نفس الخطأ التاريخي الذي وقع فيه والده أيضاً من قبل، إذ قسم مملكة سرقسطة قبل وفاته بين ولديه يوسف المؤتمن والمنذر حيث أعطى ابنه يوسف حكم مدينة سرقسطة وأعمالها، وأعطى ابنه المنذر حكم مدينة لاردة وطرطوشة ودانية[7]، وقد نجم عن هذا التقسيم قيام صراعات وحروب دامية بين الأخوين فيما بعد مما كان له الأثر السيئ على مستقبل المملكة.

هذا وقد اختلفت الروايات التاريخية في سبب تحديد وفاتة وأيضاً في تحديد تاريخ وفاته، حيث يتفق كل من ابن عذاري وابن الخطيب أنه قبل وفاته دخل عليه

---

(1) حسين مؤنس: السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين، ص43؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص280.

(2) ابن أبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الطرطوشي: سراج الملوك، حققه وعلق عليه نعمان صالح الصالح، دار العاذرية للطباعة والنشر، (الرياض، 2005م)، ص489.

(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (4) ص75.

(4) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص282.

(5) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، ص246.

(6) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص281.

(7) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص86؛ محمد عبدالله عنان: مواقف حاسمة من تاريخ الإسلام، ص250.

رجل صالح من أهل الخير والصلاح، كان قد اشتكى له أهالي سرقسطة، من دفع مال الجزية التي كان يفرضها عليهم، فقام هذا الرجل الصالح بالدخول عليه ووعظه بما جاء في الشرع الإسلامي من دفع الجزية للنصارى، فاستشاط المقتدر لذلك غضباً وأمر بقتل هذا الرجل الصالح، واستمرت الجزية على سائر مدن الأندلس[1].

وقد ذكر أن الله تعالى قد رماه بعد قتله لهذا الرجل الصالح بعلة في جسده قبل وفاته، أصبح ينبح كما تنبح الكلاب والعياذ بالله[2]. وابن عذاري يوافق ابن الخطيب في هذه الرواية، ولكنه يخالفه في تحديد تاريخ الوفاة، حيث ذكر ابن عذاري أن وفاته كانت سنة (475هـ/1082م)[3]، أما ابن الخطيب فيحدد وفاته سنة (474هـ/1081م)[4]. ورواية ابن الخطيب يؤيدها عدد من المؤرخين منهم ابن خلدون[5] وابن الكردبوس[6] والقلقشندي[7] ابن الأبار[8].

وخلاصة القول فإن وفاة المقتدر كانت إيذاناً بتطور الأحداث في مملكة سرقسطة، وكانت أيضاً بداية النهاية لحكم بني هود لسرقسطة، وهذا ما سوف يتبين في الصفحات التالية.

---

(1) ابن عذاري: المصدر السباق، 229/3؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 171/2.
(2) ابن عذاري: المصدر نفسه، 299/3؛ ابن الخطيب: المصدر نفسه، 171/2.
(3) ابن عذاري: المصدر نفسه، 229/3.
(4) ابن خلدون: العبر، 163/4.
(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 171/2.
(6) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص86.
(7) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت،1987م)، 246/5.
(8) ابن الآبار:الحلة السيراء ، 248/2.

ثانياً:أحداث سرقسطة بعد وفاة أحمد المقتدر بن هود (474هـ/1081م):

أ- **يوسف المؤتمن وصراعه مع أخيه المنذر حول عرش المملكة:**

سبق وأن ذكرت أن أحمد المقتدر بن هود كان قد قسم مملكته سرقسطة قبيل وفاته سنة (474هـ/1081م) بين ولديه مرتكباً بذلك الخطأ نفسه الذي ارتكبه والده من قبل، حيث خص ولده الاكبر يوسف المؤتمن بسرقسطة وأعمالها[1]، وخص ابنه الثاني المنذر بحكم لاردة وطرطوشة ودانية، وكان لهذا التقسيم آثار سيئة، حيث عادت الحرب الأهلية من جديد بين الأخوين، المؤتمن والمنذر، إذ استعان المؤتمن بالسيد القمبيطور صديق والده القديم، واستعان المنذر بسانشوراميز ملك أرغون[2]، حيث حدثت أول معركة بين الأخوين عند قلعة المنار التي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة لاردة، وكان يوسف المؤتمن قد حصن هذه القلعة بالمقاتلين، فلما شعر أخوه المنذر بخطر هذه القلعة على أملاكه، سار بقوات مشتركة من حلفائه رامون الثاني ملك برشلونة، وبعض صغار الأمراء الإفرنج في شمال قطالونية، وحاصروا القلعة، فتصدى المؤتمن بمعاونة قوات السيد القمبيطور، لقوات أخيه المنذر وحلفائه وأسر ملك برشلونة رامون الثاني، سنة (475هـ/1082م)[3].

وقد دخل السيد بعد هذا الانتصار سرقسطة، واستقبل فيها استقبال الظافر، وأغدق عليه ملكها الهدايا، وحظي بمكانة ونفوذ بين جنود المؤتمن على نحو لا نظير له[4].

وفي أثناء ذلك حدث أن حاول عمهما يوسف المظفر التحرر من سجنه الذي كان قد أودعه فيه أخوه أحمد المقتدر قبل وفاته، حيث سعى إلى العودة إلى الحكم بالتعاون مع حاكم روطة الذي من سجنه في أوائل سنة (477هـ/1084م)[5] وذهب

---

(1) ابن خلدون: العبر، 163/4؛ محمد طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ص454.

(2) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص86؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص244.

(3) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 53/3؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص15.

(4) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص174.

(5) المرجع نفسه، ص174.

يحتمي بالفونسو السادس ملك قشتالة، وتوفي عنده بعد قليل، فزعم الفونسو أن المظفر قد تنازل له عن نصيبه قبل موته ولعل هذا الحادث يدل على مقدار ما كانت تتعــرض له هذه المملكة الإسلامية من أطماع[1].

فما كان من الفونسو السادس إلا أن ارسل بعض قواته بقيادة الإنفانت راميــروا ابن عمه، أمير نافار، وذلك لتسليم قلعة روطة[2]، ولكن حاكم روطة، رفض الــدخول في طاعة يوسف المؤتمن، ودبر مكيدة للإيقاع بجيش القشتاليين، إذا ادعى أن يسلم لهم الحصن وللملك الفونسو شخصياً، وقد جاء الملك فعلاً، ولكنه كان يشك فيما يهدف إليه القائد، فترك كبار قادته يدخلون أولاً، فوقعوا في الفخ[3] حيث انهال عليهم وابــل مــن الصخور وقُتلوا جميعاً، وهزت هذه المذبحة الفونسو، فعاد مخذولاً إلى بلاده[4]، وهــو مصمم على الانتقام، ولقد كان السيد في مدينة تطيلة، فلما عَلمَ بالمكيــدة ســارع إلــى قشتالة لتبرئة نفسه أمام الفونسو، وليقنع الملك بأنه لا صلة له إطلاقاً بمــؤامرة حــاكم روطة، وحاول في نفس الوقت أن يقدم عزائه وأن يقنعه بأن يكون من أتباعه ولكــن ألفونسو قابله بفتور وأدرك السيد أن الملك مازال يحقد عليه، فعاد إلى سرقسطة مــن جديد مستشاراً في بلاط المؤتمن الذي أحسن استقباله[5].

ويتبين مما سبق أن هذا الصراع الدامي الذي حدث ما بين الأخوة من بني هود قد منح فرصة لتدخل ملوك النصارى والأسبان، في شؤون المملكة الداخلية، مما كــان له آثار سيئة على المدى البعيد في تحقيق أطماعهم الشخصية وذلك للاســتحواذ علــى أراضي وأملاك سرقسطة الإسلامية.

ب- أطماع يوسف المؤتمن للسيطرة على مملكة بلنسية:

بعد أن تخلص يوسف المؤتمن من خطر عمه المنذر سجين قلعة روطة، والتي

---

(1) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص285؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص14.
(2) المرجع نفسه، ص285؛ حسين مؤنس: المرجع نفسه، ص15.
(3) المرجع نفسه، ص285.
(4) الطاهر أحمد مكي: ملحمة السيد، دائرة المعارف، (القاهرة، 1995م)، ص90.
(5) المرجع نفسه، ص90؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص285.

جاءت وفاته غير المتوقعة، إنقاذاً له من المنافسة على عرشه عند ذلــك، تطلــع إلــى إمتلاك مدينة بلنسية والتي كانت تابعة للمأمون بن ذي النون، حيث تحصل عليها بعــد غدره بصهره وزوج ابنته عبدالملك بن عبدالعزيز ابن عامر، وكان صهره قد تــزوج ابنته بعد وفاة أخيه عليها، فأساء عبدالملك بن عبدالعزيز معاملتها وأهانها، فبلغ ذلــك أبيها المأمون فحقد عليه ثم ما لبث أن دبر مكيدة بمساعدة وزير ابن عبــدالعزيز ابــن رويش على الغدر به[1]. هذا بالإضافة على أن عبدالملك كان يأوي في بلنسية بعــض خصوم المأمون الفارين مــن طليطلــة[2] وعنــد ذلــك بــادر المــأمون فــي ســنة (457هــ/1064م) في تنفيذ خطته لضم مدينة بلنسية، فأرسل إلى صــهره عبــدالملك يخبره برغبته في المجيء إلى بلنسية لزيارته، فخرج عبــدالملك لاســتقبال المــأمون وأدخله القصر، إلا أنه ما لبث أن ألقى عليه القبض مع ابنه بعد أيام قلائل من إقامتــه حيث أمر بترحيلهم ليلاً إلى بلدة شنتمرية. وأعلن ضم مدينة بلنسية لملكه، وعين ابــن الوزير عبدالعزيز بن رويش ويدعى أبو بكر خلفاً لولده الذي قيل أنه توفي قبــل هــذه الأحداث بعام، وكان أبو بكر بن عبدالعزيز محل ثقة المأمون[3]، حيــث ظلــت هــذه المدينة على إخلاصها وولائها للمأمون بن ذي النون، وتمكن ابن روبش من إدارتهــا وتسيير أمورها على أكمل وجه، حتى بلغه نبأ وفاة المــأمون بــن ذي النــون ســنة (467هــ/1074م)[4]. حينها انتهز الفرصة وأعلن استقلاله بالمدينة، وواجه في فتــرة حكمه رغبة يوسف المستعين في امتلاك مدينة بلنسية لأهمية موقعها ووفرة خيراتهــا، فخاطب بدوره الفونسو السادس أيضاً ودفع إليه مائة ألف دينار، ليعاونه في الســيطرة على بلنسية، فخرج إليه ملكها أبو بكر وخاطبه بلباقة وأقنعه بالرجوع وبعقم محاولته[5].

وبذلك فشلت محاولة المؤتمن في ضم بلنسية[6] وعند ذلك رأى أبوبكر أن يلتمس

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 267/3.

(2) محمد طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ص456.

(3) ابن عذاري: المصدر نفسه، 267/3؛ ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص250.

(4) ابن بسام: المصدر السابق ، ق3، مج1/ 224؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، 129/2؛ أبــن عــذاري: المصــدر السابق، 267/3.

(5) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص226.

(6) المرجع نفسه، ص226.

حماية المؤتمن نفسه، ففاوضه وقدم إليه ابنته عروساً لابنه الأمير أبي جعفر أحمد بن المؤتمن بن هود فحملها إليه في سرقسطة، حيث احتفل بعقد هذا الزواج في ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان سنة (477هـ/1084م) حيث أقيم عرس كبير في سرقسطة، كان مضرب الأمثال في البذخ والبهاء[1]. ويبدو أن المؤتمن يوسف بن المقتدر صاحب سرقسة كان يهدف من وراء تلك المصاهرة إلى تحقيق هدف سياسي هو التحالف مع أمير بلنسية ضد القادر يحيى حفيد المأمون بن ذي النون، صاحب طليطلة الذي تحالف مع ملك قشتالة. وربما كان يتطلع بها أيضاً إلى بسط نفوذه على بلنسية، كما ذكر ابن الكردبوس والذي يشير إلى أن ابن هود قد تمكن فعلاً من تملك بلنسية بعد تلك المصاهرة[2]، ولكن المصادر الإسلامية لم تشر إلى امتلاك بني هود لبلنسية باستثناء ما سبق أن ذكره ابن الكردبوس حيث ظل أبو بكر بن عبدالعزيز العامري يحكم بلنسية حتى وفاته سنة (478هـ/1085م)[3].

ومما سبق يتبين فشل محاولة يوسف المستعين في امتلاك مملكة بلنسية، ولقد كان أجدر له أن يلتفت إلى حماية وتحصين مملكته، وأن يوثق علاقته بجيرانه من ملوك الطوائف بالتعاون المشترك وذلك لمقاومة الزحف المسيحي الذي تتهدده الأندلس في تلك الفترة.

ومن سوء حظ المسلمين هو أن تولى عرش "قشتالة وليون" في ذلك الحين ملك طموح هو ألفونسو السادس والذي يسمى في مراجعنا باسم "الأذفونش" وقد طال عمره، وامتد سلطانه وشجعه على ذلك ضعف المسلمين وتفرق أمرهم، وأصبحت مملكته، تهدد الإمارات الإسلامية وترهبها، حتى أصبحت جميعها تدفع له الجزية وهي صاغرة[4].

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 304/3؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص226.

(2) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش رقم (6) ص80، 81؛ كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص119.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 304/3.

(4) عبدالواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 1997م)، ص30؛ أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1980م)، ص74.

3- استيلاء الفونسو السادس على مملكة طليطله وأثره على سرقسطة:

في سنة (478هــ/1085م) توفي المؤتمن بن هود، فخلفه في حكــم سرقســطة ولده أحمد والذي يُعرف بالمستعين الأصغر، تميزاً له عن المستعين الأكبر جــد هــذه الأسرة[1] والذي تزامن حكمه مع حادث خطير كان نذيراً لما أصاب الأندلس بعد ذلــك من محن وخطوب، وهو استيلاء الفونسو السادس على مملكة طليطلة لتكون أول جزء يقتطع من جسد الدولة الإسلامية، ولقد قيل أن الذي عجل بوفاة والــده المــؤتمن هــو سقوط طليطلة، فقد تولاه غداة سقوطها يأس عارم وحزن عميق أوديا بحياتــه، وكــان سقوطها إيذاناً ببداية النهاية للوجود العربي فيها، بعد أن حكمها المسلون قرابة ثلاثمائة وثمانية وثمانين عاماً، وأحدث سقوطها دوياً هائلاً في التاريخ الأندلسي فــي العصــر الوسيط وأدى ذلك إلى نتائج خطيرة في الجانبين الإسلامي والمسيحي على الســواء[2]. في ذلك الحين بدا للمسلمين في الأندلس أن أيامهم في شــبه الجزيــرة الأيبيريــة قــد أصبحت معدودة[3]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أنه استخف بالقوى الإسلامية في شبه الجزيرة، وأصبح الفونسو يجوس الديار الإسلامية بجيوشه التي لا تحصى يفســد ويخرب ويقتل ويرتحل إلى غيرها حيث نزل مدينة أشبيلية ثلاثة أيام، ثم رحل عنهــا بعد أن أفسد أحوازها، وسار بجيوشه إلى جزيرة طريف، فأدخل قوائم فرسه في البحر وقال: هذا آخر بلاد الأندلس قد وطئته والجميع يحجمون عن مقاومته[4].

إزاء هــــذه الظروف اضطــر ملوك الطوائف إلى طلــب النجــدة بعــد أن أحــسوا بفداحة الخطر وبالندم على تقصيرهــم عن نجــدة طليطلة، فاجتمعت كلمتهم لأول مرة على استصراخ إخوانهم المرابطين فــي العدوة، المقاربية بقيــادة زعــيمهم

---

(1) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص86.

(2) عبدالعظيم رمضان: الصراع بين العرب وأوربا، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص275؛ عبدالكريم التــواتي: المرجع السابق، ص264؛ الطاهر مكي: المرجع السابق، ص91.

(3) عبدالعظيم رمضان: المرجع السابق، ص275.

(4) أبو الحسن علي بن عبدالله: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط، 1962م)، ص143؛ أسعد حومد: المرجع السابق، ص73.

يوسف [*] بن تاشفين[1]، فإلى هذا الأمير كان على الأندلس أن تتوجه إليه طوعاً أو كرهاً ليدفع عنها الخطر المسيحي الدائم قبل أي وقت مضى[2]، حيث تزعم صالح العلماء وخيرة القضاة الدعوة إلى توحيد الأندلس، في أيام الطوائف مدفوعين للقيام بهذا العمل سواء خشية الله تعالى، أو بتكليف من بعض أمراء الأندلس، ويأتي في مقدمة هؤلاء القضاة الصالحين القاضي أبو الوليد[**] الباجي[3]، هذا إلى جانب أمراء الطوائف كابن الأفطس، والمعتمد ابن عباد، صاحب اشبيلية، الذي كتب إلى الأمير يوسف بن تاشفين، يستدعيه لنصرة المسلمين في الأندلس[4].

وعند العصور الأول لمرابطين الأندلس، كان الفونسو السادس محاصراً لمدينة سرقسطة التي صمدت ببسالة أمام ضرباته[5]، وقد أقسم الفونسو أنه لن يبرحها حتى يدخلها. وحاول صاحبها المستعين أن يغريه بالمال مقابل أن يتخلى عنها فرفض ذلك[6] وقال له: "المال والبلاد لي"[7]، بل أن الفونسو عمد إلى إتباع سياسة الدهاء والحيلة مع أهلها، وذلك في محاولة منه لإضعاف الروح القتالية لهم، فأخذ الفونسو يبث عيونه في

(*) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي الحميري، كنيته أبو يعقوب، وقد استخلفه ابن عمه أبو بكر بن عمر على المغرب، وذلك في سنة (453هـ/1061م) فذاع صيته وفي سنة (479هـ/1086م) جاز إلى بلاد الأندلس بناءً على رغبة ملوك الطوائف لإنقاذهم من النصارى الذين تكالبوا عليهم وقد كانت وفاته سنة (500هـ/1107م) = مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص24؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 45/4؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص145.

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص36.

(2) المصدر نفسه، ص36.

(**) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي، أصله من بطليوس، ولد في باجه سنة (403هـ/1012م) رحل إلى المشرق حاجاً، وبعد عودته جلس للإقراء بسرقسطة وبلنسية ومرسية ودانية، وقد أخذ يدعو أيضاً بعد عودته من المشرق، ملوك الطوائف إلى التآزر لما رأى فرقتهم وتنابذهم، توفى بمدينة المرية سنة (474هـ/1081م) = ابن سعيد: المصدر السابق، 404/1؛ إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي "عصر الطوائف والمرابطين"، دار الثقافة، ط3 ، (بيروت، 1994م)، ص37.

(3) رضا الهادي عباس: الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، منشورات إلجا، (مالطا، 1998م)، ص242.

(4) أبو العباس الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1954م، 31/2، 33؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيلة أمين فارس، ط6، دار العلم للملايين، (بيروت، 1974م)، ص220.

(5) خليل إبراهيم السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد، 1985م)، ص193.

(6) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص91؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، (تطوان، د.ت)، 73/2.

(7) الناصري: المصدر السابق، 92/2.

صفوف أهل سرقسطة، يشعون أن الملك القشتالي سوف يمنحهم الأمان موعداً إيـــاهم بممارسة شعائرهم الإسلامية وفق الكتاب والسنة، كما أنه أخبرهم بأنه فرق على أهالي طليطلة مائة ألف دينار ليستعينوا بها على الزراعة والإعمار إلا أنه سرعان ما كشفت سياسة الفونسو الذي ما لبث أن تنكر إلى تلك العهود والمواثيق[1]، وظـــل محاصـــراً لمدينة سرقسطة، حتى وصل إليه الخبر بأن المرابطين قد دخلوا أسبانيا، وظن الفونسو أن ملك سرقسطة يجهل خبر وصول المرابطين، ومن ثمَّ عمد إلى الحيلة، حيث بعـــث إلى المستعين يخبره باستعداده لرفع الحصار عن المدينة على إن يدفع إليه مبلغاً كبيراً من المال، غير أن المستعين كان قد علم هو الآخر مثله بالنبأ العظيم، فرد عليه بأنه لن يعطيه شيئاً حتى ولو كان درهماً واحداً[2]،حيث تلقى المؤتمن بن هود وعداً بوصـــول المدد السريع من إخوانه المسلمين في جنوب الجزيرة وأصـــبح النصـــارى يشـــددون الضغط على سرقسطة يوماً بعد يوم، وكان المسلمون في شبه الجزيرة يرتجفون جميعاً لاحتمال سقوط هذا المعقل المنيع وكانت قواتهم في حالة يُرثى لها[3].

إزاء هذه الظروف انسحب الفونسو السادس صوب طليطلـــة، تاركـــاً حصـــار سرقسطة من أجل ملاقاة الخطر القادم من عدوة المغرب[4]. وبذلك تـــنفس المســـتعين الصعداء وأخذ يقوى مركزه ويستعد للدفاع عن قاعدة الثغر الأعلى[5] حيث بعث علـــى الفور إلى "سانشو راميز" ملك أرغون يســـتدعيه لنجدتـــه، وكـــان يومئـــذ محاصـــراً لطرطوشة، كما استدعى قائده "البرهانس"[*] بقواته من بلنسية، واستنفر الكبير والصغير ولم يدع في أقصى مملكته من يقدر على حمل السلاح إلا استنهضه، واندفع إليه ســـيل من الفرسان المتطوعة، من جنوبي فرنسا وإيطاليا، واعتزم الفونسو أن يَلْقي الأعـــداء

---

(1) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص91، 92.
(2) دوزي رينهارت: المسلمون في الأندلس، 32/3.
(3) يوسف أشباخ: المرجع السابق، 74/2.
(4) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص91؛ خليل السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الأســـبانية بالأنـــدلس، ص193.
(5) سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص292.
(*) هو القائد القشتالي المسيحي ابن أخ السيد القمبيطور وكان من كبار قواد الملك الفونسو السادس ملـــك قشـــتالة وليون = أبو الحسن علي بن محمد بن القطان: جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيـــق: محمـــود علـــي مكـــي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، (الرباط، د.ت)، ص6.

في أرضهم، حتى لا تتضرر بلاده إذا وقعت به الهزيمة[1].

واستعد يوسف بن تاشفين للعبور إلى الأندلس، بجيش مرابطي ضخم في أواسط عام (478هـ/1085م)[2] وكان أول من عبر فرقة من الفرسان بقيادة[*] دواود بن عائشة، حيث عبرت إلى ثغر الجزيرة الخضراء ونزلته، ثم أخذت الجيوش المرابطية تعبر تباعاً، وفي منتصف شهر ربيع الأول سنة (479هـ/1086م) عبر يوسف بن تاشفين مع بقية قواته، ونزل الجزيرة الخضراء. وكان المعتمد بن عباد قد أرسل ابنه عبدالله الرشيد لاستقباله بعد أن رتب المؤن والأطعمة للجيش المرابطي[3]، وأقام الأمير يوسف في حاضرة المعتمد بن عباد ثلاثة أيام للاستراحة ثم كتب خلالها إلى سائر ملوك الطوائف يدعوهم للحاق به، والمشاركة فلبى دعوته عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة[**]، واعتذر المعتصم بن صمادح صاحب المرية، لضعفه وكبر سنه، وبعث ابنه معز الدولة في فرقة من جنده، ثم سار يوسف ابن تاشفين في جيوشه ومعه المعتمد بن عباد في قواته وقصدوا بطليوس فاستقبلهم صاحبها المتوكل بن الأفطس برحاب وقدم لهم المؤن[4].

وعلى مقتضى الشريعة الإسلامية، كتب يوسف بن تاشفين كتاباً يعرض به الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، ومما جاء فيه: بلغنا يا "اذفونس" أنك دعوت في الاجتماع بك، وتمنيت أن يكون لك سفن تعبر البحر عليها إلينا، فقد عبرنا إليك وقد جمع الله تعالى في هذه الفرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك! وما دعاء الكافرين إلا في ضلال[5]. ولما سمع الفونسو ما كتب إليه يوسف جاش بحر غضبه

---

(1) المراكشي: المعجب، ص113؛ الحميري، المصدر السابق، ص88؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص88.

(2) المراكشي: وثائق المرابطين، ص33؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص5.

(*) داود بن عائشة، من خيرة قواد المرابطين، فقد تولى الجيش الذي أرسله يوسف بن تاشفين لمحاربة الفونسو السادس في معركة الزلاقة، مع المعتمد بن عُباد وقد قاتل معه قتال من يتمنى الشهادة = ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص147؛ المقرئ: نفح الطيب، 136/6.

(3) المراكشي: المعجب، ص117؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص307.

(**) مالقة: مدينة بالاندلس تقع على شاطئ البحر، وهي عامرة آهلة، كثيرة الديار= الحميرى: المصدر السابق، ص178.

(4) ابن الآبار: الحلة السيراء، 100/2.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق ، 115/4؛ الناصري: المصدر السابق، 41/2.

وزاد في طغيانه وأقسم أن لن يبرح من موضعه حتى يلقاه[1]، وهو بذلك اختار الحرب وبما أن الحرب خدعة فقد حاول خداع المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين في تحديــد موعد المعركة، حيث كتب لهم: "إن غداً يوم الجمعة لا نحب مقابلتكم فيه لأنه عيــدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود، وبعده الأحد عيدنا، فلنحترم هذه الأعياد ويكون اللقاء يــوم الاثنين، فأدرك المعتمد بن عُباد أنها حيلة، وإنما قصد الفونسو اللقاء بهم يوم الجمعــة[2]. وبذلك التقت قوات المرابطين وقوات الفونسو السادس في موضع يسمى الزلاقة، جنــوبي غربي بطليوس[*] وأبدى المرابطين من ضروب البسالة ما مكنهم من القضاء على قــوات الفونسو السادس وإلحاق هزيمة بجيشه[3]. حيث كان جيش الفرنجة حوالي خمسين ألفــاً، وقد أبدى المعتمد بن عباد شجاعة فائقة، ولم يرجع من الفرنجة إلى بلادهم غير ثلاثمائــة فارس وغنم المسلمون أموال وأسلحة كثيرة[4]. وقد جرت أحداث هذه المعركة الحاســمة يوم الجمعة 12 من شهر رجب سنة (479هــ/1086م)[5]، والتي نصــر الله فيهــا ديــن الإسلام ونصر حزبه وتحطم فيها الجيش الصليبي، الذي جمعــه أكبــر ملــوك أســبانيا النصرانية ألا وهو الفونسو السادس، وتحطمت معه آمال النصارى في طــرد المســلمين ومن ثم فقد بقيت الأندلس في يد المسلمين فترة أخرى طويلة لتشرب بقية مــن رضــاب الحضارة الإسلامية[6].

والحق يقال أن المرابطين أبلوا بلاءً حسناً في الجهاد وقدموا تضــحيات جمــة للدفاع عن الإسلام في الأندلس ولولاهم لضاعت الأندلس منذ أواخر القــرن الخــامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[7]، وقد كان لهذا النصر الكبير دوي عظيم في الأندلس

---

(1) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص53؛ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: تــاريخ الإســلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، 30/2.

(2) المقري: نفح الطيب، 136/6-138؛ المراكشي: وثائق المرابطين، ص33؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، 101/2.

(*) بطليوس: مدينة بالأندلس بينها وبين ماردة أربعين ميلاً، وقد أسسها عبدالرحمن الجلقي بأمر من الأمير عبــدالله الأموي = الحميري: المصدر السابق، ص96.

(3) المراكشي: وثائق المرابطين، ص33.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، 38/8.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص83.

(6) مراجع عقيلة الغناي: قيام دولة المرابطين، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي، 1988)،ص44.

(7) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984م، ص234؛ عبدالعظيم رمضان: المرجع السابق، ص290.

ويعته بلاد أكثر في الاسلامى[1].

حيث اعتبر مؤلف الحلل الموشية معركة الزلاقة، صنوياً لمعركتي القادسية[*] واليرموك[**]، فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلقها[2]، ولقد تغنى بذلك النصر الأدباء والشعراء، حيث جسد عبدالله بن جهور القيسي أحد أدباء أشبيلية قصيدة جاء في أولها[3]:

لو تعلم العُجم إذا جاءت مصَّممة .: يَوْمَ العروبة أن اليوم للعرب

ولقد ترتب عن نصر الزلاقة نتائج مهمة كان لها تأثيرها في مجرى الصراع المقبل بين العرب وأوربا، فقد استرد الأندلس أهل ثقتهم بأنفسهم وأحسوا بأن أيام المنصور بن أبي عامر الزاهرة قد عادت من جديد[4]. كذلك فقد رفع ذلك النصر الروح المعنوية لهم، وأنقذت سرقسطة من سقوط محتم وأزاح عن ملوك الطوائف كابوس النصارى وطلباتهم التي لا تنتهي من الجزية، ولكن هذا النصر أسقط من هيبة هؤلاء الملوك أمام رعايهم، خاصة وأنهم قد هزموا في بدء المعركة، ولولا تدارك يوسف لهم لضاعت الأندلس منذ تلك اللحظة، ولذلك أخذت الرعية تتمرد عليهم وترفض إعطائهم الضرائب الغير شرعية، المخالفة لتعاليم الإسلام، وقد دفعهم ذلك إلى التعلق بالمرابطين، فقد مهدت معركة الزلاقة إلى إسقاط دول الطوائف فيما بعد على يد

---

(1) المراكشي: وثائق المرابطين، ص33.

(*) معركة القادسية: حدثت هذه المعركة في خلافة عمر بن الخطاب (13- 23هـ/ 634- 643م) وقد قاد هذه المعركة سعد بن ابي وقاص، ضد الفرس بقيادة القائد الفارسي رستم بن هرمز بعد ان رفض ملكهم، يزدجر بن شهريار بن كسري إعطاء الجزية للمسلمين وقد دارت هذه المعركة في موضع القادسية من بلاد العراق وقد انتصر المسلمين انتصاراً باهراً، حيث تمكن المسلمين من تحطيم القوة الميدانية للجيش الفارسي بشكل لم تقوم له قائمة بعدها وذلك في سنة (15هـ / 636م) = أحمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1960م، 2/ 143، 145؛ محمد طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، (بيروت، 2006م)، ص83، 84.

(**) معركة اليرموك: دارت إحداث هذه المعركة ايضاً في خلافة عمر بن الخطاب، بقيادة خالد بن الوليد ضد الروم في عهد ملكهم هرقل، بالقرب من وادي اليرموك في بلاد الأردن، وقد نشبت بين الجيشان معركة ضارية استمرت عدة ايام، تجلت فيها عبقرية خالد بن الوليد العسكرية، وانتهت بانتصار المسلمين وذلك في سنة (15هـ/ 636م) = ابن الأثير: المصدر السابق، 2/ 255، 266؛ محمد طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز، ص87.

(2) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص66.

(3) ابن الآبار: الحلة السيراء، 101/2؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص151.

(4) عبدالعظيم رمضان: المرجع السابق، ص290.

منقذيهم[1].

ثالثاً: دخول المرابطين للأندلس (478هـ/1085م) وأثره على مملكة سرقسطة:

أ- علاقة بني هود بالمرابطين بعد معركة الزلاقة:

لقد شعر المرابطون منذ الساعة الأولى لدخولهم الأندلس بهذا المركز المهم الذي تحتله مملكة سرقسطة في قلب هذا المعترك من الإمارات النصرانية المتربصة بهـا، وأحسوا بفداحة مهمتهم في حمايتها والاحتفاظ بها، وقد جعلهـا ذلـك تتحمـل عـبء المقاومة التي تشنها هذه الممالك على الأراضي الإسلامية المجاورة[2]، لهذا لما عبـر المرابطون إلى الأندلس لم تشترك قوات مملكة سرقسطة في حـروب الجهـاد وذلـك لمراقبة القوى الأسبانية التي تتحفز للقضاء عليها وقد تمكن حكام سرقسطة من الحيلولة ما بين القوات الأوربية التي كانت تتدفق من وراء البرنات[3]، حيـث وقفـت القـوى الصليبية عند نهر الأبرو، ولم تستطع أن تتجاوزه خوفاً من بني هود، وبذلك يروي أن المستعين بن هود كاتب يوسف بن تاشفين عند عبوره الأول إلى الأندلس يبرر له عدم مشاركته في حرب الزلاقة، وذلك من أجل الحيلولة دون تقدم القـوى الأسـبانية مـن الشمال، وقد قَبل الأمير هذا العذر[4].

ولما استقر يوسف بن تاشفين في الأندلس وأقبل ملوك الطوائـف يسترضـونه ويقدمون له المساعدات، كان أحمد المستعين أكثرهم تقرباً إليه وعرف يوسف حـرج مركز المستعين وصعوبة موقفه أمام ملوك النصارى[5]. وهكذا أقام ابن هـود هـادئ البال يهدد النصارى بالمسلمين بكونه حائلاً بينهم وبين الفرنجة[6]، حيث انعقدت بينهما أواصر صداقة سيكون لها أثر بعيد على مستقبل سرقسطة وحينما ساءت العلاقات بين

---

(1) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص283؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص246.
(2) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص200.
(3) خليل إبراهيم السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس، ص194.
(4) سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص292.
(5) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص16.
(6) ابن عذاري: المصدر السابق، 145/4؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص15.

يوسف وملوك الطوائف ومضى ابن تاشفين ينزعهم عن إمارتهم واحداً بعد الآخـــر[1] استثنى من ذلك أمير سرقسطة المستعين والذي دخل في طاعته[2] وبذلك لم يقصد بلاده بل أنه أوصى ابنه علي بن يوسف بن تاشفين بعدم التعرض لبلادهم[3].

وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "والمستعين هذا ممن لــم يهجــوه أميــر لمتونـــة ولأنازعه على ما في يديه ولأتطرق لخلعه، قبولاً منه للعفو وإقراراً على ما في يديـــه بينه وبين العدو[4]، كذلك فإن أمراء سرقسطة رغم اتصـــالاتهم الكثيـــرة بالنصـــارى، وعلاقات الولاء التي كانت تربطهم بين الحين والحين، لم يحالفوا أحـــداً مـــنهم علـــى المسلمين، ولم يقفوا موقف الخيانة والتقاعس الذي وقفته أشبيلية وغرناطة ومالقة، أثناء الصراع العنيف الذي دار بينهم وبين النصارى على حصن لبيط[*] بعد موقعة الزلاقـــة بقليل[5].

حيث شاغلتهم المشاجرات في امتلاك القلاع والحصون عن الجهاد، فالراضـــي منهم كما يقول ابن بلقين "يريد المزيد والساخط يرجو الانتقام"[6].حيـــث لـــم يحـــاول التصدي للمسيحيين على أرض المعركة سوى المستعين ملك سرقسطة والمعتمد ملـــك اشبيلية [7]،

وبعد ذلك تعرضت مدينة وشقة وهي ثاني مدينة في مملكة سرقسطة وجناحهـــا

---

(1) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص16.
(2) المراكشي: وثائق المرابطين، ص35.
(3) عماد الدين إسماعيل أبي الفدا: كتاب المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت، (القـــاهرة، 200/2)؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص75.
(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 173/2.
(*) يُعرف هذا الحصن بالأسبانية أليدو (Aledo) ويسميه العرب لبيط، وهو يقع قرب مرسية في شرق الأنـــدلس، وبعد معركة الزلاقة عاد ابن تاشفين لكي يقضي على طائفة من النصارى الذين تحصنوا بهذا الحصن، وعددهم اثنا عشر ألف مقاتل، كانوا يهددون المسلمين فأراد يوسف بن تاشفين الاستيلاء عليه، ودعا ملوك الطوائف إلى معاونته، ولكن ما لبث أن ظهرت بينهم مشاجرات على إثرها نقل الأمر الذي أغضب ابن تاشفين وانسحب عنه بعد أن صمم على خلع ملوك الطوائف = ابن الآبار: الحلة السيراء، هامش المحقق رقم (1) 86/2؛ ابن بلقين: المصدر السابق،75؛ المراكشي: وثائق المرابطين، 75.
(5) ابن بلقين: المصدر السابق، ص75؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص70؛ حسين مـــؤنس: الثغـــر الأعلـــى الأندلسي، ص17.
(6) ابن بلقين: المصدر السابق، ص75.
(7) محمد صالح منصور: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالأندلس، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي، 1995م)، ص94.

الدفاعي ودرعها الواقي من الشمال إلى هجوم قام به شانجة بن راميز ملــك أرغــون حيث ضرب حولها الحصار ولكنه مات وهو محاصراً لها ســنة (487هـــــ/1094م) واستمر في متابعة الحصار ابنه "بدور الأول" وقد دافع المستعين عن مملكتــه دفاعــاً مجيداً دون جدوى، حيث طلب المستعين معاونة المرابطين[1]، وإزاء هــذه الظــروف بعث المستعين ابنه وولي عهده عبدالملك إلى الأمير يوسف بن تاشفين وهو في قرطبة سنة (496هــ/1102م) بهدية جليلة من جملتها أربعة عشراً ربعاً من آنيــة الفضــة، مطرزة باسم جده المقتدر والد جده المؤتمن، فقبلها منه ابن تاشــفين وأمــر بضــربها قراريط مرابطية، فرقها في أطباق على رؤساء قومه ليلة عيد الأضــحى مــن نفــس السنة، بعد عقد البيعة لولده علي بن يوسف في قرطبة بولايــة العهــد، وقــد حضــر عبدالملك ابن المستعين ذلك[2].

واستطاع عبدالملك بحسن سعيه وتصويره للخطر الذي تتعرض له مدينة وشقة أن يطلب من الأمير يوسف أن يمده بالمدد لإنقاذ المدينة، فلم يتردد الأمير يوسف عن ذلك فأرسل إليه ألف فارس من خيرة رجاله بقيادة أبا عبدالله[*] بن فاطمة[3]، وتوالــت الأشهر ووشقة صامدة، وعند ذلك رأى المستعين أن يطلب الاستعانة من ملك قشــتالة، فأمده بفرقة من جنده النصارى، وعند ذلك صمم بدوره على خوض المعركة، فتــرك حصار المدينة وسار في قواته لملاقاة المسلمين[4]، حيث نشبت معركــة عنيفــة بــين المستعين وملك أرغون وهي معركة الكرازة الواقعة على مقربة من مدينة وشقة، والتي انتهت بهزيمة المستعين وحلفائه القشتاليين، حيث جرت أحداث هذه المعركة في آخــر شهر ذي القعدة من سنة (489هــ/1095م) وقتل من الناس ما يُناهز اثنا عشر ألفــاً، والتمس بعد ذلك أهالي وشقة الأمان بعد ثلاثة أيام من الهزيمة، بعد حصار دام ثلاثين

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 172/2.

(2) ابن الآبار: الحلة السيراء، 248/2؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 174/2.

(*) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن تاشفين، أخو أمير المسلمين علي ويُعرف بابن عائشة، وكان من أعظم قواد المرابطين، واضطلع بإقرار أحوال شرق الأندلس بعد أن عاث السيد القمبيطور فيها فســاداً = ابــن القطــان: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1) ص8.

(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص113.

(4) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص108؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص288.

شهراً[1]. حيث ما لبث أن دخل بيدوا الأول في موكبه الظافر مدينة وشقة بعد أن حول مسجدها الجامع إلى كنيسة، تلا فيها الأرغونيون أدعية الشكر لربهم، بما أولاهم من نصر باهر في الكرازة على المسلمين وكان لسقوطها من الأهمية مثلما كان لسقوط طليلطة قبل ذلك بأحد عشر عاماً بالنسبة لقشتالة[2].

بعد ذلك رأى المستعين بن هود أن يعمل على تحصين بلاده، فملك بذلك زمام رعيته وأشتهر ذكره وكان يهادي أمير المسلمين ويكاتبه[*] فقال له في مكاتبة إليه "نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومن عين تطرف وقنعنا بمسالمتكم فأقنعوا منا بها"[3]. وبعد ذلك أصبحت الأندلس تحت قبضة دولة المرابطين الفتية وضمها يوسف بن تاشفين إلى مملكته، وعادت موحدة، كما كانت زمن الخلافة الأموية، ولم يبق خارج سلطته إلا إمارة سرقسطة، التي كانت كالشوكة في حلق النصارى، فقد قاومتهم زمناً طويلاً وتراجعوا أمام [**]صمودها [4].

حيث أبلى أميرها المستعين بلاءً حسنا في جهاد النصارى، وظهرت فيها شهامة ورجولة أقنعت الأمير يوسف على إبقائه على ملكه، وتحالف ابن هود مع إخوانه في العقيدة ضد أعدائهم في الدين وكان سداً منيعاً في الثغور الشمالية وقد كلف النصارى خسائر هائلة في الأموال والأرواح[5]، قد تعهد ابن تاشفين بأن يحافظ على السلام مع أمراء سرقسطة، وأن يساعد حكامها في كافة الوجوه التي يحتاجونها مستقبلاً وقد أدرك

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 172/2؛ ابن خلدون: العبر، 163/4.

(2) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص110.

(*) ينظر الملحق رقم (3) ص231.

(3) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص74.

(**) حيث تعرضت سرقسطة في عهد عبدالرحمن بن معاوية الداخل، (113-172هـ/731-788م) إلى حصار من قبل ملك الفرنجة المسمى باقارلة أو شارلمان، وذلك بمساعدة نفر من الزعماء العرب الساخطين على حكم عبدالرحمن الداخل، وبالفعل فقد جاء شارلمان من بلاده وقام بحصار مدينة سرقسطة بجنوده غير أن أهلها دافعوا عن مدينتهم دفاعاً مجيداً وأغلقوا أبوابها دونه، وبعد أن يأس شارلمان من إمكانية احتلال المدينة رفع الحصار عنها واتجه شمالاً عائداً إلى بلاده = مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص107؛ اينهار: سيرة شارلمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، (دمشق، 1989م)، ص75.

(4) سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص292.

(5) علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (القاهرة، 2003م)، ص133.

يوسف أن حكام سرقسطة من بني هود كانوا على نقيض ملوك الطوائف الآخرين، فقاتلوا المسيحيين، والتزموا بالمضي في قتالهم، ولم يكن الأمر راجعاً لعجز يوسف والمرابطين في الاستيلاء على سرقسطة إن شاء بل كان الأمر مجرد رغبة منهم في أن تظل سرقسطة منطقة أمان لهم من مواجهة قوى المسيحية في الشمال[1].

وكانت حقيقة الأمر أن يوسف بن تاشفين قد أطاح بكثير من ملوك الطوائف لصدهم وعجزهم عن الوفاء بواجباتهم في الجهاد على خلاف بني هود، الذين وقفوا موقفاً مناصرا للمرابطين ، فاستمر الإعجاب المتبادل بين يوسف بن تاشفين والمستعين ابن هود حتى لقيا ربهما[2].

وقد ذكر صاحب الحلل الموشية أن الأمير يوسف قد أوصى ابنه علياً بعدد من الوصايا منها أن يهادن بني هود بالأندلس وأن يتركهم حائلين بينه وبين الروم[3].

2- دخول مملكة سرقسطة تحت نفوذ المرابطين (503هـ/1110م):

بعد هزيمة المستعين في معركة الكراز قرب مدينة وشقة، انتهز المستعين بن هود فرصة وجود الفونسو المحارب في قشتالة، وهاجم ابن هود مناطق الحدود مع أرغون ونبره وفتح حصن أرنيط(*) عام (501هـ/1107م) وشن الغارات على النصارى بعد أن صالحهم على أخذ الجزية[4]. وعند عودته إلى عاصمته فاجأه جنود النصارى عند بلدة "فاتيراً فهزم" المسلمين واستشهد المستعين بن هود وذلك في أول شهر رجب سنة (503هـ/1119م) ومعه كثير من جنوده المسلمين الذين نالوا الشهادة معه[5]. ترتب على معركة بلتيره أن فقدت سرقسطة آخر أمرائها الكبار من بني هود[6] حيث تولى مقاليد حكم الثغر ابنه وولى عهده عبدالملك، الملقب بعماد الدولة،

---

(1) محمد صالح منصور: المرجع السابق، ص112.
(2) المرجع نفسه: ص113.
(3) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص83.
(*) هي قلعة منيعة بالأندلس، تبعد مدينة تطيلة بنحو ثلاثون ميلاً، تحيط بها مزارع خضراء طيبة = الحميري: المصدر السابق، ص14.
(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 174/2؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، 248/2؛ أبن عذاري: المصدر السابق، 53/4؛ القلقشندي: المصدر السابق، 274/5.
(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 53/4.
(6) محمد طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ص513.

والذي بايعه أهل سرقسطة، بعد استشهاد أبيه، واشترطـوا عليـه "ألاّيلتبس بشيء من أمر الروم"[1]، وتعهد لهم بتحقيق رغبتهم، لكنـه لـم ينفذ وعده، وكانـت الحـوادث عندئذ تسير تباعاً وحسن الطالع يواتي المرابطين تباعـاً[2] حيث ذكر ابن عـذاري أن عبدالله[*] بن فاطمة طمع في مملكة سرقسطة بعد استشهاد المستعين في موقعة "فالتيرا" حيث جاء إلى سرقسطة بجنوده بعد شهر واحد من هذه الموقعة، عند ذلك خرج إليـه أهلها ورجوه أن ينصرف عنهم ولا يبدأ بالفتنة مع أميرهم عماد الدولة خشية أن يطلب عون النصارى، فتعود الحروب بينهم فانصرف عنهم[3]. وعندما أحس أهالي سرقسطة أن أميرهم عماد الدولة لا يستجيب لشروطهم بتسريح قواته من النصارى خاصة بعـد أن تبين لهم على أنه لم يكن على مستوى والده في القدرة السياسية، وفشل في وضـع حد لانقسام المجتمع السرقسطي بين داع للدخول في تبعية المرابطين وبين مؤيد للأسرة الهودية[4]. عند ذلك كتبوا إلى علي بن يوسف بن تاشفين في مدينة مراكش يناشـدونه خلع بني هود وتسلم سرقسطة، فاستفتى على فقهاه، فأفتوه بوجوب تحقيق هذه الرغبة، وبعث إلى قائده محمد بن الحاج والي بلنسية، أن يسير إلى سرقسطة، ولما عَلم عمـاد الدولة بذلك أرسل إلى أمير المسلمين خطاباً مؤثراً ويستصرخه فيه، ويذكره بما كـان بينه وبين والده من أواصر المودة وقال له فيها: " لكم فيما فعله أبوكم أسـوة حسـنة وسيعلم مبرم هذا الرأي عندكم سوء مغبته، والله حسـيب مـن معـي، وحسـبنا الله

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 175/2.

(2) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص291، 292.

(*) هو أبو محمد عبدالله بن فاطمة، أحد مشاهير قواد المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي، اشترك مع القائد مزدلي في استنقاذ بلنسية من أيدي المسيحيين سنة (495هـ/1101م) ثم اشترك بعد ذلك مع أبي الحسـن علي بن الحاج قائد جيوش المرابطين في منطقة شرق الأندلس في مهاجمة الفونسو السادس في حصار مدينـة سالم سنة (497هـ/1103م) ولقد استشهد في هذه الغزوة القائد أبو الحسن علي بن الحاج، فأمر ابن تاشفين ابن فاطمة أن يخلف ابن الحاج في منصبه العسكري، وبعد وفاة ابن تاشفين خلفه ابنه علي الذي أقر ابـن فاطمـة على حكم بلنسية، وبعد عدة سنوات عاد ابن فاطمة إلى أشبيلية وظل على حكم هذه المدينة إلى أن تـوفي فـي شهر رمضان سنة (512هـ/1118م) = ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش رقم (2) ص112.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 53/4.

(4) محمد طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ص413.

وكفى"[1].

فرق الأمير علي لملتمسه ذلك وكتب إلى قائده أن يكف[2] ولكن الأمر كان قد قضى عند ذلك حيث دخل الأمير محمد بن الحاج صاحب بلنسية، مدينة سرقسطة صبيحة يوم السبت العاشر من ذي القعدة سنة (503هـ/1119م) بعد أن فتح له أهلها أبواب المدينة، حيث استقبله أهلها، ثم دخل قصر الجعفرية[3] وبدخوله سرقسطة انتهى حكم بني هود للمملكة، بعد أن دانت لحكمهم أكثر من سبعين عاماً، وقد كانت سرقسطة آخر مملكة من ممالك دول الطوائف تدخل في حوزة المرابطين[4].

(1) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق عبدالسلام تدميري، دار الفكر، (بيروت، 1997م)، 523/14.
(2) المصدر نفسه، 523/14.
(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 175/2؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 54/4.
(4) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف: ص293.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية والتنظيمات الإدارية لمملكة سرقسطة في عهد بني هود

أولاً: الزراعة.

ثانياً: الصناعة.

ثالثاً: التجارة.

رابعاً: الموارد المالية.

خامساً: التنظيمات الإدارية.

أولاً: الزراعـــــة:

كان المجتمع الأندلسي مجتمعاً زراعياً قبل كل شيء يعتمد فـــي حياتـــه علـــى الزراعة والفلاحة[1]، فالفلاحة كما يقول ابن عبدون "هي العمران، ومنها العيش كلـــه والصلاح جله[2]. ومن ثمَّ تأتي الصناعة والتجارة لتكمل ما تعجز عن سده الزراعة من حاجات السكان، وقد لعبت هذه الأنشطة دوراً أساسياً في بنـــاء المجتمـــع الأندلســـي، وتحديد علاقات أفراده بعضهم ببعض، وتوجيه نشاطه الفكري والثقافي والأدبي[3].

هذا تقدمت الحياة الاقتصادية في مملكة سرقسطة في عهد ملوك الطوائف، وذلك نتيجة لما أبداه أمراء بني هود، من حرص على النهوض بالمملكة في شتى المجالات، فزاد الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري، مما أدى إلى تدفق الأموال الوفيرة علـــى المملكة.

كما اشتهرت مدينة سرقسطة من بين مدن الأندلس بتنوع محاصيلها الزراعية، وخصوبة أرضها ووفرة مياهها وثمارها، وذلك لوقوعها على الضفة اليمنى من نهـــر الآبرو[4]، وهو نهر جليل كبير متسع الجوانب[5]، ونتيجة لذلك عُرفت باســـم عـــروس الآبرو[6] إضافة إلى ذلك فقد أحدقت بها أربعة أنهار، ولا يوجد في بلاد الأندلس مدينة بها أنهار أربعة سواها[7]، ومن أهم أنهارها، نهر جلق الذي يقع إلى الشرق منها، وقد ذكر المؤرخون أن "موسى بن نصير" شرب من ماء جلق بسرقسطة فاستعذبه، وقـــال: أنه لم يشرب أعذب منه، فسأل عن اسم النهر، فذكروا له اسمه، فقال: إن هـــذا نهـــر جلق، وهذه غوطة دمشق، فشبهها بغوطة دمشق، لأن البساتين التي تُحدق بهـــا تشـــبه

---

(1) صلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، (بيروت، 1981م)، ص37.

(2) محمد أحمد التجيبي ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة، 1955م)، ص5.

(3) صلاح خالص: المرجع السابق، ص37.

(4) ابن غالب: المصدر السابق، ص278؛ الحميري: المصدر السابق، ص97.

(5) نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1960م)، ص120.

(6) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (2)، ص100.

(7) ابن سعيد: المصدر السابق، 12/2.

غوطة جلق دمشق[1]. هذا ويرجع ازدهار الزراعة في مملكة سرقسطة لعدة عوامل منها:

أ- جودة التربة وخصوبتها:

تحتل مدينة سرقسطة موقعاً ممتازاً، كما ذكرت سابقا[*]، على نهر الآبرو[3] وتحيط بها أربعة أنهار فضلا عن خصوبة تربتها، وأدى إلى توفير المحاصيل الزراعية والفواكه، بمختلف أنواعها، ولكثرة الفواكه في بساتينهم فقد كان المزارعين يستخدمون الفواكه سماداً للأرض، وذلك لأن ثمنها لا يقوم بمؤنة نقلها، وذلك لشدة رخصها عندهم[4].

ب- اعتدال المناخ:

يسود مدينة سرقسطة طقس معتدل ، ولا يشتد الحر فيها ولا البرد[5]، وذلك لأن مناخها يقع ضمن مناخ البحر المتوسط، وهو مناخ حار جاف صيفاً، دافئ ممطر شتاءٍ، وقد ساعد هذا المناخ على تركز الحياة السكانية حول المدن[6].

ج- توفر مياه الري في المملكة:

تتوفر في سرقسطة مياه الأمطار، التي تعتبر من أفضل أنواع المياه وأحسنها، تجود بها جميع النباتات من الخضر والثمار وغيرها، وذلك لعذوبتها وخلوها من الأملاح وفائدتها للتربة وللنباتات على حد سواء ، وهو لا يترك أثراً للأملاح في

---

(1) المقري: نفح الطيب، 150/1؛ ابن سعيد: المصدر السابق، 434/2.

(*) ينظر ص (12) من هذه الرسالة.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص97.

(4) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 116/2.

(5) المرجع نفسه، 116/2.

(6) أحمد صادق دولت وآخرون: جغرافية العالم "دراسة إقليمية"، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1959م)، 1/ 395، 406.

التربة، فتقبله الأرض قبولاً حسناً[1] إضافة إلى مياه الأنهار ومنها النهر الأعظم نهــر الآبرو، وهو نهر لاصق بسور المدينة، وكذلك نهر جلق الذي يقع إلى الشرق منهــا، ويسقي جناتها المعروفة بالربض، ونهر شالون الذي تقع عليه مدينة سالم، وقلعة أيوب والذي يسقي مدينة روطة، في سهل وعر يسقي من الأرض ما لا يحصى كثرة، وكذلك نهر فنتش الذي يفيض سقياه، وهو يسقي في الطول والعرض كنهر شالون[2]، إضــافة إلى مياه العيون والتي تعد أيضاً من عوامل تقدم الزراعة لسرقسطة، وفي ذلك يقــول ابن غالب "وفيها عيون ثجة، تتدفق بالمياه الغزيرة، وتطحن بها الأراحي"[3].

كما عرفوا أيضاً تسميد التربة، وقد ذكر الحميري أنهم كانوا يستخدمون الفواكه سماداً للأرض، ويتخذون سرجينا لها، لتخزينها، وذلك لأن منها ما لا يقوم بمؤنة نقلها لشدة وفرتها ورخصها عندهم[4].

2- أهم المحاصيل الزراعية للمملكة:

اشتهرت سرقسطة بزراعة المحاصيل التي تُزرع على سفوح المناطق الجبلية، وفي السهول الفسيحة، ويُعد حصن "بربشتر" من أهم المناطق المنتجة لأشجار الكــروم والرمان[5].

والملفت للنظر أن غلال سرقسطة تبقى في مطاميرها ســنين عديــدة، دون أن تبلي أو يلحقها الضرر، وذلك لطيب هوائها واعتدال مناخها[6].

وذكر الزهري "أنه يوجد بها القمح من مائة سنة والفول والحمص من عشــرين

---

(1) ابن العوام الإشبيلي: كتاب الفلاحة، ترجمة: دون جوزيف انطونيو، مطبعة مدريد الملكية، (مدريد، 1802م)، ص135.

(2) العذري: المصدر السابق، ص22.

(3) ابن غالب: المصدر السابق، ص294.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص97.

(5) ابن غالب: المصدر السابق، ص295.

(6) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 116/2.

سنة، وذكر أنها لا يتسوس فيها شيء من الطعام[1].

ومن أهم المحاصيل الزراعية في سرقسطة أيضاً، أشجار الزيتون التي يكثر إنتاجه في المملكة، حيث يكثر إنتاجه في حصن قرب مدينة وشقه يُعرف "بحصن يلويه[2]. كما يوجد أيضاً وادي يعرف بوادي الزيتون ويشتهر هو الآخر بزراعة الزيتون[3]، فاشتهر كذلك حصن مربيطر الذي يقع قرب مدينة طرطوشة بكثرة أشجار الزيتون المنتشرة حوله[4].

ولا شك أن لشجرة الزيتون أهمية اقتصادية كبرى إذ يستخرج منها زيت الزيتون الذي يستخدم في مجالات عدة في الحياة اليومية، ويصدر الفائض منه إلى بقية بلاد الأندلس.

وعرفت سرقسطة أيضاً زراعة العنب، حيث اشتهرت مدينة طركونة وهي من أعمال المملكة بوجود سهل يُعرف بسهل أفيح، يشتهر بزراعة العنب[5]. وقد ذكر أن الحبة الواحدة منه تزن 45 جراماً[6]؛ عرفت سرقسطة أيضاً زراعة التين الذي يشتهر أهلها بتجفيفه[7]، وأيضاً عرفوا زراعة اللوز والجوز[8]، إلى جانب ذلك فقد عرف أهالي المملكة زراعة الخوخ والأجاص والتفاح والكمثري[9]، وأيضاً من الفواكه التي زرعت في المملكة "القراسيا"، "حبة الملوك" وهي ثمرة طيبة أشبه بالبرقوق، وكان

---

(1) محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، د.ت)،ص82.

(2) العذري: المصدر السابق، ص56.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، 435/2.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص181.

(5) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 268/2.

(6) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مكتبة ومطبعة الإشعاع، (الإسكندرية، د.ت)، ص142.

(7) الحميري: المصدر السابق، ص97؛ الزهري: المصدر السابق، ص82.

(8)الحميري: المصدر نفسه، ص97.

(9) الزهري: المصدر السابق، ص82.

الأندلسيون يزرعونها في شهر يناير، وتشتهر سرقسطة بهـــا[1]، وكـــان الأندلســـيون يتهادون هذا النوع من الفواكه، وفي ذلك يقول المقرئ[2]:

يا خير منْ ملكِ الملوك ∴ أهديتني حَب الملــوك

فكأنّمَا ياقوتهـــــــــــــا ∴ نظمت لنْا نظم الملوك

إلى جانب هذه المحاصيل الزراعية السابقة الذكر، فقد عرفت المملكـــة أيضـــاً زراعة الكتان، الذي يكثر زراعته في مدينة لآردة، والذي يتميز بجودته وطيبه، وقـــد ذكر الحميري أن كتان لاردة هو الذي يتجهز منها إلى جميع نواحي الثغور[3].

كذلك تميزت سرقسطة عن كل مدن الأندلس بساتينها المحدقة وأنهارها الجارية المتدفقة[4]، وهي تضاهي مدن العراق في كثرة الأشجار والأنهار[5]، وإلى جانب هـــذه المحاصيل الزراعية من الحبوب والفواكه، فقد اشتهرت المملكة أيضاً بغاباتها الكثيفة، والتي تقع في سفوح الجبال، ومن أهم أشجارها: أشجار البلوط، والصنوبر الذي يكثـــر وجوده بها، حيث ذكر الإدريسي أن "بجبالها يكون خشب الصنوبر الذي لا يوجـــد لـــه نظير في الطول والغلظ، ومنه تتخذ الصواري"[6]. ويضيف الحميري بأن هذا الخشب أحمر صافي البشرة، لا يتغير ولا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره من الخشـــب[7]، كما عرفت سرقسطة زراعة شجرة تسمى "اللبان" وثمرها طيب الرائحة، ويحصل منها على صمغ يسمى في اللاتنية بالأندلس ، "شانسيه" وهذا النوع من الأشجار، كان ينمـــو في مدينة طرطوشة[8]. ولا شك أن وجود هذه الأشجار، قد أدى إلى اشـــتغال أهـــالي

(1) المقرئ: نفح الطيب، 191/1؛ كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص142.

(2) رجب عبدالجواد إبراهيم: ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دار غريب، (القاهرة، 2001م)، ص22.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص168.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، 434/2.

(5) المقرئ: نفح الطيب، 191/1.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، 555/2.

(7) الحميري: المصدر السابق، 96، 97.

(8) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص172.

المملكة، بحرفة التجارة، وذلك بقطع الأخشاب وأهمها أخشاب الصنوبر التي تشتهر بها مدينة طرطوشة.

3- الثروة الحيوانية:

لقد أشاد الجغرافيون المسلمون بكثرة انتشار المراعي في مملكة سرقسطة حيث ذكر الحميري، أنه يوجد فحص يعرف باسم "مشكيجان" بمدينة لاردة يشتهر بكثرة الضياع والمراعي والمزارع[1].

ولاشك أن وجود هذه المراعي، قد أدى إلى وجود العديد من الحيوانات والتي منها الأبقار، إلى جانب وجود الغزلان والآيال والأرانب البرية[2] إلى جانب تربية البغال والخيل التي تستخدم للركوب وحمل الأثقال، وذلك لأن أكثر أراضيها جبلية[3].

ثانياً: الصناعة:

اشتهرت مملكة سرقسطة إلى جانب إنتاجها الزراعي الوفير بصناعتها المتنوعة والمتعددة، وترجع عوامل ازدهار وتقدم الصناعة بها إلى عدة عوامل منها:

1- كثرة الإنتاج الزراعي والحيواني، فقد كانت سرقسطة كثيرة الخيرات والغلات، والثمار والبساتين[4].
2- وجود المعادن ولو بنسبة قليلة، مثل معدن النحاس، والرصاص إلى جانب وجود معدن الذهب الخالص في نهر بشقيقر بمدينة لاردة[5]. إلى جانب توفر المواد الأولية من أخشاب الأشجار التي كانت تقطع من غاباتها أشجار البلوط والصنوبر

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص168.

(2) أبي راس محمد بن الناصر المعسكر: الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق: سليمة بنعمر، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (طرابلس، 2002م)، ص423.

(3) بطرس البستاني: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، (بيروت، د.ت)، 578/9.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص96.

(5) المصدر نفسه، ص168.

المشتهرة في مدينة طرطوشة، والتي تعد ضرورية لبناء السفن[1]، والوقود لصنع كثير من الأثاث، كالأبواب والكراسي وأسقف المباني على اختلاف أنواعها وبناء السفن والحصران والتي تعد من أهم المفروشات وخاصة في بيوت العامة من أهالي المملكة كذلك فإن كثير من الأصباغ والعطور والأدوية تعتمد على المنتوجات الزراعية[2]، إلى جانب ذلك توفر الكتان الذي تكثر زراعته في مدينة لاردة وتطيلة[3] والذي يستخدم في صناعة الثياب.

3- إلى جانب هذه العوامل السابقة الذكر، فقد كان لكثرة الأيدي العاملة، أثر كبير في تقدم الصناعة، حيث تميزت مملكة سرقسطة بتعدد العناصر السكانية المختلفة، إلى جانب ذلك فقد كان قيام الفتنة القرطبية عاملاً مهماً في هجرة أعداد كبيرة من أهالي الأندلس، إلى عدة مناطق من بلاد الأندلس[4]. وقد كانت مدينة سرقسطة من أهم المدن التي استقر بها هؤلاء المهاجرين، وذلك لاستقرار الأوضاع السياسية بها ولبعدها عن مسرح الفتن والقلاقل التي عانت منها مدن الأندلس الأخرى بشكل عام وقرطبة على وجه الخصوص[5]. ولاشك أن حرفة الصناعة قد خلقت طبقة من أصحاب الحرف الذين لم تسمح لهم على وجه العموم وسائل عملهم ولا الظروف القائمة في البلاد بالحصول على ثروات ضخمة ولكنهم مع ذلك كانوا يعيشون في مستوى معيشي يختلف ارتفاعاً وانخفاضاً باختلاف الأشخاص وأعمارهم، وباختلاف الظروف العامة[6]، ولاشك أن وجود هذه العوامل أدى إلى دفع حركة التصنيع إلى الأمام، وإن كانت هذه الصناعات بسيطة إلا أنها قد ساهمت في سد حاجات السكان، وتصدير الفائض من الإنتاج إلى

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(2) إبراهيم الكروي وعبدالتواب شرف الدين: الحضارة العربية، دار ذات السلاسل، (الكويت، 1984م)، ص137.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص168.

(4) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص 260.

(5) كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية،1997م)، ص179.

(6) صلاح خالص: المرجع السابق، ص40.

خارج المملكة، ومن أهم هذه الصناعات ما يلي:

1- الصناعات الغذائية:

توفرت الحبوب فى مدينة سرقسطة واهمها القمح والشعير[1] الذى كـــان مـــادة اساسية فى صناعة الخبز وكانت عملية طحن الغلال تتم عن طريق الإرحاء التي تدار إما بقوة الحيوانات أو بقوة الماء[2]، وقد أشار الحميري إلى وجود الأراحي بطركونـــة والتي تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها[3]، ولا شك أن كثير من العمال كـــان يخدم في الطواحين أي الأرحاء التي تطحن الحبوب[4]. هذا وقد شددت كتب الحســـبة على هؤلاء العمال على ألا يخلطوا العجين البايت بالعجين الجديد[5]، ويجب أن يـــؤمر الخبازون بغسل قصاري العجين كل يوم وجرد الألواح ومسحها كي لا تدب الحشرات عليها[6]، كما أنها أشارت أنه لا يجب أن يباع الخبز إلا بكيل معلوم بين الناس[7].

ومن أهم الصناعات أيضاً صناعة الزبيب، وتعتمد هذه الصناعة بالدرجة الأولى على توفر محصول العنب، الذي كانت تجود به مدينة طركونة، من أعمال سرقسطة، في سهل يعرف بسهل أفيح والذي يشتهر بزراعة العنب[8]، وقد أشـــار الزهـــري أن العنب يوجد بها معلقاً من ستة أعوام أو أكثر[9]، وعلى عصير العنب تقـــوم صـــناعة

---

(1) الحميري: المصدر السابق، 126؛ الزهري: المصدر السابق، ص 82.

(2) توماس ساغليك: التكنولوجيا الهيدولية في الأندلس، ورد ضمن كتاب سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز الوحدة العربية، (بيروت، 1986م)، ص360.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص126.

(4) عصمت دندش: الاندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامى، (بيروت، 1976م)، ص180.

(5) ابن عبدون: المصدر السابق، ص48.

(6) يحيى بن عمر الأندلسي: كتاب أحكام السوق، قدم له وحققه محمود مكي، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2003م)، ص49؛ ابن عبدون: المصدر السابق، ص43.

(7) ابن عبدون: المصدر السابق، ص48.

(8) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 268/2.

(9) الزهري: المصدر السابق، ص82.

الأنبذة[1]. هذا وقد شدد ابن عبدون أنه لا يجب أن يباع العنب الكثير ممن يعرف أنـه يعصره للخمر[2]، كما عرفوا حفظ الفاكهة مثل التفاح،وذلك بتركه حتى ينضج تماماً في أكتوبر ثم يجمع في الليل ويحافظ عليه من أن يجرح أو يخدش ثم يوضع فـي قـدور تفرش قيعانها بطبقة من الكتان[3]، والذي تكثر زراعته في مدينة لاردة[4]، ولا توضع واحدة فوق واحدة، بعد أن يفرش بينها طبقة من سيقان الكتان، وبهذه الطريقة يبقى إلى شهر يونيه على أن يتم التخزين في مكان بارد[5]، وكانت نفس الطريقة تطبـق علـى ثمار التين والأجاص والخوخ[6]، والكمثري[7].

ومن ضمن الصناعات الغذائية المهمة في مدينة سرقسـطة، صـناعة عصـر الزيتون الذي كان منتشراً في عدة نواحي من مدن سرقسطة، ومنها حصـن مربيطـو قرب مدينة طرطوشة[8]، وكذلك يكثر إنتاجه بحصن يُعرف بحصن "يُلويُه" الذي يقرب مدينة وشقة[9] ومن طرق حفظ الزيتون هو أن يضاف إليه الملح والخل وذلك بإضافة قليل من الملح، وكانت عملية استخراج زيت الزيتون تتم إما بقوة التيار أو بالدواب، ثم بعد ذلك توضع في أوعية أو قدور نظيفة في أماكن باردة[10].

2- صناعة حفظ الأسماك:

نظراً لوقوع مملكة سرقسطة على الضفة اليمنى من نهر أبـرة[11] وسـيطرتها

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص244.

(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص45.

(3) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص162.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص168.

(5) كمال السيد أبو مصطفى: المرجع نفسه، ص168.

(6) الزهري: المصدر السابق، ص82.

(7) الحميري: المصدر السابق، ص195.

(8) العذري: المصدر السابق، ص56؛ ابن سعيد المصدر السابق، 439/2؛ الحميري: المصدر السابق، ص181.

(9) العذري: المصدر نفسه، ص56.

(10) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص163.

(11) ابن غالب: المصدر السابق، ص278.

على ثغرين كبيرين هما طرطوشة والتي تبعد عن البحر بحوالي عشرين ميلاً[1]، وثغر طركونة المتصل هو الآخر بأعمال طرطوشة الواقعة على البحر[2]، وقد أدى ذلك إلى تعدد أنواع الأسماك بها، فالقزويني يذكر أن بواديها الحــوت الطيــب مــن البــوري والشورى، وهو من الأسماك البحرية التي تهاجر إلى الأنهار[3]، كما اشتهر أيضاً نهر أبرة الذي تقع عليه مدينة طرطوشة وسرقسطة بوجود نوع مــن الحــوت المعــروف "بالطرخته" وهو حوت أبيض كبير الحجم ليس له إلا شوكة واحدة[4]. ولقد كان لــوفرة الأسماك أثر كبير في اشتغال بعض أهالي المملكة بحرفة صيد الأسماك[5]، والتي مهر السرقسيطون في معالجتها وتمليحها وتجفيفها، هذا وقد شدد المحتسب على ضرورة ألا يغسل الحوت المالح بالطرى ولا الطرى بالماء لأنه يفسده ويعفنه[6].

3- صناعة المنسوجات:

كذلك اشتهرت مملكة سرقســطة بصــناعة المنســوجات المعروفــة بالثيــاب السرقسطية، وقد كان أهالي المملكة يقومون بصنع هذه المنسوجات التي تُصنع من وبر السمور[7] وهي الثياب الرقيقة والتي برع أهالي المملكة بلطف تدبيرها وتطويرهــا[8]، وقد كان هذا السمور الذي يعمل من وبره الفراء الرفيعة والذي لا يقل نفاسة عن فراء الثعلب[9].

وقد كانت معاطف الفراء التي تصنع من هذا السمور ضرورية لتجنــب بــرد

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(2) ياقوت الحموي: كتاب المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، تحقيق: قاسم محمد الرجب، (بغداد، 1846م)،ص293.

(3) زكريا بن محمد القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، 1969م)، ص554.

(4) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص195.

(5) كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص176.

(6) ابن عبدون: المصدر السابق، ص440.

(7) ابن غالب: المصدر السابق، ص287.

(8) بطرس البستاني: المرجع السابق، 578/9.

(9) كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص177.

الأندلس القارص خاصة في المناطق الشمالية واختصت به سرقسطة وطرطوشـــة[1]. هذا وقد امتدح العذري براعة أهالي سرقسطة في تلك الصناعة بقوله: "أنه لا تدانى تلك الصنعة ولا تحكى في أفق من الآفاق"[2].

كذلك اشتهرت سرقسطة ولاردة بالثياب التي تصنع من الكتـــان[3]، والحريـــر الفائق[4]، وقد أشار الزهري بأنه "لا يتسوس فيها شـــيء مـــن ثـــوب ولا حريـــر ولا قطن"[5]. وقد ارتبطت بصناعة المنسوجات القطنية والكتانية صناعة الملابس الجاهزة، وكان يعيش منها عدد كبير من أهل المدن،ويتجمع الخياطون في قيسارية خاصة بهم، لصناعة المنسوجات الفاخرة والملابس الثمينة[6].

4- الصناعات الخشبية والحديدية:

أ – الصناعات الخشبية: لقد شهدت مملكة سرقسطة اهتماماً خاصاً بالصناعات الخشبية وقد ساهم في ذلك توفر الغابات وانتشارها، حيث اشـــتهرت طرطوشـــة، بجبالهـــا العامرة بغابات البلوط والصنوبر والذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ[7]، كما اختصت طرطوشة بصناعة المراكب الكبار المصنوعة من خشب الصنوبر الـــذي ينمو بجبالها[8]، وهذه الأخشاب ضرورية للبناء ولصنع كثير من الأثاث كالكراسي والمناضد والخزانات والصناديق[9]، كما أنها تدخل في صناعة أسقف المباني على

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص257.

(2) العذري: المصدر السابق، ص22.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص168؛ بشير التليسي وجمال الذويب: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المدار الإسلامي، (بيروت، 2002م)، ص236.

(4) محمد كرد علي: غابر الأندلس وحاضرها، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثاني، الجزء الخامس، (دمشق، 1922م)، ص229.

(5) الزهري: المصدر السابق، ص82.

(6) عصمت دندش: المرجع السابق، ص186.

(7) الإدريسي: المصدر السابق، 555/2.

(8) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(9) إبراهيم سليمان الكروي وعبد التواب شرف الدين: المرجع السابق، ص137.

أنواعها، كالمساجد والمنازل إضافة إلى أثاث المساجد، كصناعة المنابر وكراسي المصاحف ومن الصناعات الخشبية الأخرى صناعة الصناديق ومقابض الآلات الحربية، كالفؤوس والسهام والسلالم، التي تستخدم عند إقدام المسلمين على صار المدن[1].

ب- **الصناعات الحديدية:** إلى جانب الصناعات الخشبية، فقد تميزت المملكة بوجود معدن الحديد والرصاص والنحاس[2]. هذا وقد أشار الزهري إلى وجود دار للصناعة بمدينة وشقة لصناعة الدروع الرشيقة، المصنوعة من النحاس والحديد[3].

5-صناعة الذهب والفضة والحلى الثمينة:

شهدت صناعة الحلي تطوراً كبيراً في المملكة، لوجود المادة الخام، مثل معدن الذهب والفضة، وقد أشار الحميري والزهري إلى وجود معدن الذهب الخالص في مدينة لاردة[4]، إضافة إلى وجود معدن الفضة بالمملكة[5]. هذا وقد استخدم الذهب في صناعة الحلي وبعض أدوات الزينة وسك الدنانير، بالإضافة إلى استخدامه في صناعة الملابس أو الحلل الموشاة بخيوط من الذهب[6]، وتذهيب الأثاث والأبواب خاصة عند الطبقات الثرية المترفة[7]. وقد زين جدران قصر الجعفرية بالتحف المذهبة البديعة لذلك حمل اسم البهو الذهبي أو مجلس الذهب[8]. وقد استخدم معدن الفضة في صناعات عديدة منها صناعة التحف كالصناديق التي تحفظ فيها الحلي والقنينات

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص255.

(2) ابن غالب: المصدر السابق، ص290؛ بطرس البستاني: المرجع السابق، 578/9.

(3) الزهري: المصدر السابق، ص82.

(4) المصدر نفسه، ص82؛ الحميري: المصدر السابق، ص168.

(5) بطرس البستاني: المرجع السابق، 578/9.

(6) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص207.

(7) السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، "دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، 1972م)، 141/2.

(8) المقرئ: نفح الطيب، 422/1.

المتخذة لحفظ العطور، وصناعة حلي الفضة وأدوات الزينة[1].

ثالثاً: التجارة:

ازدهرت الزراعة والصناعة في مملكة سرقسطة، إبان عهد بني هود، وتأتي التجارة لتكمل ما تعجز الزراعة والصناعة عن سده من احتياجات السكان، وقد تقدمت التجارة في مملكة سرقسطة لعدة عوامل منها:

1- موقع مملكة سرقسطة الجغرافي، فهي تقع شرق مدينة قرطبة على الضفة اليمنى من نهر أبرة[2]، ولها سور حجارة حصين، ومباني رفيعة ومنيعة[3].

2- نشاط حركة الملاحة، فنظراً لوقوع مملكة سرقسطة على نهر أبرة[4] وسيطرتها على ثغرين كبيرين هما طرطوشة وطركونة الواقعتين على البحر المتوسط[5]، مما أدى إلى نشاط حركة التبادل التجاري بين سرقسطة وبعض المدن الأندلسية والأوربية[6].

3- تضاءل الخطر القشتالي نسبياً، فلم يعد هؤلاء النصارى يستطيعون مواصلة سياسية العدوان القديم، تلك السياسة التي أشاعت في البلاد جواً من القلق والاضطراب، كما هدأت الأحوال في بلاد الأندلس، بعد أن قضى المرابطون على ملوك الطوائف، وأراحوا البلاد من هذه الفتن والمنازعات، التي اتسمت به دويلات الطوائف المتحاسدة والمتباغضة، التي جعلت المجتمع الأندلسي كالمحموم في حالة فزع ورعب دائمين[7].

---

(1) السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، 141/2.

(2) ابن غالب: المصدر السابق، ص278.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص96.

(4) العذري: المصدر السابق، ص22.

(5) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (1)، ص100؛ الحميري: المصدر السابق، ص126.

(6) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص265.

(7) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص404.

الطرق التجارية:

أ- الطرق النهرية:

تعد الطرق النهرية من أكثر الطرق استخداماً من قبل الأندلسيين، وذلك لوقـــوع أكثر المدن الأندلسية على ضفاف مجاري الأنهار.

وقد اكتسبت سرقسطة شهرتها الواسعة من وقوعها على نهر أبرو[1]، وهو نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم، وبعضه من جهة جبال قلعة أيـــوب، وبعضـــه مـــن نواحي قلهرة، فتتجمع مياه هذه الأنهار كلها ثم تصب في مدينة سرقسطة[2]، إضافة إلى ذلك فهي تسيطر على ثغرين كبيرين مطلين على ساحل البحر المتوسط، هما طركونة وطرطوشة وبذلك سهلت طرق التبادل التجاري بين الشرق والغرب[3]، وفي ذلك يقول الحميري "هي باب من أبواب البحر ومرفئ من مرافئه، يحدو بها التجـــار مـــن كـــل ناحية"[4].

ب- الطرق البرية:

اهتم الأندلسيون إلى جانب اهتمامهم بالطرق النهرية بالطرق البرية، فقد امتازت هذه الطرق بأنها الأكثر استخداماً من قبل أهالي المملكة، خاصة في فترات الاســـتقرار السياسي، حيث سهلت الطرق البرية الاتصال بين مملكة سرقسطة والمدن الأندلســـية، وقد أشار الإدريسي، وهو أكثر الجغرافيين المسلمين دقة في ذكر الطرق البرية، إلـــى وجود طريق من سرقسطة في الشمال إلى بلنسية ومسافته تتسع مراحل، وهذه الطريق يمتد من بلنسية إلى جزيرة شقر[*]، لمسافة ثمانية عشر ميلاً، ثم يمتـــد إلـــى شـــاطبة،

---

(1) العذري: المصدر السابق، ص2.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، 554/2.

(3) الحموي: كتاب المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، ص223؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص296.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(*) هي جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار= الحميري: المصدر السابق، ص102.

لمسافة اثنى عشر ميلاً، ثم يمر إلى دانية في شرق الجزيرة، بمسافة خمسة وعشرين ميلاً[1]، وقد قدر الجغرافي المعروف بالأصطرخي مسافة الطريق ما بين قرطبة إلى سرقسطة بنحو عشرة أيام[2].

ج- الأسواق:

اشتهرت مدن الأندلس في العصر الإسلامي بازدهار متاجرها، وكثرة أسواقها المخصصة[3] وتتزخر مملكة سرقسطة وأقاليمها بتعدد أسواقها التي تجتمع فيها أنواع التجارات والصناعات، والتي يتركز معظمها حول جامع طرطوشة[4]، فضلاً عن أسواق الأرابض كربض الدباغين بسرقسطة[5]، وأسواق المملكة، كأسواق طرطوشة والتي قال عنها الحميري: "وسوقها في الربض القبلي، جامعة لكل صناعة ومتجر"[6].

ومما سبق ذكره، يمكن تصنيف الأسواق في مملكة سرقسطة وأعمالها، في ثلاثة أصناف كالتالي:

1- أسواق مدنية، وتقام في المدن كما في سرقسطة وثغورها، فيذكر الحميري: "أن سرقسطة مدينة كبيرة الخطة، ممتدة الأطناب، أهله حسنة الديار والمساكن"[7].
ووصف الإدريسي، طرطوشة: "أن لها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وصناع"[8].

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، 556/2.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالأصطرخي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربان، القاهرة، (القاهرة، 1961م)، ص10.

(3) جهاد غالب: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، مركز الأفق، (الأردن، 2001م)، ص271.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(5) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص118.

(6) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(7)الحميري: المصدر السابق، 555/2.

(8)الإدريسي: المصدر السابق، ص96.

2- أسواق موسمية تقام في وقت معين[1]، وغالباً ما تقام في أوقات المواسم ومناسبات الأعياد.

3- أسواق عسكرية، وتصحب عادة الجيش أثناء غزواته، حيث أن الحروب كان يعقبها نشاط تجاري عظيم، وذلك أن التجار من اليهود وغيرهم، كانوا يصاحبون الجيوش ويمشون خلفها، انتظاراً لما يقع في أيديهم من السبي والغنائم، فقد حدث عند سقوط مدينة بربشتر شمال سرقسطة في يد المسيحيين من النورمان، كما سبق لي ذكرها[*]، عام(456هـ/1064م)، أن قامت أسواق عقب هذه الحروب، فقد كان من الطبيعي أن تلقى هذه الحروب وما تبعها من نهب وسلب سوقاً تستوعب، ما زاد عن حاجة الجنود والغزاة[3].

وقد شهدت جميع هذه الأسواق، تنظيماً محكماً من قبل المحتسب[4]، حيث شدد المحتسب على أسواق الجزارين وبائعي اللحوم بعدم الذبح على أبواب دكاكينهم لكي لا يلوثوا الطريق بالدم والروث، ولا ينبغي ألا يشتري اللحم إلا من جزار مسلم عاقل بالغ يذكر اسم الله على الذبيحة[5]، كما دعى ابن عبدون ويحيى بن عمر بعدم بيع وخلط اللحم الهزيل مع اللحم السمين[6]؛ ومنعهم من خلط لحوم الماعز بلحوم الضأن[7]، أيضاً دعا المحتسب بعدم بيع الفاكهة قبل نضجها، ولا يباع ما مكث عند الطباخين والقلائين من الطعام[8]. ونهى التاجر عن الثناء على سلعته والترويج لها، واحتكار الأقوات

---

(1) عصمت دندش: المرجع السابق، ص200، 201.

(*) ينظر ص(49، 53) من هذه الرسالة.

(3) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص473.

(4) محمد بن محمد بن أحمد القرشي ابن الأخوة: معالم القربة في طلب الحسبة، ورد ضمن كتاب "التراث الاقتصادي الإسلامي"، تقديم: عبدالحميد فايد، دار الحداثة، (بيروت، 1990م)، ص287.

(5) المصدر نفسه، ص141،138.

(6) ابن عبدون: المصدر السابق، ص44؛ يحيى بن عمر: المصدر السابق، ص59.

(7) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص141.

(8) ابن عبدون: المصدر السابق، ص45.

وبيعها في وقت الغلاء ليزيد في ثمنها[1]، كما منع أحمال الحطب والتين وروايا الماء وأحمال الحلفاء وبائعي الجير بعدم المرور أثناء التزاحم في الأسواق لكي لا يلوثوا ثياب الناس، وإذا كان دخولهم للضرورة فعليهم العدول إلى الأماكن الواسعة[2]، ويأمر أهل الأسواق بكنسها وتنظيفها من الأوساخ وغير ذلك مما يضر بالناس[3].

وقد كان المحتسب يتفقد أمورهم وصنائعهم ويمنعهم من تعطيل الناس في حوائجهم لما في ذلك من تعطيلهم للناس عن أشغالهم واضطرارهم بها[4].

ب- الصادرات والواردات:

كان للاستقرار السياسي الذي شهدته مملكة سرقسطة في عهد بني هود، أثره في ازدهار وتنشيط حركة التجارة بها، حيث شهدت أسواق المدينة حركة تجارية، ونشاطاً في البيع والشراء، لاسيما أن ولاة الأمر قد وجهوا اهتمامهم للتجارة وذلك بتشجيع التجار إلى المجيء للمملكة وتوفير سبل الراحة. وقد أشار الحميري: "بوجود أربعة حمامات في ثغر طرطوشة[5] المطل على ساحل البحر المتوسط[6]، الذي تجوبه السفن.

وكان من نتيجة توفر المنتجات والصناعات، أن أصبح هناك فائضاً مما جعل المملكة، تهتم بتصدير منتجاتها إلى سائر مدن الأندلس، وتستورد كل ما تحتاج إليه من سلع ومستلزمات غير متوفرة بداخلها وهى على النحو الآتي:

أ- الصادرات:

ومن أشهر صادرات سرقسطة الثياب السرقسطية، والتي نالت شهرة واسعة في

---

(1) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص99، 106.

(2) المصدر نفسه، ص99-106.

(3) المصدر نفسه، ص114.

(4) نقولا زيادة: الحسبة والمحتسب في الإسلام، المكتبة الكاثوليكية، (بيروت، 1992م)، ص124.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(6) ابن غالب: المصدر السابق، ص285، 286.

بلاد الأندلس، حيث كانت تصدر هذه الثياب إلى أغلب مدن الأندلس(1)، إضافة إلى الملح الذراني الأبيض الصافي الأملس الذي تشتهر به المملكة ويعم جميع بلاد الأندلس(2)، ومن صادرات سرقسطة الكتان الذي يكثر وجوده بمدينة لاردة ويشتهر بطيبه ويصدر إلى جميع بلاد الأندلس(3).

ومن أهم صادرات المملكة أيضاً معدن الكحل المشبه بالأصبهاني الذي اشتهرت به مدينة طرطوشة وقد كان يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس(4).

ويعد أيضاً خشب الصنوبر والبقس الذي اختصت به مدينة طرطوشة من أهم صادرات المملكة، وقد حظي بمميزات عديدة زادت من شهرته، وقد كان عليه طلب متزايد في كافة الآفاق(5)، وقد كانت الآلات النحاسية والحديدية هي الأخرى من أهم صادرات المملكة نتيجة لوجود معدن الحديد والنحاس، واختصت بها مدينة وشقة، وذلك لوجود دار صناعة بها(6).

ولاشك أن هذه المنتجات قد عمت جميع بلاد الأندلس بل ووصلت حتى إلى بلاد المشرق ومصر، وهذا ما يؤكده المؤرخ الألماني يوسف أشباخ بقوله: "وقد أحرز المستعين بن هود في تجارته مع مصر والشام ثروات طائلة"(7).

2- الـــواردات:

لاشك أن هذه الصادرات التي كانت تصدرها المملكة إلى مختلف بلاد الأندلس، وبلاد المشرق، والتي كانت تشكل فائضاً للمملكة، ولذلك سعت المملكة إلى استيراد ما تحتاج إليه، لتستكمل بقية احتياجاتها، من بقية بلاد الأندلس، ومن أهم واردات المملكة

---

(1) ابن غالب: المصدر السابق، ص287؛ محمد كرد علي: المرجع السابق، مجلة الثقافة، ص229.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص95؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، 121/2.

(3) المصدر نفسه، ص168؛ بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص236.

(4) المقرئ: نفح الطيب، 143/1.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص124.

(6) الزهري: المصدر السابق، ص82.

(7) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص109.

ما يلي:

الأرز والذي يعتبر من أهم الأغذية في المملكة، وقد كانت المملكة تستورده من مدينة بلنسية[1]، هذا بالإضافة إلى نبات الزعفران الذي يأتي إليها من مدينة طليطلة[2]، ويستعمل في التلوين باللون الأصفر[3]؛ من أهم واردات المملكة الــورق – الكاغــد – الذي اختصت بصناعته مدينة شاطبة من عمل بلنسية[4]، ومن مرسية تأتيهــا الأســرة المرصعة والحصر الفاتنة الصنعة وآلات الصفر والحديد من الســكاكين والأمقــاص المذهبة، وغير ذلك من آلات العروس والجندي مما يبهر العقل[5]. ويأتيها من مدينــة تدمير الطراز العجيبة[6].

ومن واردات المملكة أيضاً العسل الذي يرد إليها من مدينة أشبونة، ويأتي إليها موضعاً في أكياس من الكتان ويتميز بلونه الأبيض الخــالص، ومذاقــه مثــل مــذاق السكر[7]، ومن مالقة يأتي إليها الفخار المذهب العجيب[8]، ويأتي إليها الياقوت الأحمر من ناحية "حصن منت" من عمل مالقة ويأتي إليها من ساحل البيرة من عمل المريــة المرجان[9].

إضافة إلى الأواني الخزفية التي اشتهرت بصناعتها مدينة المرية ومالقــة[10]،

---

(1) العذري: المصدر السابق، ص17؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش رقم (2) ص84؛ محمد عبدالله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، مؤسسة الخناجى، ط2، (القاهرة، 1961م)، ص93.

(2) المقرئ: نفح الطيب، 151/1.

(3) إبراهيم الكروي وعبدالتواب شرف الدين: المرجع السابق، ص143.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 309/3.

(5) المقرئ: نفح الطيب، 195/1؛ حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 1996م)، 474/1.

(6) ابن غالب: المصدر السابق، ص285.

(7) المقرئ: نفح الطيب، 152/1.

(8) المصدر نفسه، 151/1.

(9) ابو عبد الله بن عبد العزيز البكرى:كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية، (تونس، 1992م)، هامش رقم (1) ص 155.

(10) المصدر نفسه، ص1502.

ويأتي إليها التمور من مدينة فاس[1] ومعدن الزئبق من قرطبة[2]، ويأتي إليها أيضاً من إشبيلية القطن العجيب الذي يشتهر بجودته[3]، وغير ذلك من السلع والبضائع التي كانت تحتاج إليها أسواق المملكة.

ومما سبق يتبين أن شهرة سرقسطة البرية وتعدد طرقها قد ساعد على سهولة نقل هذه البضائع من مختلف مدن الأندلس إلى جانب موقعها الإستراتيجي على نهر أبرو، وسيطرتها على ثغري طركونة وطرطوشة الواقعتين على ساحل البحر المتوسط، مما ساعد على تصريف منتجاتها عن طريق هذه الثغور.

هذا وقد شدد المحتسب أيضاً على ضرورة أن توزن هذه السلع داخل الأسواق بالموازين والمكاييل[4]، فالأندلسيون استعملوا ما يُعرف بـ "المثقال" وهو يزن أربعة وعشرين قراطاً[5] لزنة المعادن الثمينة، وكانت الفضة تزن بالدرهم.

كما استعملوا "الرطل" وهو معيار يوزن به وهو مكيال أيضاً[6]، والرطل يساوي ستة عشر أوقية، أو نحو "504" جرام، وقد ظلت هذه الكلمة في اللغة الأسبانية تحمل هذه التسمية حتى اليوم بـ "Arrate"[7]، وكان الرطل يستخدم في زنة المواد الغذائية ما عدا الحبوب.

أما الحبوب والسوائل فكان لها موازين خاصة، فهناك "المد" وهو مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما[8]، و"القدح" وهو يستخدم لكيل الحبوب وعياره،

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، 581/2.

(2) المقرئ: نفح الطيب، 94/1؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية "قاعدة أسطول الأندلس"، دار النهضة العربية، (بيروت، 1969م)، ص171.

(3) ابن غالب: المصدر السابق، ص293.

(4) ابن عبدون: المصدر السابق، ص39.

(5) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص118.

(6) علي جمعة محمد: المكاييل والموازين الفرعية، القدس للإعلان والنشر والتوثيق، ط2، (القاهرة، 2007م)، ص29.

(7) يحيى بن عمر: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (3) ص48.

(8) علي جمعة محمد: المرجع السابق، ص36.

ست مد، كل مد خمسة ارطال، وثلثاً، وكان القدح من القمح عيار (34) رطل، من الشعير (25) رطل أو أقل[1]، و"الكيل" هو آلة تستخدم لكيل الطعام ووزنه سواء كان آلة الكيل حديداً أو خشباً[2]، وهو يستخدم لكيل الحبوب والفواكه والخضروات.

رابعاً: الموارد المالية للمملكة:

تعمل السياسة المالية لكل دولة على تحقيق التوازن بين مواردها ونفقاتها و"مصاريفها" ، وقد سارت الدولة الإسلامية على هذه السياسة، منذ نشأتها، فأنشئت بيت للمال[3]، فالمال هو عصب الحياة والدولة لا تقوم دون مال تحصل عليه وتنفقه على إدارة شؤونها[4].

وقد شهدت مملكة سرقسطة في عهد بني هود، نوعاً، من التضارب وعدم التوازن، في هذه الموارد، بين الحين والآخر طبقاً لمختلف الظروف والنكبات التي حلت بالمملكة.

ففي ظل سليمان المستعين، أول ملوك بني هود، كانت المملكة في مرحلة التكوين، وبالتالي فإن تأسيس وتنظيم إدارتها، الداخلية، كان بحاجة إلى الكثير من الأموال، يضاف إلى ذلك أمن المملكة وثباتها، كانا بحاجة إلى المال لإقامة جيش دائم قادر على حماية حدود المملكة من أعدائها ومنافسها، خاصة في حروبه مع المأمون بن ذي النون، التي استمرت حوالي ثلاث سنوات (435-438هـ/1043-1096م)[5]، كما سبق لي ذكرها[*].

---

(1) محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية، 1996م)، ص295.

(2) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، 107/8.

(3) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، 2001م)، ص109؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 114/4.

(4) بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص185.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 282/3؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، 178/2.

(*) ينظر ص(32- 36) من هذه الرسالة.

ولاشك أن هذه الحروب قد كلفت خزانة المملكة أموالاً باهظة وفي عهد احمد المقتدر بن هود، والذي كان أطول بني هود عهداً في حكم المملكة، والذي افتتح عهده أيضاً بكثرة الحروب وخاصة حربه الأهلية مع إخوته الثلاثة حول عرش المملكة التي كبدت الدولة أموالاً طائلة[1]، كما سبق ذكرها[*]، إضافة إلى بعض الأزمات التي حلت بالمملكة كأزمة تطيلة، التي أدت إلى انتشار القحط وغلاء الأسعار[2]، مما أدى إلى تذمر أهالي المملكة، من شدة الضرائب المفروضة عليهم[3]، ومع ذلك فقد تميز عهده بسياسته التوسعية خارج حدود مملكته، خاصة بعد ضمه لمملكة دانية[4]، وبلنسية لنفوذه والشهيرتين بكثرة مواردهما الغنية[5]، كما سبق لي ذكرهما[**]، ولاشك أن هذه الأموال قد ساعدت على النهوض بالمملكة في شتى المجالات، وتشجيع العلماء والأدباء إلى المجيء للمملكة، ولا عجب في ذلك، فقد كان المقتدر عالماً رياضياً[6].

هذا إلى جانب الإنفاق على بناء القصور وتشييدها[7] وإغداق الأموال والمنح والهدايا، التي كان يقدمها أمراء بني هود بين الحين والآخر لملوك النصارى الأسبان، والجنود المرتزقة، كنوع من المساعدة مقابل الاستعانة بهم في تلك الحروب التي تتعرض لها المملكة بين الحين والآخر[8]، مما جعل مالية الدولة، تتعرض لأكثر من أزمة، اضطرت أمراء بني هود في أكثر الأحيان إلى اللجوء إلى فرض ضرائب إضافية على الرعية، وهذا ما سوف أتناوله عند حديثي عن الضرائب التي تشكل جزءاً

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 222/3؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى للأندلس، ص13.

(*) ينظر ص (44- 47)، من هذه الرسالة.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 222؛ تقي الدين الدوي: المرجع السابق، ص 228.

(3) ابن عذاري: المصدر نفسه، 229/3؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، 171/2.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، 678/7؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، 129/2.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، 437/2؛ ابن بسام: المصدر السابق، ق2، مج1، ص42.

(**) ينظر ص(59- 66) من هذه الرسالة.

(6) أبن خلدون: العبر، 4/ 163.

(7) المقرئ : نفح الطيب، 442/1؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 171/2.

(8) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش المحقق رقم(1) ، ص86؛ خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص244.

من موارد المملكة. وأهم موارد بيت المال: الخراج، والجزيـــة، والزكـــاة، والفـــيء، والغنيمة، والعشور[1] وهي على النحو الآتي:

1- الخـــــراج:

هو ضريبة تفرض على الأرض التي صولح عليها أهلها، من أهل الذمة[2] تدفع كل عام مرة واحدة[3]، وهو من أقدم الضرائب التي عرفها التاريخ[4]، وكان الخراج إما شيئاً مقدراً من مال أو غلة، وأما حصة معينة، مما يخرج من الأرض، وهذا ما يسمى بالمعاملة أو المزارعة، ولم يكن الخراج ثابتاً، فقد كانت ضريبة الأرض تقـــل وتكثـــر حسب الاهتمام بالتعمير وتحسين وسائل الري[5].

2- الجزيـــــة:

وهي موضوعة على الرؤوس وأسمها مشتق من الجزاء[6]، وهي مبلغ من المال يدفعه أهل الذمة مقابل حماية المسلمين لهم، وهي مقابل الزكاة عند المســـلمين حتـــى يتساوى الفريقان في دفع الضرائب[7]، وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وسموا بهذا الاسم لأنهم يـــدفعون الجزيـــة، فـــأمنوا علـــى أرواحهـــم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا في ذمة المسلمين[8]، وهي تسقط بدخولهم الإســـلام[9]،

---

(1) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 330/4.

(2) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، (القاهرة، 2006م)، ص282.

(3) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص101.

(4) إبراهيم علي: الموارد المالية في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (القاهرة، 1972)، ص85.

(5) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 330/4.

(6) الماوردي: المصدر السابق، ص221.

(7) بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص190.

(8) إبراهيم علي: المرجع السابق، ص101.

(9) الماوردي: المصدر السابق، ص221؛ دانيل دينيت: الجزية والإسلام، ترجمة فوزي فهيم جادالله، راجعه د.إحسان عباس، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، 1960م)، ص30.

وهي مفروضة على جميع الذكور الذميين القادرين على دفعها، فلا تؤخذ من النســاء والصبيان والشيوخ الطاعنين في الســن، ولا ذوي العاهــات كالعميــان والمقعــدين والمجانين، ولا من رجال الدين، إلا إذا كانوا أغنياء، أي أنهــا فرضــت علــى كــل الأشخاص الذين لو كانوا مسلمين لوجب عليهم الجهاد[1]. وكانت تقاليد الإسلام تقتضي بأنه إذا أراد المسلمون غزو إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام، فمن استجاب فرضت عليه الجزية لقوله تعالى: "[28]قاتِلُواْ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُون بالله وَلا بِــاليَوْم الآخر، وَلاَ يُحَرمُونَ مَا حَرمَّ الله وَرَسُولهُ وَلاَ يَدينُون ديَنِ الحْقَ مِنَ الذِينَ أُوتُواْ الكِتَاب، حتى يُعْطواْ الجَزْيَة عَند يَدُ وهُمْ صاغِرُون[29]"[*] صدق الله العظيم.

هذا وقد صار أحمد المستعين بن هود، على نهج الشريعة الإسلامية في فــرض الجزية على النصارى، فقد ذكر كل من ابن عذارى وابن الخطيــب أنــه "فــي ســنة (503هــ/1110م) خرج أحمد المستعين بن هود إلى مدينة أرنيط التي تقرب من تطيلة للجهاد، واشتد في قتال النصارى، حتى تحصن أهلها بكنيسة منيعة، ودخل أرباضــها، إلا أنها ما لبث أن رحل عنهم بعد أن صالحهم على مال يؤدونه له، أخذ به رهائنهم"[2].

3- الزكـــــاة:

وهى أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين[3]، وهي في نظــر الإسلام نظام مالي شرع لتحقيق التعاون بين أفراد المجتمع والتكافل الاجتماعي المبني على ثبوت حق الفقير في مال الفي[4] لقوله تعالى مخاطباً الأغنياء "وَالَّذِين فِي أَمْوَالِهْم حَق مَّعْلُوم[24] لِلسَّائِل وَالْمَحْرُوم[25]"[**] صدق الله العظيم.

والزكاة تعني الطهارة، فكان الخارج من المال يطهره من تبعــة الحــق الــذي

---

(1) بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص190.

(*) سورة التوبة، الآية (28، 29).

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 4/ 153؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 2/ 174.

(3) صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، (القاهرة، 1969م)، ص357.

(4) عبدالحميد المصري: مقومات الاقتصاد الإسلامي، (القاهرة، 1975م)، ص143.

(**) سورة المعارج، الآية (24، 25).

جعــل الله فيه للمساكين، طبقاً لقوله تعالى: "[103]خُذْ مِنْ أَمْــوَالِهِمْ صَــدَقَةً تُطَهِــرَهُمْ وَتُزَكِيْهِم بِهَا[104]"(*) صدق الله العظيم.

وقد حدد الفقهاء شروط من تجب عليه الزكاة" : أن يكون حراً مســلماً، عــادلاً عالماً بأحكام الزكاة[1]، كما حدد الماوردي أن الأموال التي تجب فيها الزكاة أربعــة: المواشي وهي الإبل، والبقر والغنم، وسميت ماشية لرعيهــا وهــي ماشــية، وثمــار الزروع، وهي ثمار الشجر والكروم والذهب والفضة والمعادن، ويشترط لذلك أن يمر عليها الحول[2]، وتصرف على مستحقيها لقولــه تعــالى: "إِنَمَــا الصَّــدقاتَ للفُقَــرَاء والمَسَاكِين وَالعَاملين عَلَيْها وَالمُؤلفةِ قُلُوبَهم وَفِي الرقَاب وَالْغَارمين وَفِي سَبِيلِ الله وَابْنِ الْسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ الله والله عَلِيمٌ حَكِيم"(**) صدق الله العظيم .

ومقادير الزكاة وتحديداتها عُرفت بالسنة النبوية لا بنص القرآن[3]، وقــد روي عن الرسول (r) في صحيح مسلم أنه قال: "مَا مِنْ صَاحْبِ بَقر وَلا غَنِمَ لا يُؤدي منها حقها إلا إِذَا كَانَ يَوْمُ القيامة، بُطح(***) لها بقاع قَرْقر(****) لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها

(*) سورة التوبة، الآية (103، 104).

(1) الماوردي: المصدر السابق، ص 180.

(2) المصدر نفسه، ص181، 194.

(**) سورة التوبة الآية (60).

(3) الماوردي: المصدر السابق، ص184؛ صبحي الصالح: المرجع السابق، ص356.

(***) بطحاء يُقصد بها العريضة = ابن منظور:المصدر السابق، 413/2.

(****) يقصد به المكان المستوي = ابن منظور: المصدر نفسه، 75/5.

عصقاء(*)، ولا جلْحاء(**) وَلا عَضْبَاء(***)، تنطحه بِقرُونِهَا، وَتَطوه بأظلافِهَا كُلما مَــرَّ عَلَيْه أولاها رد عَلَيْه أخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضـــي بـــين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة وإما إلى النار"(1).

أما أموال الزكاة من الأموال النقدية كالذهب والفضة وما يعادلها من المعـــادن فتخرج زكاتها، وقد شدد القرآن الكريم في عقوبة أثم مانعها لقولـــه تعـــالى: "والـــذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفَّضَةَ وَلاَ يَنْفقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشَّرْهُم بِعَذَابٍ أَلْيم(34)"(****) صـــدق الله العظيم.

وقد روي عن الرسول (r) في صحيح مسلم قوله: "ما من صاحب ذهـــب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت وله صفائح من نار، فاحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وَجُنُبهُ وظهره، كلما بَرَدتْ أُعِيدتْ لَهُ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله: إما إلى الجنة وإمـــا إلى النار"(2).

أما زكاة المحاصيل كالزروع والثمار، فقد روي مالك بن أنس عن الرسول (r) أنه قال: "مَا زَاد عَلَى خَمسة أوسق ففيه الزكاة"(3)، لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الـــذِينَ آمَنُـــوا أَنفِقُواْ مَنْ طَيبَاتِ مَا كَسبتم وَمِمَا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرض(267)"(*****) صدق الله العظيم

(*) عصقاء: هو ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه = الزبيدي: المصدر السابق، 408/4.

(**) جلحاء: هي التي لا قرن لها = الزبيدي: المصدر نفسه، 131/7.

(***) عضباء: جمع عضب ذو القرن، انكسر قرنه فهو أعضب وهي عضباء = إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، (بيروت، 1987م)، ص606.

(1) ابن حسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (القاهرة، 2005م)، رقم الحديث "978"، 382/1.

(****) سورة التوبة، الآية (34).

(2) ابن مسلم: المصدر السابق، رقم الحديث "987"، 382/1.

(3)مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2005م)، ص163.

(*****) سورة البقرة، الآية (267).

4- الفـــــــيء:

هو ما أصابه المسلمون من المشركين عفواً من غير قتال ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم[1]. وفي ذلك يقول الله عز وجل: "مَّا أَفَآءَ الله عَلَـــى رَسُولِه مِنْ أَهْلِ القْرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القْرُبْى وَالْيتَامَى وَالْمَسَاكِين وَابْن السَّبِيلِ"[*]

صدق الله العظيم .

وقد تميز عصر الطوائف بالأندلس بكثرة الحروب بين المســـلمين والنصـــارى الأسبان، مما أدى إلى كثرة الغنائم في هذه الحروب، حيث غنم أحمد المقتدر بن هـــو وجيشه، وذلك أثناء نجدته لمدينة بربشتر، التي تعرضـــت لغـــزو النورمـــان، ســـنة (456هـــ/1064م)[2]، كما سبق لي ذكرها من قبل[**]، عدة غنائم، منها نحـــو خمســـة آلاف سبية مختارة ونحو ألف فرس، وألف درع، وأموال كثيرة، وثياب جليلة، وعـــدة وسلاح[3]، وهذا المال خمسه إلى بيت المـــال وأربعـــة أخماســـه لتجهيـــز الجيـــوش وإعدادها[4].

5- العشـــــور:

وهو مال يجب من تجار الفرنج الذين يدخلون ببضائعهم إلى دار الإسلام، فكانوا يدفعون عشر قيمتها، مثل الضريبة الجمركية في الوقت الحاضر[5]، ونظراً لســـيطرة مملكة سرقسطة على جزء كبير من البحر المتوسط، بثغريهـــا الكبيـــرين طرطوشـــة وطركونة[6]، فقد كانت تستقبل شطراً كبيراً من تجـــارة المشـــرق وتجـــارة الأنـــدلس

---

(1) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص115؛ ابراهيم علي: المرجع السابق، ص102.

(*) سورة الحشر، الآية (7).

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 227.

(**) ينظر ص (49-53) من هذه الرسالة.

(3) الحميري: المصدر السابق، ص41.

(4) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص115.

(5) بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص190.

(6) ابن غالب: المصدر السابق، ص285، 286.

والمغرب وتعمل على تصريفها إلى الأمم الأوروبية عن طريق ثغور فرنسا الجنوبيـة وثغور إيطاليا، وقد كان بنو هود يجنون من وراء ذلك أرباحاً طائلة، مـن الوسـاطة التجارية، وقد استطاعوا بهذا الغنى الطائل أن يجتذبوا الفرسان والمرتزقة النصـارى لخدمة سياستهم وذلك بدفع الإتاوات الوفيرة، وأن يتقوا عدوانهم أطول وقت ممكن، وأن ينجوا من تلك الغزوات المخربة التي تنكب بها دول الطوائف الأخرى[1]ولاشك أن هذه الضريبة قد شكلت لبنى هود موردا وفيرا لخزانة مالية مملكتهم .

خامساً: التنظيمات الإدارية:

لم تظفر التنظيمات الإدارية في عهد ملوك الطوائف باهتمام المؤرخين، فإن أحد منهم لم يتعرض للحديث عن هذه النظم إلا في القليل النادر وبشكل مقتضب، ويبدو أن ملوك الطوائف لم يبدعوا في مجال الإدارة شيئاً جديداً، بل ساروا علـى نمـط الإدارة الموروثة من عصر الخلافة، ومع ذلك لم يتقنها منهم إلا القليل[2]. ومـن أهـم هـذه التنظيمات ما يلي:

1- الـــــوزارة:

جاءت كلمة وزير في القرآن الكريم في سورة طه في قوله تعالى: "واجْعَل لِـي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي"[*].

وفي اللغة، آزره أعانه وأسعده والأزر هو الظهر[3] ومأخوذة من الوزر وهـو الملجأ[4]، فالوزير هو المتحدث للملك في أمر مملكته فقيل مشتق من الوزر بفتح الواو

---

(1) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص475؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص296.

(2) حنان علي أبو صاع: المرجع السابق، ص57.

(*) سورة طه، الآية رقم (28، 29).

(3) الزبيدي: المصدر السابق، 13/ 202.

(4) القلقشندي: المصدر السابق، 419/5.

والزاي، وهو الملجأ لقوله تعالى: "كلاَّ لاَ وَزَرَ"[**]، فالوزير كما يقول الطرطوشي "عون على الأمور وشريك في التدبير، وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة، والوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه، وفي الأمثال "نعم الظهير الوزير"[1]، هذا ولم يكن إطلاق لفظ الوزارة في الدولة الأموية في الأندلس شائعاً، كما كان في المشرق، بل كان يُطلق على من يتقلد الوزارة بالأندلس اسم الحاجب تارة، واسم الوزير أو ذي الوزارتين تارة أخرى، يقول المقرئ: "وأما قاعدة الوزارة بالأندلس، فإنها كانت في مدة بني أمية مشركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة، للإعانة والمشورة، ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير، ويسمى بالحاجب، كانت هذه المراتب بضبطها عندهم كالمتوارثة بالبيوت المعلومة، لذلك إلى أن كانت ملوك الطوائف، فكان الملك منهم يسمى بالحاجب، وصار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ويختص بهم، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يُعرف بذي الوزارتين"[2].

وكان الوزير مقرباً من الأمير يحضر مجلسه، ويطلع على كل كبيرة وصغيرة، وهو الوساطة بين الأمير وبقية الموظفين، وهو الذي يحدد للعمال والمنصرفين من الحراس وغيرهم الحدود التي يجب ألا يتعدوها دون زيادة ولا جور[3].

هذا وقد اقترنت الوزارة في عهد بني هود بالأدب، فكان الوزير كاتباً، وشاعراً، وكان أشهرالكتاب والشعراء وزراء، ومن الذين تولوا الوزارة في عهد أحمد المقتدر بن هود ما يلي:

أ- **أبو الفضل بن حسداي**: وهو من سكان مدينة سرقسطة، حيث كان والده يوسف ابن حسداي بالأندلس من بيت أعيان اليهود، ولقد علا نجمه في ظل بني هود وكان

(**) سورة القيامة، الآية رقم (11).

(1) الطرطوشي: سراج الملوك، ص211.

(2) المقريء: نفح الطيب، 216/1، 217.

(3) ابن عبدون: المصدر السابق، ص15.

متولياً لأعباء دولتهم[1]، فقد بلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب، فصارت الكتابة باسمه وقد وصفه أبو عبدالله بن طاهر في فضل خطاب خاطب به المقتدر بن هود يقول فيه: "الوزير الكاتب أبو الفضل، وحيد الفضل، وينبوع النبل، وما عداه قول القائل إن أبا الفضل له فضله، وأين في الناس فتى مثله"[2].

ب- **الوزير الكاتب ابن عمر بن القلاس**: وهو أيضاً ممن تولوا الوزارة في عهد المقتدر بن هود، قال عنه ابن بسام في الذخيرة: "انه من عليه كتاب الثغر الأعلى"، وقد اشتهر بالشعر والأدب، وقد قام بكتابة تلك الرسائل التي أرسلت إلى بني جهور في قرطبة وذلك لاستشارة المقتدر لعبد الملك بن جهور، وتبريره للصراع الذي حدث ما بين أحمد المقتدر وأخيه يوسف حول عرش المملكة[3].

ج- **أبو المطرف بن الدباغ**: هو أبو المطرف عبدالرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ، وهو أيضاً من الذين تولوا الوزارة في عهد المقتدر بن هود[4]، وقد وصفه ابن سعيد بقوله: "كان أحد من خلى بينه وبين بيانه وجرى السحر الحلال بين قلمه ولسانه"[5].

ولكن ما لبث أن قامت بينه وبين أبن عمار وزير المعتمد خصومة، مما دفع المعتمد بن عباد إلى نفيه من إشبيلية، فلحق بالمتوكل ابن الأفطس[*] في بطليوس، حيث رحب به وظل مقيماً ببطليوس، إلا أنه قامت أيضاً بينه وبين وزير المتوكل أبي عبدالله بن أيمن خصومة، اضطر بعدها إلى العودة إلى سرقسطة، وقد ظل بها يائساً حزيناً، كأن المصائب لم تخلق لأحد سواه، وبعد عودته إلى سرقسطة لم يلبث

---

(1) موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص499؛ ابن سعيد: المصدر السابق، 491/2.

(2) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص466.

(3) المصدر نفسه، ق3، مج1، ص419، 466؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص283.

(4) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص283.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، 440/2.

(*) هو آخر ملوك بني الأفطس أصحاب بطليوس، وكان أديباً وشاعراً، توفى سنة (489هـ/1096م) = القلقشندي: المصدر السابق، 216/5.

أن قُتل في بستان من بساتينها بعد مدة من عودته إليها[1].

2- الكتابـــــة:

تُعرف الكتابة في اللغة بمعنى كَتَبَ: الشيء يكْتبُه، كتباً، وكتابا، وكتابةً، وكَتَّبَه، خَطهُ[2]. وكانت الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية عاملاً كبيراً في إيجاد وظيفة الكاتب، فقد عجز الوزير عن القيام وحده بجميع ما يعهد إليه من السلطان، ولم يكــن هناك بد من تعيين موظفين كبار يساعدونه في إدارة شؤون الدولة، ومن هنــا كانــت وظيفة الكتابة، وأصبح الكاتب في الوقت نفسه من أكبر أعوان الخليفة والوزير[3].

وقد كانت الكتابة في الأندلس تلي الحاجبة، وهي تعدل الوزارة في المرتبــة[4]، وقد أولى الأندلسيون لها أهمية كبيرة، منذ عصر الإمارة، فعــين الأمــراء أشخاصــاً وصفوا بالبلاغة والفصاحة، والأدب، بحيث يراعى فيهم أن يكونوا من أرفع الطبقــات حسباً ونسباً[5].

وفي عهد بني هود في سرقسطة ظهر فيها عدداً من الكتــاب المهــرة ومــنهم الكاتب عمر بن القلاس وهو من كبار الكتاب في مدينة سرقسطة، وقال عنه ابن بسام: "انه من علية الكتاب في الثغر الأعلى، فقد كان له من النثر البديع ما يــنم عــن أدب غزير وتمكن في اللغة[6]، وقد سبق لي ذكره[*] في رتبة الوزارة.

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج، ص271، 272؛ ابن سعيد: المصدر السابق، 2/ 450.

(2) ابن منظور: المصدر السابق، 698/1.

(3) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص72.

(4) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 273/3.

(5) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، (بيروت، 1935م)، ص212.

(6)ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج5، ص314.

(*) ينظر ص (117) من هذه الرسالة.

ومن اشتهر في مملكة بني هود بالكتابة أيضاً يوسف بن جعفر الباجي، ويكنى بأبي عمر، وهو شاعر وأديب له مكانته، ووصف بالإعجاز في البلاغة والبيان، وقد احتل أبو عمر منزلة سامية في بلاط بني هود خاصة عند المقتدر بالله، حيث قال عنه ابن خاقان: "فتهادته الرياسات وقادته تلك السياسات فانتقل إليهم انتقال الشمس في مطالع السعود ومقل روض الأماني ناضرة العود واستدعاه المقتدر بالله فعرف محله، وأحله من الحظوة ما أحله، فاستحسن ملكه واستطابه، وملأ بعوارفه عيابه ووطابه، ولقى من أهل سرقسطة كل ضاحك بسام"[1].

ومن كتاب سرقسطة أيضاً عبدالله بن عمر القرشي وأصله من مدينة قرطبة، استوطن مدينة سرقسطة، وكان صحيح لنقل حسن الخط، مليح التقيد، وقرأ بها العربية وعرف بالقرش، وكان يفاخر بخطه[2]؛ ممن تولى الكتابة في عهد بني هود، أبو العلاء همام بن يحيى السرقسطي، الذي كان كاتباً بليغاً متفنناً بديع الخط، كتب للمقتدر بالله أبي جعفر بن هود ثم عن ابنه المستعين بالله، ثم توفى في الدولة اللموتنية[3].

3- الحجابة:

الحاجب منصب إداري مشرقي مهمته إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم[4].

وأما في بلاد الأندلس فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن الحجابة كانت لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء ممن دونهم، ثم

---

(1) ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تحقيق محمد الصالح، المطبعة الخديوية، (القاهرة، 1866م)، ص103.

(2) أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق شريف أبو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2008م)، 287/1.

(3) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 156/2.

(4) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص367.

لما جاء الاستبداد على الدولة، اختص المستبد باسم الحجابة لشرفها، فكان المنصور بن أبي عامر وأبناؤه كذلك[1].

وقد عرفت هذه الفترة بفترة الحجابة، ولما سقطت الخلافة الأندلسية، وجاء مـــن بعدهم ملوك الطوائف لم يتركوا لقبها وكانت شرفا لهم، حيـــث اتخـــذ بعضـــهم لقـــب الحاجب مثل سابور[*] الفارسي، أول من استقل بمنطقة بطليوس وباديس بن حبوس[**] صاحب غرناطة[2]، حيث كانوا يعدونه شرفاً لهم، وكان أعظمهم ملكاً بعد انتحال ألقاب الملك وأسمائه، لابد لهم مـــن ذكر الحاجب ذي الوزارتين والذي يعنـــون به الســـيف والقلم[3]، وفي مملكة سرقسطـــة حمل المنـــــذر بـــن ســـليمان بـــن هـــود لقــــب الحاجـــب[4]، وولاه والده سليمان بن هود حكم مدينة تطيلة قبل وفاته[5].

4- القضـــــاء:

احتل القضاء أهمية كبيرة لدى العامة والخاصة، وذلك لتعلقه بأمور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي[6].

وقد ذكر ابن خلدون أن القضاء من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه مـــذهب

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، اعتنى به هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، (بيروت،2007م)، ص263.

(*) هو أحد فتيان فائق الصقلبي، مولى الحكم المستنصر وقد استبد بحكم بطليوس حتى وفاته سنة (413هـ/1024م) = ابن عذاري: المصدر السابق، 236/3؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الاندلس، ص449.

(**) ينتمي باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري الى قبيلة بن زيري المغاربية الصنهاجية وقد تولى حكم غرناطة بعد وفاة والده حبوس وقد تميز عهده بكثرة الحروب والصراعات الداخلية = ابن بلقين: المصدر السابق، ص20، 28.

(2) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 2003م)، ص105.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص263.

(4) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص13.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 222/3.

(6) أبو عبدالله محمد بن الحارث الخشني: قضاة قرطبة، الدار العصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، 1966م)، مقدمة الكتاب.

الفصل بين الناس في المنازعات حسماً للتداعي، وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، وكان بذلك من وظائف الخلافة ومندرجاً في عمومها[1].

هذا ويعد منصب القاضي من المناصب السياسية المهمة، وقد بين النباهي هذا المنصب بقوله: "وخطه القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط فإن الله تعالى قد رفع درجات الحكام، وجعل إليهم تصريف أمور المسلمين، يحكمون في الدماء والأبضاع، والأموال والحلال والحرام، وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم الخلفاء، فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء"[2].

وفي مملكة بني هود، كان لقاضي سرقسطة وفقهائها دور كبير في إثبات وفاة حاكمها منذر بن يحيى التجيبي، الذي قتله عبدالله بن حكيم، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "وأرسل القاتل يستدعي قاضي البلدة والمشيخة فدخلوا عليه وهو قاعد على فراش قتيله، ومنذر على جانب الفراش مغطى بدمائه، فطلب منهم تسكين العامة، ثم ثاروا عليه وقتلوه"[3].

ومن الذين تولوا القضاء في مملكة سرقسطة، ثابت ابن عبدالله بن قاسم ابن ثابت بن حزم بن عبدالرحمن بن مطرف بن سلمان العوفي من أهل سرقسطة، وقاضيها، يكنى أبا الحسن، وكان نبيه البيت والحسب يفاخر أهل الأندلس بأوائل سلفه، لعلمهم وفضلهم رحمهم الله، وقد خرج عن سرقسطة حين تغلب عليها العدو، وتوفى بقرطبة سنة(514هـ/1120م) [4].

ومنهم أيضاً عبدالرحمن بن عبدالله بن ميسرة من أهل سرقسطة، تولى القضاء

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 242.

(2)ابن الحسن علي بن عبدالله الجذامي المالقي النباهي: تاريخ قضاة الأندلس "المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة المصرية، (بيروت، 2006م)، ص15.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 180/3.

(4)ابن بشكوال: المصدر السابق، 150/1، 151.

بها، وتوفى يوم الثلاثاء لثلاثة عشرة بقيت من شهر رجب سنة (442هـ/1050م)[1].

ومنهم أيضاً محمد بن إسماعيل بن فورتش، تولى القضاء بسرقسطة، يكنى عبدالله، ورحل إلى المشرق حاجاً، وكتب الحديث عن عتيق ابن إبراهيم القروي، وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم. كان ثقة في روايته، ضابطاً لكتبه، فاضلاً دينياً، عطيفاً، راوية للعلم، توفى في شهر ذي الحجة من عام (450هـ/1058م)[2].

وتولى القضاء بعده ابنه عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن فورتش، من أهل سرقسطة، يكنى أبا محمد، وكان مولده سنة (420هـ/1029م) وهو ينتمي إلى بيت شهير بها في القضاء والنباهة، قال عنه ابن الفرضي أن أهله ينتمون إلى بني أمية وإلى بني عذرة، وكان أبو عبدالله أحد فقهاء الثغور ورجاله، تولى القضاء ورجاله، تولى القضاء ببلده سرقسطة[3]، وقد روى عن أبيه، وكان وقوراً مهيباً عاقلاً فاضلاً، ونظر عليه في المسائل، وكان محمود السيرة في قضاته وتوفى في شهر صفر من سنة (495هـ/1107م)[4].

هذا وهناك من رفض خطة القضاء في سرقسطة، ومنهم عبدالرحمن بن موسى ابن محمد بن عقبة الكلبي، يكنى أبا يزيد، كان فقيهاً، عالماً، زاهداً ورعاً، لم يمسح على الخفين قط، وكان يفتي بالمسح، وأراد المقتدر بالله بن هود أن يوليه أحكام القضاء بسرقسطة، فرفض ذلك وأقسم ألا يقبلها، فأعفاه منها، وتوفى في شهر محرم من سنة (468هـ/1075م)[5].

فضلا عن السلطات التي كان يتمتع بها القاضي ويمارسها بتفويض من الملك

---

(1) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 154/2.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، 189/2؛ محمد عبدالوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، المؤسسة العربية الحديثة، (القاهرة، 1992م)، ص502.

(3) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وجمعه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1998م)، 374/1.

(4) ابن بشكوال: المصدر السابق، 310/2؛ محمد خلاف: المرجع السابق، ص157.

(5) ابن بشكوال: المصدر نفسه، 352/1.

كامامة الصلاة بما فيها الجمع والعيدين[1]، كذلك كان القاضي يقوم بالإشـــراف علـــى بيت المال، ومراقبة المسؤولين عنه، وتفقد أحوال العاملين فيه ، ومراجعة كل ما يخرج من وجوه الصرف فيه، ومن ضمن اختصاصات القاضي الإشراف على أعمال صاحب المواريث، وعلم الفرائض، وهو ما يتركه الميت من المواريث، وقد يقـــوم القاضـــي بتعيين شخص آخر للقيام بتوزيع الإرث[2]، وشملت سلطات القضاء أيضاً إقامة الحدود والنظر في المصالح العامة، والإصغاء للشهود، وتفقد الأمناء، ووجوب التســـوية بـــين القوي والضعيف في الحكم[3].

ومما سبق يتبين أن القضاة في سرقسطة كانوا يلزمون بالمعروف والنهي عـــن المنكر، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، بل أن بعضهم تحاشى تـــولي هـــذا المنصـــب لخطورته وأهميته.

5- الشرطـــــــــة:

هم الجند الذين يكلفون بحفظ الأمن، ويسهرون على إقرار النظام في البلاد ليلاً ونهاراً، والقبض على الجناة والمجرمين في البلاد ليلاً ونهاراً، والضرب على أيـــدي المذنبين وتأنيبهم[4]، وعرفت الشرطة بذلك لأنهم أشرطوا أنفســـهم بعلامـــات خاصـــة يُعرفون بها[5].

هذا وقد ورد ذكر صاحب الشرطة في الأندلس في وقت مبكر لدخول المسلمين الأندلس، فقد ذكر ابن الكردبوس: "أنه عندما فتح موسى بن نصير مدينـــة سرقســـطة، حاصر مدينة أخرى بعدها تطل على البحر ولها أربعة أبـــواب، فقـــال وبينمـــا نحـــن نحاصرها، إذ أقبل صاحب شرطة موسى عياش بن أخيل فقال له: "أنا قد فرقنا الجيش

---

(1) نجاة امراجع العبار: تاريخ القضاء في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/755-1031م)، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب، جامعة بنغازي، (بنغازي، 2009م)، ص110.

(2) نجاة العبار: المرجع السابق، ص110.

(3) النباهي: المصدر السابق، ص19.

(4) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص198.

(5) ابن منظور: المصدر السابق، 330/7.

أرباعاً على نواحي المدينة"[1].

ثم ظهرت ولاية الشرطة في الأندلس بعد عهد الأمير عبدالرحمن الداخل (138-172هـ/755-788م) ثم أخذ نظام الشرطة يسمو ويعظم مكانة في الأندلس إلى أن نوعت اختصاصاتها ودرجاتها[2].

ثم ازدادت أهمية الشرطة في الدولة العربية في الأندلس وارتفعت منزلتها، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ثم عظمت بناتها في دولة بني أمية بالأندلس، ونوعت إلى شرطة كبرى، وشرطة صغرى، وجعل حكم الكبرى على الخاصة من الحكم على أهل المراتب السلطانية، والضرب على أيديهم وعلى أيدي أقاربهم، ومن إليهم من أهل دار السلطان والجاه، ونصب لصالح الكبرى، كرسي بباب دار السلطان، وكانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة، حتى كانت ترشيحاً للوزارة والحجابة[3].

ولما اعتلى الخليفة عبدالرحمن الناصر (300-350هـ/912-965م) الخلافة استحدث نوعاً ثالثاً للشرطة أطلق عليه الشرطة الوسطى، اختص صاحبها بالنظر في حوائج الطبقة الوسطى، وهم أعيان التجار وأصحاب المصانع، وأرباب المهن الراقية كالأساتذة والأطباء ومن في طبقتهم[4]، ولا يختلف نظام العسعس في الأندلس عنه في المشرق إلا في التسمية، حيث عرف العسعس في الأندلس بالدرابين، لأن بلاد الأندلس لها ردوب تُغلق بعد العتمة[5].

وقد تعرض ابن عبدون لهذه الخطة وسمى صاحبها الحاكم ووضع السمات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم، فذكر أنه: "يجب أن يكون رجلاً خيراً، عفيفاً، غنياً، عالماً، متحنكاً في علوم الوثائق، ووجوه الخصومات، ويكون ورعاً، ولا يرتشي ولا يميل،

---

(1) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص158.

(2) محمود عرفة: خطة الشرطة بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، مجلة المؤرخ المصري، العدد الحادي عشر، (القاهرة، 1993م)، ص12.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص229.

(4) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص44.

(5) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 287/3.

ويجري في حكمه وأمره إلى الحق والاعتدال، ولا يخاف في الله لومة لائـم، ويكـون أكثر حرية في حكمه إلى الصلح بين الناس، ويضرب له فـي بيـت المـال أجـره لمستلزماته، وذلك لتركه ما يلزمه من أمر معيشته، والنظر في أمورها"[1].

وفي عهد الفتنة تعرض صاحب الشرطة للعزل والقتل نظراً لتعاقب الخلفاء في تلك الفترة، حيث كان كل خليفة جديد يعمل على تعيين صاحب شرطة مـن رجالـه، ويعزل الذي سبقه وربما قتله. وفي عصر ملوك الطوائف، اتسـمت خطـة الشـرطة بالاستقرار، واعتمد كل أمير من أمراء الطوائف على صاحب شرطة واختـاروه مـن البيوت الأندلسية المعروفة[2].

ومن الذين تولوا خطة الشرطة في عهد بني هود، يحيى بن خلف بن يحيى بن خلف الأموي، وكان من أهل وشقة وسكن سرقسطة، وكان مشاوراً للقاضي محمد بـن عبدالله بن فرتون أيام قضاته، وعالماً بوجوه القضاء، وتولى خطة الشرطة بعده عبدالله بن محمـد بـن إسـماعيل بـن فـورتش، وذلـك فـي شـهر شـوال مـن سـنة (442هـ/1050م)[3].

6- الحسبـــة:

في اللغة مصدر احتسابك، الأجر على الله: فعلته حسبة، واحتسـب احتسـاباً، والاحتساب: طلب الأجْر، والاسم: الحسبة بالكسر، وهو الأجْرُ[4].

وتعد الحسبة من أوائل النظم الإسلامية ظهوراً[5]، وهي وظيفة دينية من بـاب

---

(1) ابن عبدون: المصدر السابق، ص11.

(2) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص485.

(3) محمد عبدالوهاب خلاف: المرجع السابق، ص503.

(4) ابن منظور: المصدر السابق، 314/1.

(5) محمد كرد علي: كتاب في الحسبة، مجلة الثقافة، العدد الأول، السنة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1939م)، ص67؛ حبيب مصطفى عزالدين: الحسبة على الأطباء والصيادلة، مجلة الثقافة العربية، العدد 284، بنغازي – ليبيا، 2007م، ص59.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، وقد فرضها الله تعالى على عباده في كتابه العزيز وحث على القيام بها، منها قوله تعالى: "وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمة يَدْعُونَ إِلَى الْخِير وَيَأَمرُون بالمَعْرُوف وَيَنْهُوْنَ عَنَ الْمُنَكْرِ"[*]، وهي بين خطة القضاء وخطة الشرطة جامعة بين الدين والسياسة[3] والاحتساب أخو القضاء، فلذلك لا يجب أن يتولاه إلا أمثال الناس، ذلك لأن المحتسب هو لسان القاضي وحاجبه ووزيره وخليفته[4]، حيث توافق أحكام القضاء في أنه يجوز للمحتسب أن يستدعي إليه الناس، ويسمع دعوة المعتدي عليه[5].

وتوافق الحسبة الشرطة من حيث أن صاحبها يبحث عن المذكرات[6]، هذا وقد كان لفظ الحسبة شائع الاستخدام في بلاد المشرق، أما في الأندلس فقد كان يُطلق على هذه الخطة اسم ولاية السوق أو صاحب السوق، حيث ذكر ابن حيان هنا أن متوليها يدعى صاحب السوق[7].

ومن شروط المحتسب "أن يكون مسلماً، حراً، بالغاً، عاقلاً، عدلاً[8] قادراً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، عارفاً بأحكام الشريعة بعيداً عن الرياء، حتى تكون له في قلوب الناس مهابة وجلالة، متورعاً على قبول الهدية، ولا يخالف قوله فعله، ولا يتجسس ولا يقتحم على أصحاب الدور دورهم ليحاسبهم على ما يحصونه سراً لأن للدور حرمة مصانة" [9].

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص247.

(*) سورة آل عمران، الآية (104).

(3) ابن عبدون: المصدر السابق، ص26.

(4) محمد كرنوس: شريعة الحسبة في الإسلام، مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني، السنة الثامنة، دار الكتاب العربي، (القاهرة، 1954م)، ص102.

(5) محمد كرنوس: المرجع السابق، مجلة لواء الإسلام، ص102، 103.

(6) عبدالفتاح عبادة: الشرطة البوليس عند العرب، مجلة الثقافة، العدد الخامس، (دمشق، 1961م)، ص5.

(7) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود مكي، ص548.

(8) أبن الأخوة: المصدر السابق، ص29.

(9)أبن الأخوة: المصدر نفسه، ص37؛ محمد كرد علي: المرجع السابق، مجلة الثقافة، ص19.

هذا وقد ذكر يحيى بن عمر أنه يجب على ولي الحسبة أن يتحرى العــدل وأن ينظر في أسواق رعيته[1].

ومن الذين جمعوا بين خطتي السوق الشرطة في مملكة سرقسطة، خلــف بــن محمد بن خلف بن أحمد بن هاشم العبدري، وكان من أهل سرقسطة، وكان جده لأبيــه قاضي الجماعة بها ويسمى بالقروذي، وجده لأمه خلف بن أبي درهم قاضــي وشــقة، وتولى خلف هذه الخطة في سنة (464هــ/1072م) وكان فقيهاً زاهداً محبباً إلى العامة والخاصة، توفى سنة (493هــ/1100م)[2].

هذا وقد حظي "صاحب السوق" بأهمية كبيرة من خلال علاقة صاحبها بمصالح الناس العامة، حتى ظلت هذه الوظيفة في الممالك المسيحية بعد زوال الحكم الإسلامي تحت اسم "Almotcen" ولعل أفضل دليل على أهمية المحتسب من الناحية العملية أن ملوك أسبانيا المسيحيين، كانوا كلما استردوا إقليماً من المسلمين أبقوا فيــه المحتســب على عمله[3].

7- الجيـــــش:

يقصد بالجيش الجند أو العسكر أو المقاتلة الذين يسيرون إلى الجهاد[4]، وينقسم الجيش إلى عدة فرق منها الفرسان والمشاة والنشابون والمنجنيقون، وكـــان الفرســـان يلبسون الدروع والرماة ويحملون القسي والسهام[5]، وفـــي عهــد ملــوك الطوائــف بالأندلس، كان الأمراء غالباً ما يقودون الجيوش بأنفسهم أو يتركون قيادتها لأبنـــائهم،

---

(1) يحيى بن عمر: المصدر السابق، ص47.

(2) محمد خلاف: المرجع السابق، ص504.

(3) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 367/4؛ محمد علي كرد: المرجع السابق، مجلة الثقافة، ص69.

(4) علي الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص122.

(5) تقي لدين الدوري: المرجع السابق، ص283؛ السيد عبدالعزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص329، 330.

شأن عامة الأمراء في العصور الوسطى[1].

وفي عهد بني هود في مملكة سرقسطة تولى أحمد المقتدر بن هود قيادة ذلك الجيش الذي كلفه به والده سليمان المستعين، وذلك في حروبه مع بني ذي النون في سنة (435هـ/1043م) حول مدينة وادي الحجارة، حيث قام هذا الجيش بمحاصرة جيش بن ذي النون في مدينة طليبيرة[2].

كذلك فقد تولى أحمد المقتدر بن هود قيادة ذلك الجيش الذي قاده لنجدة مدينة بربشتر سنة (456هـ/1064م) التي تعرضت لهجوم النورمان، الذي سبق لي ذكرها[*] من قبل، حيث بلغ الجيش الذي جاء من سائر بلاد الأندلس ستة آلاف من الرماة المهرة، الذين تأهبوا لقتال النورمانديين، وقد قام هذا الجيش بتحقيق النصر على الأعداء وإنجاد المدينة[5].

هذا ومن المساوئ التي قام بها بني هود في عهد أحمد المقتدر هو اعتماده على الجنود المرتزقة من الأسبان، وخاصة السيد القمبيطور وجيشه، الذين اعتمد عليهم بني هود في حروبهم وصراعاتهم، مع أبناء المملكة ذاتها، ومع جيرانهم من ملوك الطوائف والأسبان، حيث سيطر فيما بعد على مدينة بلنسية وعاث فيها فساداً وما جاورها من الممالك[4]، حيث علا نجمه في بلاط بني هود، وغدا جيشه الصغير قوة يحسب حسابها، بل غدا كأنه يفرض بمساعدته هذه على سرقسطة نوعاً من الحماية، وكان صاحب سرقسطة لا يبرم أمراً من أعمال الحرب والسياسية دون مشورته[5].

ولعل حاجة ملوك الطوائف لمثل هذه القوة العسكرية من المرتزقة، لتساندهم هي عدم وجود أساس شرعي معين لسلطانهم، ولم تكن هذه القوة تستخدم من أجل الجهاد،

---

(1) حنان أبو صاع: المرجع السابق، ص69.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 273/3، 288.

(*) ينظر ص(49- 53) من هذه الرسالة.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 227/3.

(4) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص396.

(5) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص286.

وإنما لاستخدامها في صراعاتهم الداخلية وإلى فرض سلطانهم على رعاياهم[1].

ومما سبق ذكره يتبين أن السياسة التي انتهجها أمراء بني هود في الاستعانة بالنصارى الأسبان والجنود المرتزقة، وقد أدت بالمملكة إلى الضعف وأدت كذلك بأمراء هذه المملكة وخاصة الضعاف منهم إلى أن فقدوا هيبتهم أمام رعاياهم الأمر الذي الهب صدور الرعية عليهم، وهذا الأمر نفسه هو الذي جعلهم يتعلقون بأمراء دولة المرابطين المجاهدة، لتخلصهم من هذا الوضع المسئ للكرامة والعزة الإسلامية.

---

(1) عصمت دندش: المرجع السابق ص278,288

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والأعمال العمرآنية لمملكة سرقسطة في ظل بني هود

أولاً: التركيبة السكانية للمجتمع السرقسطي:

أ - العرب المشارقة.

ب - المغاربة.

ج - المولدون "المسالمة".

د - المستعربين.

هـ - اليهود.

و - الصقالبة.

ثانياً: طبقات المجتمع السرقسطي:

أ - الطبقة الخاصة.

ب - الطبقة العامة.

ثالثاً: أهم المظاهر الاجتماعية في مجتمع سرقسطة:

أ - وسائل التسلية.

ب - الاحتفالات والأعياد والمواسم الإسلامية.

ج - الأعياد المسيحية.

رابعاً: العادات والتقاليد:

أ - الأسرة في المجتمع السرقسطي.

ب - الزي واللباس.

ج - الأطعمة والأشربة.

خامساً: الأعمال العمرآنية:

أ - مسجد سرقسطة الجامع.

ب - قصر الجعفرية.

أولاً: التركيبة السكانية:

الغالب على المجتمع الأندلسي أنهُ خليط من أجناس مختلفة، وقد ضمت مملكة سرقسطة خلال عصر الطوائف أعراق وأجناس متعـددة مـن العـرب، والمغاربـة والمولدون والمستعربين واليهُود والصقالبة وهم على النحو التالي:

أ – العرب المشارقة:

وهم أقوام نزحت من شبه جزيرة العرب على شكل دفعات وطلائع فـي أثنـاء الفتوحات العربية الإسلامية[(1)] حيثُ كانت طالعة موسى بن نصير في شهر رجب مـن سنة (93هـ/711م) أكثرها عدداً، وتشير المصادر إلى أن عدة من دخل الأندلس فـي طالعة موسى بن نصير بلغ ثمانية عشر ألف مقاتل من خيرة مقاتلة العرب من القيسية واليمنية[(2)]. وتبعت هذه الطالعة الأولى طالعة الحر بن عبدالرحمن الثقفي في شهر ذي الحجة سنة (97هـ/716م) وكان أغلب هاتين الطالعتين من اليمنيين، وسموا بالبلـدين أو أهل البلد[(3)] وتلتهُا طالعة بلج بن بشر القشيري سنة (124هـ/741م) التـي تضـم ثمانية آلاف من العرب الشاميين[(4)]، وخلال أيام الفتح الأولى، توافد العرب على هـذه الناحية حيث اجتذبهم إليها نهر إبره بمجراه الواسع العريض[(5)].

وبعد ذلك لم تنقطع الهجرات العربية إلى الأندلس، وذلك أن بني أميـة كـانوا يشجعون هذه الهجرات، خاصة ممن ينتمون منهم إلى قريش، وشـكلت هـذه القبائـل عصب الجيش الأندلسي، منذ قيام الأمويين بالأندلس حتى قرب سقوط دولتهم[(6)].

---

(1) علي الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس، ص103.

(2) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص85؛ ابن خلدون: العبر، 117/4، عبدالواحد ذنون طه: التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثلاثون، (العراق، 1986م)، ص184.

(3) ابن القوطية: المصدر السابق، ص37، 38؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، ص120.

(4) المصدر نفسه، ص39، 40؛ المرجع نفسه، ص120.

(5) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، ص247.

(6) عبادة كحيلة: القطوف الداني في التاريخ الأسباني، (القاهرة، 1998)، ص66-67.

وليس هناك من شك في أن أغلب القبائل العربية اليمنية قد شكلت أغلبية عربية كبيرة في المجتمع الأندلسي، حيث كان اليمنيون الذين استقروا في مدينـــة سرقســـطة يمثلون الغالبية من قبائل العرب التي نزلت سرقسطة، وكانت منطقة الثغر الأعلى هي الناحية الرئيسية التي استقر بها التجيبيون، حيث نزلوا قلعة أيوب ودورقة وسرقســـطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى(1). ولقد استمر التجيبيون يسيطرون علـــى سرقســـطة، ولعبوا دوراً مؤثراً في أحوالها السياسية حتى نهُاية عصر الخلافة الأموية بالأنـــدلس. ومن القبائل العربية التي استقرت في سرقسطة قبيلة جذام اليمنية والتي منهُا بني هود، حيثُ كان جدهم الأعلى هود هو الداخل إلى الأندلس وهم ينســـبون إلـــى قبيلـــة الأزد العربية، ولقد سكنت قبيلة بني هود في مدينة تطيلة(2). ومن القبائل اليمنية التي استقرت بسرقسطة قبيلة بني عذرة والتي منهُا بنو فوارتش(3)، والتي كان من أبرز شخصـــيات هذه القبيلة في عهد بني هود هو عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن فورتش، يكنى أبـــا محمد، والذي تولى قضاء سرقسطة، حيث كان وقوراً مهيباً عاقلاً فاضلاً، ونوظر عليهُ في المسائل وكان محمود السيرة في قضأته، قال عنه أبو علي(*) بن سكرة "كان أفهـــم من يحضر عنده، وكان مولده سنة (424هـــ/1033م) وتوفي في شـــهر صـــفر ســـنة (495هـــ/1102م)(5) وأيضاً من القبائل التي استوطنت مدينة سرقسطة فيلتـــي "الأوس والخزرج" الذين دخلوا بقيادة أحفاد سعد بن عبادة، ومنهُم الحسين بن يحيى بن سعد بن

---

(1) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص451؛ عبدالواحد ذنون طه: الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، (بيروت، 2004)، ص149.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص124؛ المراكشي: المعجب، هامش المحقق رقم (1)، ص75؛ ابن خلدون: العبر، 163/4.

(3) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص451.

(*) هو حسين بن محمد بن فيرة بن سكرة الصدفي المكنى بأبو علي، من أهل سرقسطة، رحل حاجاً إلى الشرق سنة (481هـــ/1088م) لقي هناك بمكة أبا عبدالله الطبري إمام الحرمين وبعد عودتهُ سكن مرسية وتولى قضاءها عن كره، استشهد في معركة قنده قرب دورقة من عمل سرقسطة سنة (514هـــ/1120م) = المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه إبراهيم الأبياري ومصطفى السقا وعبدالحفيظ شلبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1994م)، 150/3-154.

(5) ابن بشكوال: المصدر السابق، 310/1.

عبادة الذي استقر في سرقسطة[1]، ولقد اشتهر من هذه القبيلة في عهد بني هود، عـــدد من القضاة والفقهاء وعلماء الدين ومنهم عبدالرحمن بن عبدالله الأنصاري، يكنى أبـــا بكر، وهو صهر القاضي ابن علي بن سكرة، وروى عن القاضي محمد بن إســـماعيل بن فورتش وغيره، وكان رجلاً صالحاً، ورعاً، خطيباً ببلده، أديباً شاعراً وكان مجاب الدعوة، وقد سمع الناس منه، ولقد أنشد القاضي أبو علي بن سكرة عنه هذه الأبيات[2]:

سأقطع عن نفسي علائق جمة | واشغل بالتلقين نفس وباليـــــــــاً
وأجعله أنسّي وشّغلي وهمتي | ومُوضوع سرّي والحبيب المناجياً

وكتب إلى صهره أبي علي رحمه الله:

كتبت الأيام تجد وتلعُـــــــب | ويصدقني دهري والأيام تكـــذب
وفي كل يوم يفقد المرء بعضه | ولأبدان الكل منهُ سيّذهـــــــــب

وتوفي أبو بكر رحمه الله في سنة (515هــ/1121م)[3].

ويتبين مما سبق أن معظم العرب الذين تكون منهم المجتمع في مملكة سرقسطة كانوا من العرب اليمنية.

وخلاصة القول، فقد كانت سرقسطة وإقليمها حوض نهُر إبرة أو الأبـــرو مـــن أحفل نواحي الأندلس بالعروبة والإسلام، وكان أهلها ذوي بســـالة وحـــزم وجـــراءة، استطاعوا وهم على دار الحرب بل داخلها، أن يصونوا وطنهم ويحتفظوا بعاصمتهم ما يزيد عن أربع قرون[4].

ب) المغاربة "البربر":

ساهم المغاربة بشكل كبير في فتح الأندلس، إذ أن أغلب الجيش الذي قاده طارق ابن زياد لفتح الأندلس، الذي يبلغ قوامه حوالي اثنتي عشر ألف مقاتل من المغاربـــة،

---

(1) العذري: المصدر السابق، 25.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، 310/1.

(3) المصدر نفسه، 310/1.

(4) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، ص246.

ولقد تحمل هؤلاء العبء الأعظم من هذه الفتوح خاصة بعد انتصار المسلمين بقيادة طارق ابن زياد في موقعة وادي لكة(*)على القوط، وذلك في شهر رمضان سنة (92هـ/710م)(1) فبعد هذا الانتصار أخذت تتوافد إلى الأندلس أعداد هائلة من المغاربة، إما إلتماساً للغنائم أو بهدف الاستقرار في هذه البلاد الغنية، وأخذ المغاربة يشكلون العنصر الإسلامي الرئيس في أرض الأندلس، والطائفة المتفوقة في جملة الطوائف التي يتألف منها مجتمع الأندلس(2). ولا غرابة في ذلك لأن المغاربة يشبهون العرب في عاداتهم وتقاليدهم وإنهم لا يختلفون عنهم إلا في لغتهم المميزة عن اللغة العربية، هذا التشابه الكبير بين العرب والمغاربة كان من الأسباب الكبرى التي سهلت اندماج المغاربة بالعرب وتقبل المغاربة للدين والحضارة الإسلامية(3)، وقد زودنا أبن خلدون بأسماء أربعة قبائل كان يتألف منهُا جيش طارق بن زياد الذي دخل الأندلس وهي: مطغرة، ومديونة، ومكناسة، وهوارة(4). كذلك فقد أورد ابن حزم الأندلسي معلومات مهمة عن منازل المغاربة في الأندلس، وخاصة في مدينة سرقسطة وأعمالها، حيث استقرت بها قبيلة مصمودة، والتي من بطنهُا بني جعفر بن مصمود وهم موالي بني مخزوم، وكان لأبي جعفر ابنان هما عبدالله وأحمد بطرسونة، التي تقرب مدينة تطيلة في ثغر سرقسطة(5).

ومن أهم قبائل المغاربة التي استوطنت سرقسطة قبيلة صنهاجة، الذين استقروا في ضحاية صنهاجة "Cenhiya" وهي من ضواحي سرقسطة نسبة إلى قبيلة صنهاجة

(*) عُرف موقع هذه المعركة باسم البحيرة وهي عند مصب وادي لكة، وعند شاطئ هذه البحيرة دارت أحداث هذه المعركة = عبدالرحمن بن عبدالحكم: فتوح أفريقيا والأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، بيروت، 1964م، ص19.

(1) ابن عبدالحكم: المصدر نفسه، ص19.

(2) محمد أحمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص233.

(3) امراجع الغناي: علاقة الإمارة الصنهاجية بجيرانها وأثرها على ليبيا، دار الغريب، (بيروت، د.ت)، ص12.

(4) ابن خلدون: العبر، 180/6، 181.

(5) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ، ص500.

التي سكنتهُا[1]، كما استوطنت قبيلة مكناسة عند ملتقى نهر الأبرو في الثغر الأعلـــى[2] ومما هو جدير بالذكر أن العرب في سرقسطة كانوا أكثر من المغاربة فعلـــى ســـبيل المثال أنهُ عندما ثار المغاربة على العرب في الأندلس في شمالها وجنوبهـــا بســـبب استئثار العرب بالأراضي الخصبة دون المغاربة، الذين انتظرو فرصة مواتية للوثوب على العرب، وسنحت لهم الفرصة عندما بلغهم ظهور مغاربة العدوة على عربهـــا[3]، حيثُ أخرجوا عرب جلقية والمدائن وقتلوهم وانضم العرب إلى طليطلـــة فـــي وســـط الأندلس، وقد اجتمع هناك معظم المغاربة، فكانت هزيمتهم العظمى بوادي سليط فـــي أحواز طليطلة، على يد العرب، إلا من كان من عرب سرقسطة وثغورها، فكانوا أكثر من المغاربة، فلم يثور عليهُم المغاربة في سرقسطة[4].

وخلاصة القول أن المغاربة كانوا عنصراً بارزاً في المجتمع الأندلســـي، منـــذ فتحها إلى سقوطها، وبدخول المرابطين الأندلس تعزز عنصر المغاربة الموجود بها[5] حيث ما لبث أن دخلت مملكة بني هود تحت نفوذهم، سنة (503هـ/1010م)[6].

ج) المولّدون "المسالمة":

بعد فتح المسلمون للأندلس، أقبل كثير من الأسبان على اعتناق الإسلام، وذلـــك نتيجة لسياسة التسامح الديني والعدل والمساواة التي انتهجها الفاتحون مع سكان الـــبلاد الأصليين، وقد أطلق على من اعتنق منهُم الإسلام اسم المسالمة أو المولدين[7]، والذين ولدوا من أباء أسبان وأصبحوا مع انتشار الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية في تزايد

---

(1) حسين مؤنس: فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، ط2، دار الرشاد، ط2، (القاهرة، 2005)، ص309.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 31/2.

(3) المصدر نفسه، ص31/2.

(4) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص38.

(5) عصمت دندش: المرجع السابق، ص261.

(6) ابن الآبار: الحلة السيراء، 147/2؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 175/2.

(7) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص341؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، ص128.

مستمر[1] ويشير ابن القوطة أن عبدالعزيز بن موسى بن نصـــير أول ولاة الأنـــدلس تزوج من أرملة لذريق، وهي أيخلونيا، ثم حذا حذوه عدد من القادة والأمراء، وكـــذلك تزوج عيسى بن مزاحم من سارة القوطية، ابنة المند بن غيطشـــة[2] وتـــزوج أيضـــاً المنصور بن ابن عامر من ابنة سانشو ملك نافار والتي اعتنقت الإسلام، وتسمت باسم عبده، وكانت من أحسن نسائه ديناً[3].

ولقد اندمج عدد من المولدين بالفاتحين، ونسى أصله الأسباني وانتحل لنفسه نسباً عربياً، واحتفظ القسم الآخر بأصله ونسبه واسم عائلته[4] في حين احتفظ كثيـــر مـــن المولدين بأسمائهم القديمة، وكثيراً ما أظهروا تعصبهم لعرقهم الأسباني وميولهم نحـــو الاستقلالية، مما أثر بدوره على علاقاتهم بالسلطة المركزية في قرطبة، وتُعـــد مدينـــة سرقسطة من أوائل المدن التي رفعت لواء ثورات المولدين[5].

وقد شهدت منطقة الثغر الأعلى قيام بعض الأسر المولدة ذات الجـــاه والنفـــوذ والعصبية القوية[6]، وأهم هذه الأسر أسرة بني قسي، إذ أصبحت سرقسطة منذ القـــرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي مسرحاً لمغامراتهُم[7]، إلى أن استطاع الأمير عبـــدالله (229-300هـــ/843-912م)، وذلك عندما استعان بأسرة بني تجيب العربيـــة، فـــي القضاء على نفوذ هذه الأسرة المولدة، منذ ذلك الحين ملك التجبيون سرقسطة، وبقيـــت تحت حكمهم حتى سنة (431هـــ/1039م) بعدها إلا أن آل حكم سرقسطة لبني هود[8].
وعلى الرغم من أنهم كانوا عنصراً مهماً في المجتمع الأندلسي بممارســـتهم الزراعـــة

---

(1) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص340.
(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص30، 33.
(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش رقم (3)، ص66؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 38/3.
(4) علي الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس، ص104.
(5) ابن القوطية: المصدر السابق، ص23، 24؛ خالد الصوفي: المرجع السابق، ص318.
(6) كمال السيد أبو مصطفى: بحوث ودراسات في تاريخ الأندلس، ص47.
(7) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص265؛ علي الشطشاط: نهُاية الوجود العربي، ص24.
(8) العذري: المصدر السابق، ص41.

والتجارة[1] فان ثوراتهم قد كلفتَّ الدولة الإسلامية ثمناً باهظاً، من الـدماء والأمـوال وحالت دون تجميع الجهود وتعبئة القوة العربية لمناهضة العدو التقليدي للإسلام، ذلك العدو الذي استمر يستغل كل فرصة ويتحينها للقضاء على العرب والإسلام، ولقد كان لهؤلاء المولدون ولو بطريقة غير مباشرة، اليد الطولى في تدبير المؤمرات التي أثارت الثورات الداخلية والخارجية على دولة الإسلام بالأندلس، حتى وقعت فريسة للأعـداء الذين أجهزوا عليها دون رحمة أو إبقاء[2].

د) المستعربون[*]:

على الرغم من إقبال عدد كبير من سكان الأندلس، على اعتناق الإسلام، ظـل عدد كبير منهم على دين النصرانية وقد عُرف هؤلاء باسم النصارى أو العجم أو عجم الذمة، على الرغم من مخالطتهُم المسلمين وإتقانهُم اللغة العربية، ولهذا السبب أُطلـق عليهُم اسم المستعربون[3].

غير أن الدكتور حسين مؤنس يرى أن هذه التسمية لم تطلق عليهم إلا ابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ثم ظهـرت فـي كتابـات نصـارى الأندلس، سواء باللاتينية أو الأسبانية القديمة، ثم استخدمها المؤرخـون المحـدثون[4]، ولقد أصبح هؤلاء العجم أو النصارى بمرور الزمن أقلية في الأندلس بالنسبة للمسالمة والمولدون[5] وقد تمتع المستعربون بمدينة سرقسطة بكافة حقـوقهم، وكـانوا يـؤدون شعائرهم الدينية دون أن يتعرضوا للضغط من قِبل الحكومة الإسلامية، فقد ترك العرب للجاليات النصرانية نظامها المدني الذي كان جارياً أيام القوط، وهو نظام يتصل بجميع

---

(1) عبادة كحيلة: القطوف الداني في التاريخ الأسباني، ص66، 67.

(2) عبدالكريم التواتي: المرجع السابق، ص498؛ علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي، ص78.

(*) هم قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهُم = ابن منظور: المصدر السابق، 588/1.

(3) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم، ص130؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص391.

(4) حسن مؤنس: فجر الأندلس، ص130.

(5) المرجع نفسه، ص131.

نصارى الذمة، فيقوم القائمون به بجمع ضرائبهم ويؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهُم، ويعينون القضاة الذين يفصلون في منازعاتهم بحسب القانون القوطي، ويشرفون علـــى كنائسهم ويتولون أمور قساوستها، أما القضايا التي بين المسلمين، فكان ينظـــر فيهـــا قضاة للمسلمين ويحكمون فيها بشريعة الإسلام[1]، واتخذ النصارى المســـتعربون حيـــاً خاصاً لكنائسهم في سرقسطة ويقع في الشمال الغربي منها[2].

ومما يدل أيضاً على حرية النصارى في ممارسة شعائرهم الدينية، أنهم كـــانوا يقرعون نواقيسهم، رغم ما كان يسببه هذا من إزعـــاج للمســـلمين، وإثـــارة بعـــض المتعصبين منهم عليهم، فهذا يدل على تسامح المسلمين وتركهم النصـــارى يمارســـون شعائرهم الدينية في حرية تامة[3] هذا وقد نظم ابن حزم الأندلسي أبياتاً من الشعر ذكر فيها قرع النواقيس بقوله[4]:

أتبتني وهلال الجوى مطلـــــــع ∴ قبيل قرع النصارى للنواقيـــس
ولاح في الأفق قوس الله مكتسباً ∴ من كل لون كأذناب الطواويس

وقد كان دور المستعربين مهماً وفاعلاً في الحياة السياسية والفكريـــة لإتقـــانهم اللغة العربية فأسهموا في نقل الحضارة العربية إلى أسبانيا[5]، كـــذلك حـــتم الموقـــع الجغرافي لمملكة سرقسطة والمجاور للممالك النصرانية الثلاث، على أمراء بني هـــود أن يتبعون سياسة التسامح الديني والموادعة مع رعاياهم النصارى الذين كانوا يعيشون في ظل بني هود في ظروف حسنة ويتمتعون بسائر الحريات الفكرية والدينية[6]. ولقـــد

---

(1) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم، ص131؛ توريس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية، ترجمة علية إبراهيم، صحيفة معهُد الدراسات الإسلامية، (مدريد، 1953)، ص54.

(2) السيد عبدالعزيز سالم: المرجع نفسه، ص131.

(3) المرجع نفسه، ص131.

(4) ابن حيان: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق محمد يوسف الشيخ وغريد يوسف الشيخ، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 2008)، ص142.

(5) أحمد العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد العاشر، (القاهرة 1979م)، ص30.

(6) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص282.

شجع هذا التسامح راهباً فرنسياً أن يكتب رسالة إلى المقتدر بن هود، يـدعوه فيهـا إلـى اعتناق النصرانية، وبعث الراهب رسالتهُ المذكورة تلك مع راهبين من زملائـه ليشـرحا للمقتدر تعاليم الدين المسيحي ومزاياه، فاستقبل المقتدر الرسولين برفق، ولم يثر المقتـدر لما تتضمنهُ رسالة للراهب، من جراءة وتهجم صارح على الإسلام، بل أنـهُ عهـد إلـى العلامة الفقيه أبو الوليد الباجي، وكان يومئذ يعيش في مملكة سرقسطة في كنفـه وتحـت رعايتهُ(1)، بأن يكتب عن لسانه إلى الراهب رداً يفند فيه دعاوى الراهب فـي رسـالته، ويبين ما تحتوي عليه هذه الدعاوى من بطلان وتناقض، فكتب البـاجي رده علـى هـذه الرسالة، بأسلوب مسهب وبليغ، يفند فيه مزاعم الدين المسيحي، وألوهية المسيح وغيرهـا بقوة ويشرح تعاليم الإسلام بوضوح، ويدعو الراهب بالعكس إلى اعتناق الإسلام، وينـوه بمعجزة القرآن الكريم وروعته، ويدلل ببراعته على بطلان التعاليم المسيحية(2).

ومما سبق يتبين مدى المكانة العالية التي عاشها المستعربين في ظل حكم بني هود في الأندلس، فلم يقتصر الأمر على حرية ممارسة شعائرهم الدينية بحرية وتسـامح، بـل تعدى بهم الأمر من أثر هذه الحرية أن يدعو رهبانهم أمراء بني هود إلى اعتناق الـدين المسيحي، في حين كانت رسالة الإسلام الخالدة في الأندلس، هي نشر رسالته ودينه السمح في تلك البقاع، وهذا يعطي دليلاً واضحاً على مدى تبادل الحريات الفكرية والدينية بـين الشعبين المسيحي والمسلم في أرض الأندلس.

ولقد ظل المستعربين يتمتعون بهذه الحرية في ظل حكم المسلمين في الأندلس، إلا أنهم لم يحترموا للمسلمين هذا التسامح، فبعد دخول المرابطين للأنـدلس تعـاونوا وتواطؤا مع ألفونسو المحارب ضد المسلمين وذلك في سنة (519هـ/1125م) الأمـر الذي دفع المرابطين إلى إجلائهم عن الأندلس(3).

هـ) اليهُـــود:

ويطلق أهل الذمة أيضاً، وكان هؤلاء يمثلون عنصـراً مهمـاً فـي المجتمـع

---

(1) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف ، ص282.

(2) المرجع نفسه، ص282.

(3) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص91.

الأندلسي، وكانوا قبل الفتح الإسلامي يعانون من اضطهاد القوط لهم[1]، ولذلك وقف اليهود إلى جانب المسلمين أثناء الفتح الإسلامي، فكانوا يدلونهم على عورات البلاد وثغراتها، وكان من الطبيعي أن يكافئهم المسلمون على ذلك فاتخذوا منهم حرساً لما يفتحونهُ من البلاد إلى جانب الحرس الإسلامي[2]، ولقد لقي اليهود تسامحاً مطلقاً من العرب حيث حفظ المسلمون لهم ذلك، ونَعِمِ اليهود في ظل الدولة الإسلامية بنفس ما كان يتمتع به المستعربون من حرية العقيدة، فأبقيت لهم معابدهم وأصبحوا يؤدون طقوسهم الدينية بحرية كاملة دون التعرض لأي سوء، ولقد كان لهم في مدينة سرقسطة حي خاص بهم يعرف بحي اليهود[3]، إضافة إلى مدينة طركونة وهي من أعمال مملكة سرقسطة والتي عرفت بمدينة اليهود، وذلك لأنهم كانوا كثيرين بها[4]، قد تبوأ اليهود مراكزاً مرموقة في الدولة، وذلك في مجال التجارة والصناعة، والعلوم بالإضافة إلى إجادتهم للغة العربية، ويرجع إليهم الفضل الأكبر في ترجمة الكتب العربية واللاتينية ولعبوا دوراً مهماً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خصوصاً في القرن الخامس عشر الهجري/الحادي عشر ميلادي[5] وبرز منهم في عهد بني هود شخصيات عديدة، تقلدت مناصب عالية فكان منهم الكتاب والأطباء والوزراء وغير ذلك، ومن أهم هذه الشخصيات أبو الفضل بن حسداي والذي كان يهودياً فأسلم[6]، والذي بلغ الرتبة العالية في البلاغة والأدب والشعر[7] كما سبق ذكره فيما سبق[*].

ولعل توليته رتبة الوزارة لدى أمراء بني هود الثلاثة أحمد المقتدر وابنيه

---

(1) شريفة محمد دحماني: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 2006)، ص68.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 12/2؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم، ص133.

(3) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص65.

(4) الإدريسي: المصدر السابق، 555/2؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، 267/2.

(5) أحمد العبادي: المرجع السابق، مجلة عالم الفكر، ص230 ؛ عصمت دندش: المرجع السابق، ص257.

(6) المقرئ: نفح الطيب، 262/4.

(7) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، مج1، ص466.

(*) ينظر ص(117) من هذه الرسالة.

المؤتمن والمستعين بالله بن هود، دليلاً واضحاً على مدى ازدهار الجالية اليهودية في عاصمة الثغر الأعلى[1].

و) الصقالبة:

إلى جانب العناصر العرقية السابقة الذكر، كان المجتمع الأندلس في عهد بني هود يضم عنصر الصقالبة "Sagaliba" أو السلاف "Slave" الذين يرجعون في أصلهم إلى الجنس الآري أو العرق الهند- أوربي[2]، وهم من شعوب البلدان الواقعة ما بين بحر قزوين شرقاً والبحر الأدرياتي غرباً والتي عرفت باسم الشعوب السلافية[3]. والسلاف يعتقد أنها مشتقة من الكلمة الفرنسية "Esctare" وهي العبيد أو الرقيق، وقام العرب بتعريب هذا الاسم إلى الصقالبة، حيث أن هذه التسمية لم تعد تطلق على سبي الشعوب السلافية فقط، وإنما اتسعت لتشمل الرقيق المجلوب من أية أمة مسيحية[4].

كان تجار اليهود في جنوب فرنسا يخصون هؤلاء الصقالبة ثم يبيعونهم للأمويين في الأندلس، حيث استخدموهم خدماً للحريم، وقد اشتهُر اليهود بهذه التجارة، حيث كانت لهم أسواق لممارستها، أشهرها سوق "فردان" في جنوب فرنسا[5]، وكان هؤلاء الصقالبة يؤتى بهم أطفالاً من الجنسين[6] ثم يربون تربية إسلامية ويدربون على أعمال القصر، وسرعان ما ازداد عددهم حتى بلغ في عهد عبدالرحمن الناصر ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وخمسين من الرجال وستة آلاف وسبعمائة من النساء[7].

---

(1) هنري بيرس:الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،ترجمة الطاهر مكي،دار المعارف،(القاهرة، د.ت)، ص240.

(2) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالأندلس، ص75.

(3) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص48.

(4) البكري: المصدر السابق، ص155.

(5) أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص 106؛ دوزي رينهارت، المسلمون في الاندلس، 2/ 38.

(6) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالأندلس، ص76.

(7) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 2/ ص 41 .

كان هؤلاء الصقالبة غير منسجمين مع بقية عناصر المجتمع الأندلسي الأخرى، ولاسيما في أوائل الدولة الأموية واستكثر الخلفاء الأمويون منهم، حتى كان عددهم في أواخر الدولة الأموية كبيراً جداً[1] واستطاع بعضهم في عصر دول الطوائف أن يؤسس ولايات صقلبية في دانية وشاطبة، وبلنسية وطرطوشة[2]، وكانت هذه الولايات مــلاذاً يلجأ إليهُ الصقالبة من مختلف مناطق الأندلس، حتى أن كثيراً من المماليك والعبيد فروا من سادتهم ولجئوا لتلك الولايات[3] وقد تمكن أمراء بني هود من توسيع رقعة مملكتهم على حساب هذه الولايات الصقلبية، مستغلين فرصة ضعف حكامها، حيث قام أحمــد المقتدر بن هود بضم إمارة طرطوشة، والتي كان يملكها الفتى لبيــب العمــري إلــى مملكتهُ مستغلاً ثورة أهالي طرطوشة عليه، وما تتمتع به من موقع تجاري مهم بالنسبة لمملكة سرقسطة، حيثُ بادر المقتدر بضمها إلى مملكته سنة (452هـ/1060م)[4] من قبل. إضافة إلى ذلك فقد قام أيضاً بضم مملكة دانية الغنية والمشتهرة بخيراتها وموقعها الجغرافي إلى بلاده والتي كانت أيضاً تحت نفوذ حفيده علي إقبال الدولة ابن مجاهــد العامري سنة (468هـ/1075م)[5].

ثانياً: طبقات المجتمع السرقسطي:

تميز مجتمع الأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بوجود العناصر العرقية السابقة الذكر، الأمر الذي أدى إلى وجود عدة طبقات شــاركت فــي عهد بني هود في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ولتعــدد هذه الطبقات فقد آثرت أن اقسم مجتمع بني هود في عصر الطوائــف إلــى طبقتــين رئيستين وهما على النحو الآتي:

---

(1) علي الشطشاط: نهاية الوجود العربي بالاندلس، ص76.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، 302/3.

(3) المصدر نفسه، 160/3.

(4) المصدر نفسه، 224/3؛ المراكشي: المعجب، هامش المحقق رقم (4) ص75؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ص678/7؛ ابن سعيد: المصدر السابق، 437/2.

أ) الطبقة الخاصة:

وتتكون هذه الطبقة من العناصر العربية الحاكمة، وعشرتهم وهذه الطبقة تحظى بالرئاسة والشرف وتقتني الضياع الواسعة والأراضي الخصبة والثروات الوفيرة وتتوفر لديها الثقافة الرفيعة والمعرفة التي تؤهلها لتولي المناصب العليا[1] وتتمثل هذه الطبقة في أسرتين عربيتين استطاعت أن تتولى الزعامة في مملكة سرقسطة، وهي أسرة بني تجيب التي انتهى حكمها سنة (431هـ/1039م) لتتولى الزعامة بعدها أسرة بني هود والتي بقيت في حكم سرقسطة حتى سنة (503هـ/1110م)[2]. ويدخل في هذه الطبقة أيضاً القضاة وكبار الكتاب والعلماء والوزراء، وقد تمتعت هذه الطبقة بدخل مرتفع وبوضع اقتصادي متميز في عصر الطوائف الذي امتاز بالجشع والحروب المستمرة بين أمراء الطوائف[3].

إلى جانب ذلك فقد ظهرت في هذا العصر طبقة واعية أدركت مصير الأندلس وهي طبقة الفقهاء فجابت هذه الطبقة بلاد الأندلس تدعو إلى الوحدة ولم الشمل[4] ومن أبرز زعماء هذه الطبقة أبو الوليد الباجي، وابن حزم الأندلسي، الذي اشتهر بنقده اللاذع لملوك الطوائف والذي قال عنهم: "لو علموا في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حرم المسلمين وأبناءهم ورجالهم، ويحملونهم أسرى إلى بلادهم، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً، فأخلوها من الإسلام وعمورها بالنواقيس لعنهم الله جميعاً وسلط عليهُم سيفاً من سيفوهم"[5].

2- الطبقة العامة:

وتتكون هذه الطبقة من التجار وكبار المزارعين وأصحاب الحرف، وكانوا

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسيه، ص239.
(2) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود مكي، 131؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 128/3؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، 248/2.
(3) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص430؛ كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص239.
(4) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع نفسه، ص239.
(5) عبدالحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، مكتبة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2000م، ص246، 247.

يعيشون في مستوى اجتماعي متوسط، وإن كان هذا المستوى يختلف ارتفاعاً وانخفاضاً باختلاف الأشخاص وأعمالهم[1]، ومن هذه الطبقة أيضاً طبقة صغار المزارعين والزراع، وقد كانت هذه الطبقة تسكن القرى والأرياف، وهذه الطبقة تعيش في دولة الإسلام في العصر الوسيط ظروفاً سيئة لأن الأراضي أصبحت ملكاً للحكام[2]، وهي أكثر الطبقات فقراً في المجتمع ورغم أنهم كانوا يمثلون السواد الأعظم من السكان، فأنهم كانوا يعانون كثيراً من الظلم والعسف، فكانوا يتحملون وزر الأوضاع والاضطرابات فضلاً عن جور الملاك وجباية الضرائب، وكانوا دائماً أول ضحايا القحط والمجاعات وكثيراً ما تعرضت أراضيهم ومحاصيلهم للنهُب والتخريب في أوقات المعارك والحروب[3]، حيث تعرضت أراضي كل من مملكة سرقسطة وطليطلة إلى التخريب والدمار، وذلك في أثناء الحرب الأهلية التي كانت قائمة ما بين سليمان بن هود وبين المأمون بن ذي النون وذلك ما بين سنتين (435-438هـ/1043-1046م)، والتي أدت إلى انتهاب الزراع وتدمير المحاصيل والتي قام النصارى الأسبان الذين استعان بهم كل من بني هود وبني ذي النون بحصدها ونقلها إلى بلادهم، واستباحة أراضي المملكتين الإسلاميتين ولم تنتهي هذه الحرب إلا بوفاة سليمان بن هود سنة (438هـ/1046م)[4].

ومما سبق يتبين أن هذه الحروب قد كبدت طبقة الفلاحين خسائر فادحة، خاصة وأنها تعيش على هذه الحرفة، والتي أيضاً تدفع منها الضرائب الباهظة لأمراء هذه المملكة.

كذلك فقد تعرض أهالي مدينة تطيلة من جراء الحرب الأهلية التي قامت ما بين أحمد المقتدر بن هود وأخيه يوسف المظفر حول عرش المملكة من حدوث مجاعة والغلاء الشديد بها، واشتداد القحط بين الأهالي الأمر الذي دفع أهالي مدينة سرقسطة

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص240.
(2) بشير رمضان التليسي، وجمال هاشم الذويب: المرجع السابق، ص227.
(3) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص240.
(4) ابن عذاري: المصدر السابق، 222/3؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص178؛ محمد عبدالله عنان: مواقف حاسمة من تاريخ الإسلام، ص268.

إلى الاعتراف بطاعة أحمد المقتدر بن هود على حكم المملكة، والتي ظل حاكماً لهـا حتى سنة (474هـ/1081م) وأدى هذا الصراع الدامي بين الأخوة من بني هود إلـى اضطهاد الرعية وتحملها الضرائب الباهظة[1]، ولاشك أن هذه الطبقة هي أولي طبقات المجتمع تضرراً من جراء تلك الحروب.

ثالثاً: أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في مملكة سرقسطة:

أ) وسائل التسلية:

المنتزهـات:

كان للأندلسيين ولع كبير بالخروج إلى الجنات وإلى ضفاف الأنهار والوديـان للنزهة وقضاء الوقت، وذلك ترويحاً عن أنفسهم من عناء العمـل والتمتـع بمظـاهر الطبيعة الخلابة التي تجمع بين المروج الخضراء المبسـطة والجبـال التـي تزينهـا الغابات، وأرضها التي تسير فيها الأنهار[2]، ولقد حبـا الله مدينـة سرقسـطة بهـذه المميزات فقد وصفها ابن حمديس[*] بعد خروجه منها، نقلاً عن ابن سعيد بقوله:

فإن كنتُ أخرجت منْ جَنِّة فإني أحدث أخبارها

ناهيك مِنْ مدينة بيضاء أحدقت بها بساتينهُا

زمردة خضراء والتفت عليهُا أنهُارها الأربعة

فأضحت بها رياضها مرصعة مجزعـة[3].

ولا يوجد في الأندلس مدينة يحيط بها أربعة أنهُار سواها[4]، ولعل أشهر أنهارها

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 222/3؛ رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص291.

(2) السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، 109/2، 110.

(*) هو عبدالجبار أبو بكر محمد بن حمديس، ولد على الساحل الشرقي من مدينة صقلية سنة (447هـ/1055م) وهو من أصل عربي أزدي، وقد اشتهُر بحبه للشعر حيثُ جاء في مطلع شبابه إلى بلاد الأندلس، حيثُ زار قرطبة وسرقسطة، واستوطن مدينة اشبيلية في عهد بني عباد، وكان من مدائحي المعتمد بن عباد، الذي أشاد بشجاعتهُ في معركة الزلاقة، ثم مدح المرابطين وبعد ذلك خرج عن بلاد الأندلس وقصد بلاد المغرب حيثُ توفي في مدينة بجاية في شهر رمضان سنة (527هـ/1133م) عبدالجبار أبو بكر بن حمديس: ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1960م، ص3-16.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، 343/2.

(4) المصدر نفسه، 434/2.

هو نهر الأبرو، والذي عرفت به بأنها عروس الأبرو[1] ولقد حظي هذا النهر باهتمام أمراء بني هود في عصر الطوائف حيث ذكرت الروايات التاريخية خروج المستعين بالله بن هود إلى هذا النهر خاصة عندما تتكاثر فيه الأسماك حيث ذكر أبو الفضل بن حسداي وهو شاهد عيان أحداث تلك النزهة، عن ابن خاقان والمقرئ وصفاً كاملاً لتلك النزهة بقولهم[2]: "أن المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور، ركب نهر سرقسطة يوماً لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وأحضر معهُ من آلات آنسه، وهو نهر رق ماؤه وراق وازرى على نيل مصر ودجلة والعراق، قد اكتنفتهُ البساتين من جانبيهُ وألقت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس أن تنظر إليه هذا على اتساع عرضه، وبعد سطح مائه من أرضه، وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة، وأحاطت به إحاطته الطفاوة بالغزالة، وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات، طالعة من الموج في سحاب وقانصة من بنات الماء، كل طائرة كالشهاب، فلا ترى إلى صيوداً كقصيد الصوارم[*]، ومعاصم الأبكار[**] النواعم" فقال: الوزير أبو الفضل بن حسداي والطرب استهواه، وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه، أبياتاً من الشعر جاء فيها[3]:

لله يوم أنيق واضح الغِـرَرُ	مفصُفَصٌّ مُذهِب الأجيال والبكر
كَأنمَا الدَّهر لمَا سِّاء اعتبناً	فِيهُ بغيتي فأيدي صَفْح مقْتُـدْر
نَسيرُ في زَورق حَفَ السرُورَ بِـهُ	من جانبيهُ بِمَنظُوم وَمنشـر
هذا الشراعُ بِهُ قَد أعلى مَلِـك	بَد الأوائل فِي أيامهُ الإخـر
هو الإمام الهمام المستعين أحوى عليا	مُؤتْمن عَنْ هُدى مُقْتَـدر
تَحْوِى السَفِينة منهُ آية عجبـاً	بحر تجمع حتى صار في نهُـرِ
تُصاد من قَعِرْه النيُنِان مُصْعـدَّة	صيداً كما ظفر الغُواصُ بالدَّورِ

(1) ابن الكردبوس: المصدر السابق، هامش رقم (7) ص117، 118.
(2) المقري: نفح الطيب، 360/4؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص184.
(*) الصوارم: هي من أسماء الحرب، وهي تعني العزيمة على الشيء وقطع الأمر = ابن منظور: المصدر السابق، 335/12.
(**) الأبكار: جمع بكر وهي المرأة العذراء التي لم تتزوج بعد = ابن منظور: المصدر نفسه، 78/4.
(3) المقري: نفح الطيب، 174/2؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص184.

وَللندامى بِهُ عَبٌّ ومرتُشْـــــــــف كالرِّيق يَعْذبُ في وَرد فِي صَدَرِ
وَالشَّرْبُ فِي مَدْح مولى خُلْقهُ زَهَر يذْكُو وغرِّتهُ أبهى مِنْ القْمَــــرِ

ب) هواية الصيد:

يعتبر الصيد من أهم وسائل التسلية التي ولع العرب بالاهتمـــام بها، وقد اهـــتم أهالي سرقسطة شأن غيرهم من أهالي مدن الأندلس بهذه الهوايـــة، حيث يشترك فيها جميع طبقات الشعب من الخاصة والعامة، وكان الملـــــوك والأمـــــراء مـــن هـــواة الصيد[1].

هذا وتشتهر جبال سرقسطة بوجود العديد من الحيوانات، ومن أهمها الغـــزلان والآيايل، والأرانب البرية، والطيور وغير ذلك من الحيوانات التي اشتهرت بها بـــلاد الأندلس[2].

2- مظاهر الحياة الاجتماعية:

تعودت المجتمعات الإسلامية أن تقيم احتفالاتها في أيام معلومات منها الدينيـــة، ومنها الوطنية، التي يحتفل بها المسلمون وغير المسلمين[3].

وكان للحياة الأندلسية مظاهرها الخاصة بها، واحتفالاتها المتعددة التـــي ولـــع الأندلسيون بالتحضير لها والتفنن في انتهاز فرص السرور للاستمتاع بها[4]، وبمـــا أن مجتمع مملكة سرقسطة في عهد بني هود هو خليط من أجناس وأعراق متعـــددة، فقـــد كان لكل فئة منهُ عاداتها وتقاليدها، واحتفالاتها الخاصة بها وهي على النحو الآتي:

---

(1) عصمت دندش: المرجع السابق، ص334؛ السيد عبدالعزيز سالم: صور من المجتمع الأندلســـي، ورد ضـــمن منشورات كتاب بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، القسم الأول، دار الغرب الإسلامي، (بيـــروت، د.ت) ص265.

(2) ابن رأس المعسكر: المصدر السابق، ص423؛ كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية في عصـــر دويـــلات الطوائف، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 1993)، ص92.

(3) بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص215.

(4) عصمت دندش: المرجع السابق، ص221.

أ) الاحتفالات والأعياد والمواسم الإسلامية:

احتفل أهالي سرقسطة بالعديد من الأعياد والمناسبات الدينية، وجرت العادة أن يقوم الباعة يوم الجمعة بكنس رحاب الجامع، صبيحة يوم الجمعة، ولا يشغلوا رحابه بالسلع وذلك لإتاحة الفرصة لعدد كبير من المسلمين لحضور خطبة الجمعة والصلاة[1]، والتي كان يتم الإعلان عنها في المسجد الجامع بسرقسطة[2].

أما عن شهر رمضان فقد عظم مسلمي الأندلس هذا الشهر كغيرهم من مسلمي المشرق والمغرب فقد كانوا يحيونه بقراءة القرآن الكريم، وتأدية الصلوات فضلاً عن أداء صلاة التراويح، كما أنهم يحرصرون على إدراك فضل ليلة القدر وما فيها من أجر عظيم[3]، ويقومون بالاحتفال بها وشراء الحلوى وفي ذلك يقول الطرطوشي: "ومن البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس وشراء الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان[4] ثم تأتي بعد ذلك فرحة الناس برؤية هلال شوال، ويتولى القضاة ورجال الدين تحديد يوم عيد الفطر بعد التأكد من رؤية الهلال، ومن ثم يعلن عن ذلك في كل الكرور الأندلس، وفي يوم العيد يلبس الناس الملابس الجديدة، ويخرجون لأداء الصلاة خلف الإمام، وبعد أداء الصلاة توزع أنواع الأطعمة والحلوى، ويهنئ المسلمون ويتبادلون التهُاني، والتحيات وتوزع الأطعمة والأشربة على الأهل والجيران[5].

وبعد عيد الفطر يأتي عيد الأضحى فهو أعظم عيد بعد عيد الفطر لدى المسلمين كافة، في مشارق الأرض ومغاربها، وكان يحتفل به في العاشر من ذي الحجة، فلم يكن يختلف هو الآخر عن عيد الفطر في الإعلام بقدومه، ومظاهر الاحتفال به، حيث يتم التحضير له مسبقاً بيوم أو يومين، فيذهب الناس الميسورين لشراء الأضاحي للأسر الفقيرة، وجرت العادة أن يتم ذبح الأضحية، بعد ذبح إمام المسجد، وبعد ذلك يتبادل

---

(1) ابن عبدون: المصدر السابق، ص23.

(2) محمود خطاب: المرجع السابق، ص266.

(3) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 603/4.

(4) أبو بكر الطرطوشي: الحوادث والبدع، تحقيق: نعمان الصالح نعمان، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2003م)، هامش المحقق رقم (1) ص110.

(5) محمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص248، 249؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، 14/4.

الناس المعايدات ويعودون إلى منازلهم لذبح الأضحية، والتي تعتبر من أهـــم مظـــاهر الاحتفال بالعيد[1].

وكان الحج أيضاً من المناسبات المهمة التي احتفل بها أهالي سرقسطة، وتزخر كتب التراجم بأسماء العديد من السرقسطيون الذين أدوا فريضة الحج في عهـــد بنـــي هود، ومنهُم على سبيل المثال لا الحصر رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي وهو من سكان مدينة سرقسطة، رحل حاجاً إلى مكة، زادها الله شرفاً، وبقـــي هنـــاك أعواماً، وكان رجلاً فاضلاً عالماً بالحديث وله فيهُا تأليف حسان، توفي هنـــاك ســـنة (524هـــ/1129م)[2] وكذلك أحمد بن سليمان بن خلف بن سعد بـــن أيـــوب التجيبـــي الباجي، أصله من قرطبة، واستوطن مدينة سرقسطة وصف بالنباهة والجلالـــة رحـــل للمشرق حاجاً، وتوفي بعد عودته من الحج سنة (474هـــ/1181م)[3]. وأيضـــاً ممـــن رحل من سرقسطة للمشرق حاجاً، عبدالملك بن عبدالرحمن بن عبدالملك الأنصـــاري، روى عن القاضي أبي محمد بن فورتش، وكان رحمه الله أحد نبهاء بلده روى عنه ابنه أبو الحكم وولى الأحكام ببلدة سرقسطة وتوفى سنة (500هـــ/1107م)[4].

علاوة على هذه الاحتفالات، احتفلت بعض طوائف المجتمع الأندلسي وخاصـــة المتصوفة منهُا بالمولد النبوي الشريف، وذلك في الثاني عشر من شهر ربيـــع الأول، حيث حرص الأندلسيون والمغاربة على الاحتفال بذكراه احتفالاً كبيـــراً، حيـــث ذكـــر الونشريشي إلى أن هذا العيد لم يخل من البدع ومنها إعـــداد الأطعمـــة والمـــأكولات، واختلاط الرجال بالنساء واستعمال آلات اللهو والطرب عند الاجتماع في تلك الليلة[5]. في الوقت الذي كان فيه بعض علماء المشرق المتمسكين بالعادات الإســـلامية الأولـــى

(1) عصمت دندش: المرجع السابق، ص226؛ كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية، ص80.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، 213/1، 214؛ الضبي: المصدر السابق، ص270.

(3) المصدر نفسه، 92/1.

(4) ابن عبدالله عبدالملك الأنصاري المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي المصول والصلة، تحقيق إحسان عبـــاس، دار الثقافة، (بيروت، 1973م)، 23/1.

(5) أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأنـــدلس والمغـــرب، تحقيق نخبة من العلماء بإشراف محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإســـلامي، (بيـــروت، 1980)، 278/11، 279؛ كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية، ص18.

ينظرون إلى الاحتفال بمولد النبي عليهُ الصلاة والسلام على أنه بدعة، ولعل اهتمام أهل المغرب والأندلس بالمولد النبوي، راجع إلى الشعور بالتحدي، لأنه يقابل أعياد الميلاد المسيحية[1].

هذا ومن الأعياد التي احتفلت بها مدينة سرقسطة أيضاً عيد العصير "Alcir" وكان يقام عند جني محصول العنب وعصره، وهو من المحاصيل الرئيسية في مدينة سرقسطة ويكثر إنتاجه فيها، وكان الأهالي يغادرون بيوتهم إلى حقول الكروم، حيث يقيمون أياماً يجمعون خلالها محصول الكروم، ثم يحتفلون بذلك في جو يسوده المرح والغناء والرقص، ولازالت هذه العادة مستمرة حتى اليوم في أسبانيا[2].

ب) الأعياد المسيحية:

شارك السرقسطيون النصارى المعاهدون الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي أعيادهم، وهذا دليل على سياسة التسامح التي انتهجها أمراء سرقسطة نحوهم، إذ كان النصارى يعيشون في ظل بني هود في ظروف حسنة ويتمتعون بسائر الحريات الدينية[3].

ومن أهم تلك الأعياد، عيد النيروز[*]، وهو من الأعياد الفارسية التي عرفها العرب عن الفرس، وهذا العيد يمثل رأس السنة الشمسية عندهم[4]، أما العيد الثاني فهو عيد المهرجان وهو أيضاً من أصل فارسي، وكان الفرس يحتفلون به في آخر السنة

---

(1) أحمد العبادي: المرجع السابق، مجلة عالم الفكر، ص107.
(2) الزهري: المصدر السابق، ص82؛ أحمد العبادي: المرجع نفسه، مجلة عالم الفكر ص391.
(3) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص282.
(*) النيروز كلمة فارسية معربة، ويقصد بها يوم جديد = القلقشندي: المصدر السابق، 418/2.
(4) محمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص249؛ هنري بيريس: المرجع السابق، ص270.

حسب تقويمهم الشمسي[1]، ويسميهُ الأندلسيون بعيد العنصرة[*]، وعيد سـان اخـوان، الذي تحتفل به أسبانيا في الرابع والعشرين من يونيو، وخميس أبريل أو خميس العهـد الذي يسبق عيد الفصح المسيحي، ولعل مشاركة المسلمون في الأندلس المسيحيين لهذه المناسبات، كان أساس نظرة الاحترام التي يكنها المسلمون نحو السيد المسـيح[2] كمـا جاء في قوله تعالى[**] في سورة مريم "**(**فأشَارت إلِيهُ قَالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المِهَدِ صَبِياً[28] قَال إنَّي عَبْدالله ءَاتَنِي الكَتب وَجَعلنِي نَبياً[29] وَجَعْلنِي مُبارَكاً أين مَـا كُنـتُ وَأوْصَنِي بالصَّلَوة والزكَوة مَادُمتُ حَياً[30] وبر بِولدتِي ولَمْ يَجَعلنِي جَبّاراً شَقَياً[31]والسَّلَمُ عَلَي يَوم ولُدِتُ وَيَوم أمُوتُ وَيومَ أبعَثُ حَياً**)**[32] **(W)**. هذا من ناحية، ومـن ناحيـة أخرى كانت هذه المشاركة الروحية من جانب المسلمين في الأندلس، ترجع إلى الحياة المشتركة التي عاشها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب سنين طويلة[3] تحت رايـة الإسلام، تجمعهم سماحة العرب في الحكم ببلد الأندلس، والتي ساهمت ولاشـك فـي تطور نظمه الاجتماعية[4].

رابعاً: العادات والتقاليد:

أ- الأسرة في المجتمع السرقسطي

دعا الإسلام إلى تكوين الأسرة، وذلك عن طريق الزواج، الذي كان يشكل أول لبنة لبناء الأسرة ووسيلة لإنجاب الأبناء، وتعزيز الروابط بـين أفـراد الأسـرة الواحدة[5].

ولقد جرت العادة أن يبدأ الزواج بالخطبة، وكانت عملية اختيار الفتى لعروسـه عملية سهلة تتم عادة بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها

---

(1) أحمد العبادي: المرجع السابق، مجلة عالم الفكر، ص391.

(*) هو عيد العنصرة أو ميلاد القديس "يوحنا" ويقصد به النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام = عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، (القاهرة، 1993)، ص109، 110.

(2) أحمد العبادي: المرجع السابق، مجلة عالم الفكر، ص391.

(**) سورة مريم، الآيات (28-32).

(3) أحمد العبادي: المرجع السابق، مجلة عالم الفكر، ص391.

(4) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص423.

(5) يوسف حسن البرغثي: المظاهر الحضارية لدولة المرابطين في المغرب والأنـدلس (484-541هـــ/1091-1146م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بنغازي، (بنغازي، 2008)، ص173.

في مكان عام أثناء شرائها الحاجات من السوق أو زيارة أحد الأقرباء أو الأصدقاء، وكانت تقوم بعملية الخطبة النساء المسنات، على سبيل حب الخير والوصل بين الفتى والفتاة[1].

وبعد الخطوبة يتم عقد القران بكتابة وثيقة النكاح، ويفضل بعض الناس أن يكون عقد الزواج في أحد المساجد جلباً للبركة[2].

وقد كان عقد الزواج يبدأ بالبسلمة والصلاة على رسول الله صلى الله عليهُ وسلم، ثم يكتب بعد ذلك اسم الزوج والزوجة، مع ذكر سن الزوجة، كما يوضح ما إذا كانت بكراً أما ثيباً، ثم يذكر مقدار الصداق، وما سيدفع منهُ مؤجلاً وموعده[3].

وقد كان الزوج يتكفل بكل نفقات حفل الزواج، من إعداد وليمة لأهل العروسين، وإحضار المغاني وضاربي الدفوف، وكانت العروس تتحلى بالثياب الحسنة والحلي خاصة التاج، وكانت الراقصات يرقصن في العرس حاسرات الرأس كاشفات عن شعورهن[4]، هذا وكان على أهل العروس أن يحصلوا على تصريح من القاضي، إذا كانت العروس ستزف إلى خارج المدينة، متى يأمر القاضي بأن يصحب الموكب عدد من الأعوان لحراسة موكب الزفاف من العربدة[5].

ولقد كان الأمراء والحكام ينفقون أموالاً كثيرة على حفلات الزواج، وذلك حباً للمباهاة والظهور[6]، حيثُ تفيض المصادر التاريخية بأخبار تلك الأفراح وبخاصة أفراح الخلفاء والأمراء والسلاطين[7]، ومن أهم تلك الاحتفالات في عهد بني هود هو عرس أبي جعفر بن أحمد المؤتمن بن هود المستعين بالله، أمير سرقسطة من ابنة أبي بكر بن عبدالعزيز وزير مملكة بلنسية، وقد احتفل بعقد هذا الزواج في مملكة سرقسطة

---

(1) عصمت دندش: المرجع السابق، ص330.
(2) ابن عبدون: المصدر السابق، ص13.
(3) كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية، ص63، 64.
(4) المرجع نفسه، ص63، 64.
(5) ابن عبدون: المصدر السابق، ص51، 52.
(6) عصمت دندش: المرجع السابق، ص331.
(7) بشير التليسي، وجمال الذويب: المرجع السابق، ص217.

في شهر رمضان، في حفلات شائقة، كانت مضرب الأمثال في البذخ والبهاء، وذلــك في سنة (477هــ/1085م)[1] ولقد تولى الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي، مهمــة توجيهُ رقاع الدعوة إلى جميع أعيان الأندلس من كتاب وعلماء وأدباء[2]، هــذا وقــد وصف ابن خاقان هذا العرس بأنهُ "قد راق من حضره وبهره"[3].

ولقد قيل أن هذا الزواج قد فاق عرس الخليفة العباسي المأمون[*] في زواجه من بوران بنت الحسن بن سهل[4].

ولعل تكاليف هذا الزواج والأموال الباهظة التي أنفقت عليه تعطي دليلاً علــى مدى الازدهار والبذخ الاقتصادي لمملكة سرقسطة في ظل حكم بني هود.

ومن الاحتفالات التي عرفتها الأسرة في المجتمع الأندلسي عامة والسرقســطي خاصة، هو الاحتفال بمناسبات الولادة والختان، حيث تعتبر الــولادة مــن المناســبات المهمة لكل أسرة، فإذا وضعت أم مولودها أقبلت عليها النساء يزغردن مــع ضــرب الدفوف، هذا ويتضاعف الفرح إذا كان المولود ذكراً، ففي هذه الحالة يجب على الوالد أن يقوم بإعداد وليمة فخمة[5] تسمى العقيقة في اليوم السابع من الولادة، وهي ذبح كبش أو أكثر باسم المولود تقدم لأم المولود الهدايا، كذلك يحتفل بختان الطفل فيمــا يســمى بالأعذار والذي كان أيضاً من المناسبات الأسرية السعيدة والتي تحييهُا الأسرة بإقامــة المآدب وحفلات الغناء والموسيقى[6]

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، 34/3؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص183، 184؛ محمــد عبــدالله عنــان: دول الطوائف، ص226.

(2) ابن خاقان: المصدر السابق، ص192؛ المقرئ: نفح الطيب، 173/2.

(3) المصدر نفسه، ص184.

(*) تزوج الخليفة العباسي المأمون الذي تولى مقاليد الحكم سنة (198-218هــ/813-833م) من بــوران بنــت الحسن ابن سهل سنة (206هــ/821م) وزير المأمون الذي حظي بمكانة عالية وجل قدره عند المأمون، وقــد ذكرت الروايات التاريخية أن جهازها قد بلغ ألوفاً كثيرة حيثُ كتب والدها رقاعاً فيهُا أسماء ضياع لــه نثرهــا على القواد العباسيين فمن وقعت في يده رقعة باسم ضيعة تسلمها، وقد استمر ذلك العرس مدة خمســة أيــام، ووزع المأمون على العساكر التي حرست موكب الاحتفال في الأيام الخمسة ألف ألف درهم، وقام والدها بنثــر صينية ملئت جواهر بين يدي المأمون عندما زفت إليهُ = أبو الفدا الحافظ بن كثير: البدايــة والنهايــة، مكتبــة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، (الرياض، 1966م)، 149/11؛ السيوطي: المصدر السابق، ص260.

(4) هنري بيريس: المرجع السابق، ص264.

(5) بشير التليسي، وجمال الذويب: المرجع السابق، ص218.

(6) كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية، ص69، 70.

يكون وقتها عند الظهر أو العصر، ثم تعد الجنازة للخروج إلى الدفن(1).

هذا واعتادت النساء والنوائح إتباع الجنائز لذلك نهى المحتسب عن ذلك خاصة إذا كنا حاصرت منكشفات الوجوه، وكذلك شدد المحتسب في منع النساء مـن إتبـاع الجنائز وزيارة القبور إلا مع زوج، أو ذي محرم، وكذلك منع اختلاط الرجال والنساء في المأتم، وقد أوصى يحيى بن عمر بإتباع السنة النبوية في امتناع النساء على البكاء والصراخ العالي على الميت(2).

وفي مملكة سرقسطة كان موكب الجنازة يختلف باختلاف الطبقة الاجتماعيـة، وكان أمراء بني هود يشهدون جنائز علية القوم من الطبقة الخاصة، من كتاب وعلماء وقضاة وفقهاء، والملفت للنظر في تلك المآتم في تاريخ الأندلس بشكل عام، وتاريخ هذه المملكة بشكل خاص هو ارتداء الناس البياض في الجنائز، حيث يروي ابن بسام ذلـك بقوله: "كان بسرقسطة شيخ يكنى بأبي عبدالصمد من شعراء ذلك العصر أخبرنـي ذي الوزارتين أبو عامر بن عبدوس أنه اجتمع في ذلك الثغر وراءه قد لبس بياضـاً فـي جنازة الكاتب أبي عمر بن القلانس، وقد حضرها المقتدر بن هود(3).

وقد نظم ابن شاطر السرقسطي أبياتاً من الشعر جسدت هذه العادة في المـأتم، جاء فيها(4):

قَدْ كُنت لا أَدْرِي لأية عَلـــــة ∴ صَار البيَاض لِبَاسُ كُلْ مُصَابُ
حَتى كَسَانِي الْدَهر سحق ملاءة ∴ بيضاء مِنْ شَيَبِي لفقد شبابـــي
فنبذاً تبين لي إصابة من رأى لبس البياض على نوى الأحَبَــــابِ

وهذه عادة أهل الأندلس، ولهذا قال الحصري في ذلك(5):

إِذَا كَانَ البيَاضُ لِبَاس حزن بِأندلس ∴ مذلك مِنْ الصَـــــوابِ

(1) إبراهيم عبدالمنعم سلامة: وصايا الدفن عند المسلمين في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، (الإسكندرية، 2005م)، ص6، 8.

(2) [illegible] بن عمر

أَلمْ تَرَنِي لَبْستُ بَيَاض شَيَبِـــــــي ∴ لأني قد حزنت على الشبابِ

هذا وقد شهد أيضاً المستعين بالله أبو جعفر بن المؤتمن بن هــود فـــي عهــده، جنازة صاحب الشرطة والسوق خلف بن محمد بن خلف العبدري، حيثُ كان المستعين قبل وفاته يحبه ويعوله في مرضه ويكرمه، فقد كان فقيهاً زاهداً محبباً إلـــى العامـــة والخاصة، توفي سنة 493هــ/1100م)، وقد شهد المستعين جنازته ومشى من أمامهــا راجلاً من داره إلى قبره، وقد أوصى المستعين بالصلاة عليه[1].

ومما سبق يتبين اختلاف أهل الأندلس عن بلاد المشرق الإســـلامي فـــي هــذه العادة، حيث أن أهل المشرق يلبسون الثياب السوداء التي تعتبر عن مدى حزنهم فـــي مثل هذه المناسبات.

خامساً: الأعمال العمرانية:

أ- قصر[*]الجعفرية:

شهدت مملكة سرقسطة في عهد بني هود، وخاصة في عهد أحمد المقتدر بـــن هود، الذي يعتبر من أعظم وأقوى أمراء بني هود وأوسعهم ذكراً في تاريخ الطوائـــف لاهتمامه بناء وبتشييد في مملكته[2]، وقد حكم سرقسطة نحو خمسة وثلاثين عامـــا[3]. وفضلاً عن مقدرته السياسية والعسكرية فقد كان أيضاً يتمتع بكثير من الخلال البديعة، ويحيط نفسه بجو من المهابة والروعة[4]، فلا غرابة في ذلك فقد كان هو نفسه عالمـــاً رياضياً[5]، وكان بلاطه من أعظم قصور الطوائف وأفخمها وأهمها قصر الجعفرية[*]. نسبة إلى كنيتهُ أبو جعفر، والذي اشتهُر في تاريخ الفن الإسلامي باسم "دار الســـرور " ويثبت ذلك وجود نقش بأحد أعمدة تجان هذا القصر، وكان أروع ما فيه بهوه الرائع

---

(1) محمد خلاف: المرجع السابق، ص504.
(*) ينظر شكل رقم (2)، ص 160.
(2) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي، ص13.
(3) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص282.
(4) المرجع نفسه، ص283.
(5) ابن خلدون: العبر، 163/4.
(*) ينظر ملحق رقم (5)، ص 235.

شكل رقم (2)[*]

(*) نقلاً عن محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ص 109.

الذي زُينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة، وسمى بذلك بـــالبهو الـــذهبي أو مجلس الذهب وفيه يقول منشوه المقتدر[1]:

قصَر السرور ومَجْلِسُ الذهبَ ∴ بكما بلغت نهاية الطْربَ

لو لمْ يحز ملكي خلافكمــــا ∴ لكان لدي كفاية الطلــبَ

ويقع بناء هذا القصر على مسافة قصيرة من ربض المدينة على نهر آبـــرو[2] وكان بناء هذا القصر من البلاط وتوجد قاعة كبرى بجانب برج التكريم وأغلب الظـــن أنهُا مجلس الذهب الذي كان محبباً إلى نفس المقتدر بالله[3]، ويتصل بهذه القاعة في أحد جوانبها مسجد مثن الشكل يقع محرابه في الجزء الجنوبي الشـــرقي وقبعتـــهُ قوقعيـــة الشكل، ومدخله على شكل عقد متجاوز يشبه مدخل جامع قرطبة[4].

يقابل المسجد في الجانب الآخر القاعة الكبرى قاعة أخرى تدعى "قاعة الرخام" وقد سميت بذلك لكثرة ما فيها من الأعمدة الرخامية وزخارف هذه القاعة شاهد علـــى المغالاة في الزخارف المعقدة التي اتجه إليها فن العمارة الأندلسي في عصـــر ملـــوك الطوائف، وكانت قاعة الرخام قد اختفت بينما بني الأسبان أمامها مقصورة[**] ســـميت مقصورة "سان جورج" وحينما تم هدم جزء من هذه المقصـــورة بـــرزت مـــن جديـــد الزخارف الرائعة لقاعة الرخام، والتي تعتبر مع المسجد المقابل لها آية من آيات الفن المعماري الأندلسي[5].

وقصر الجعفرية يعتبر قصراً وحصناً في آن واحد وربما كان الحصن الوحيـــد

---

(1) المقرئ: نفح الطيب، 422/1؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص283؛ السيد عبدالعزيز ســـالم، دائـــرة معارف الشعب، "مادة سرقسطة"، ص56.

(2) السيد عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 1986م)، ص64.

(3) السيد عبدالعزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص199؛ جومث مورينو: الفن الإسلامي فـــي أسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد عبدالعزيز سالم، 1968م، ص277.

(4) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، ص246؛ محمد حسن قجة: المرجع السابق، ص184.

(**) المقصورة: هي السياج أو الحاجز الذي يفصل بين المكان الذي يصلي فيهُ الخليفة أو الأمير مـــع حاشـــيتهُ، وباقي أجزاء المسجد يصلي به بقية الرعية والغرض منهُا هو توفير الأمان والحماية للخليفة أو الأميـــر عنـــد صلاتهُ من الثورات = محمد عبدالعزيز مرزوق: الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، د.ت، هامش المحقق رقم (1) ص157.

(5) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص283؛ محمد حسن قجة: المرجع السابق، ص163.

من نوعه في العالم لأنه لا يقوم على جبل أو ربوة وإنما في طرف البلد[1]، ولكن هـذا القصر لم يدم طويلاً تحت سيطرة العرب المسلمين، فحينما سقطت سرقسطة فـي يـد النصارى عام (512هـ/1118م) شوهت معالم هذا القصر البديع وأدخلت فيه تغيرات عديدة قضت على محاسنه وزخارفه العربية[2].

ومنذ ذلك التاريخ أصبح ديراً نصرانياً، ثم حوله ملوك أرغون إلى قلعة حصينة، مما جعل كثيراً من الزيادات العمرانية تضاف إليه، وقد غير هذا شيئاً فشيئاً من معالمه السابقة. وفي عام (898هـ/1492م) وهو عام سقوط غرناطـة وخـروج المسـلمين أضيفت إلى قصر الحصن قاعة العرش وكانت جميلة بديعة، ومما يلفت النظر في تلك الإضافات التي حدثت أنها كانت إسلامية الطراز، وذلك لأن الفن الإسلامي فرض نفسه على الأسبان في تلك الفترة واستمروا يقلدونهُ وينسجون على منواله[3].

وكانت الضربة الأعنف في عهد إيزابيلا الثانية حينما أمرت الملكة بتحويله إلى محكمة اعتقال بسجونها الرهيبة وهدمت مقصورته، وبذلك العمل الهمجي أزيلت مـن الوجود واحدة من أبرز ملامح الحضارة الإسلامية في الأندلس، وتألم لذلك المفكـرون والمهتمون بالتراث الأندلسي[4].

وقد علق مانويل جومث مورينو" عن هذا التخريب بأنه "عمل بربري يندى لـه الجبين وهو من أشد النقاط سواداً في تاريخ أسبانيا"[5] إذ انمحت أكثر معـالم القصـر تقريباً، وهو الأثر الفريد الذي كان باقياً بالمغرب الإسلامي قبل قصر الحمراء، ولم ينج من هذا التخريب سوى مسجد صغير الذي يؤلف بزخارفه، مع مـا يحتويـهُ متحـف سرقسطة ومدريد من تيجان وأعمدة وعقود رائعة، وهي كل ما بقي من قصـر بنـي هود[6].

---

(1) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، ص245.
(2) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص283.
(3) محمد حسن قجة: المرجع السابق، ص183.
(4) السيد عبدالعزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص198؛ محمد حسن قجة: المرجع السـابق، ص184؛ لطفي عبدالبديع: الإسلام في أسبانيا، ط2، مكتبة النهُضة المصرية، القاهرة، 1969م، ص186.
(5) جومث مورينو: المرجع السابق،، ص262.
(6) محمد حسن قجة: المرجع السابق، ص184.

ب) مسجد سرقسطة الجامع:

تعد المساجد أدلة حية وظاهرة ملموسة، وهي من ثمار حضارة الإسلام[1]، وقد كان المسلمون منذ فجر الإسلام، وفي زمن الفتوحات الكبرى، يشيدون المسجد الجامع، وذلك رغبة منهم في إضفاء الصبغة الإسلامية على المدينة المفتوحة[2]، وفـــي مدينـــة سرقسطة لم يكد المسلمون يستقرون في هذا البلد حتى قام التابعي الجليل حـــنش بـــن عبدالله الصنعاني بإنشاء مسجد سرقسطة الجامع ووضع محرابه[3] حيـــث بنـــي هـــذا المسجد على أنقاض كنيسة "سيو" "Seo"[4] وقد ضاق هذا المسجد بالمســـلين، فـــأمر الأمير محمد ابن عبدالله بن الحكم بن هشام سنة (238-273هـــ/852-886م) بزيادة وتوسيع جامع سرقسطة[5] وبعد ذلك توالت عليه الزيادات خاصة في عهد بني هـــود، حيث هدم في عهدهم الحائط القبلي للجامع وقاموا بتوسيعه وزيادتـــه[6] ولـــم يبـــق إلا محرابه الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي وقبته قوقعية الشكل، ومدخله على شـــكل عقد متجاوز يشبه جامع قرطبة والجدران الباقية من المسجد حول المحـــراب مزينـــة بعقود صماء، تحملها أعمدة متصلة بالجدران مزخرفة من الأعلـــى[7] ويتميـــز هـــذا المحراب أنه من حجر واحد من الرخام الأبيض[8]، أما مآذن هذا المسجد فقـــد كانـــت عبارة عن أبراج بسيطة مربعة في تخطيطها وتتألف من طابقين، ويستقل المسجد عن المئذنة ويفصل الصـــحن بينهمـــا[9]، ولمـــا اســـترجع النصـــارى سرقســـطة عـــام (512هـــ/1118م) هدموا المسجد، ولم يبق من بنائه إلا القليل، وبنو الكنيسة العظمـــى "سيو" على مقتضى الفن القوطي، فتبدلت بذلك صورته الإسلامية[10].

---

(1) محمد خلاف: المرجع السابق، ص415.
(2) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، ص376.
(3) الضبي: المصدر السابق، ص255؛ الحميري: المصدر السابق، ص97.
(4) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 117/2.
(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 96/2.
(6) العذري: المصدر السابق، ص23.
(7) ليو بولدتورس بلباس: الأبنية الإسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ترجمـــة عليـــة إبـــراهيم، مدريد، 1953، ص101، 105.
(8) الزهري: المصدر السابق، ص82.
(9) السيد عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، ص65.
(10) محمد طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس، ص515.

الفصل الخامس

الحياة الفكرية لمملكة سرقسطة في ظل بني هود

أولاً: نماذج من العلوم النقلية:

1- علم القراءات.
2- علم الحديث
3- علم التفسير.
4- علم النحو واللغة العربية.
5- علم الفقه.
6- الشعر والموشحات.

ثانياً: نماذج من العلوم العقلية:

1- الطب والصيدلة.
2- علوم الرياضيات والحساب والهندسة.
3- علم الفلك.
4- علم الفلسفة.
5- علم الموسيقى.

كان عصر ملوك الطوائف على ما اتسم به من تفرق في الكلمة، وانقسام سياسي، عصر ازدهار علمي ونهوض أدبي، فبعد أن كانت قرطبة عاصمة الخلافة هي مركز الإشعاع وحدها، تعددت هذه المراكز المشعة في حواضر الأندلس، ومنها سرقسطة التي حكمها في الغالب أمراء وملوك كانوا أنفسهم علماء وأدباء، وكان أول ما يفخرون به تشجيع العلم والآداب وأصبح للعلماء والأدباء مكانة سامية لديهم فتربعوا في دست الوزارة وشغلوا أعلى المناصب وأخطرها[1] إذ بالعلم تقضى حوائجهم ويكرم جوارهم ويحتلون المكانة اللائقة عند ذوي السلطان، حيث أن منهم من جعل الاشتغال بالعلم وسيلة للانقطاع عن الانغماس في الفتنة التي عمت البلاد في ذلك الوقت وما صاحبها من إراقة للدماء، واستباحة الأموال والحرمات، فكان هذا من ازدهار العلوم الإسلامية[2].

هذا وقد قسمت العلوم في الأندلس على غرار البلدان الأخرى إلى علوم نقلية وعقلية، وهي على النحو التالي:

أولاً: العلوم النقلية:

وهي العلوم التي أخذها الإنسان عمن وضعها، ولم يهتد إليها بعقله، مثل العلوم الشرعية، كالقراءات، والحديث والتفسير والفقه، وعلوم اللغة وآدابها[3]، وقد اهتم أهل الأندلس بهذه العلوم وأولوها اهتماماً كبيراً، وهي على النحو التالي:

أ – علم القراءات:

القراءات في اللغة: جمع قراءة، وفي الأصطلاح تعني مذهب من مذاهب النطق

---

(1) لطفي عبدالبديع: المرجع السابق، ص8، 9.

(2) أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي: أحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق ودراسة عمران علي أحمد العربي، منشورات جامعة المرقب،(ليبيا، 2005م)، 38/1.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص560.

وكذلك محمد بن يحيى الهاشمي السرقسطي، كان يحفظ صحيح البخاري كله والموطأ، توفى رحمه الله سنة (471هـ/1078م)، وأيضاً محمد بن عقال السرقسطي، يكنى أبا عبدالله، روى عن أبي العباس العذري، وأبي الوليد الباجي، وحج سنة (480هـ/1087م) ولقي جماعة منهم أبو داود إسماعيل الحنفي، وعاد إلى الأندلس، وروى عنه أبو الفضل عياض[1].

واشتهر كذلك سليمان بن حارث بن هارون الفهمي، ويكنى أبا الربيع، وقد رحل إلى المشرق حاجاً، حدث عنه القاضي أبو علي الصدفي، وقال فيه رجل صالح من الأبدال، توفي بالإسكندرية سنة (484هـ/1091م)[2].

ومن أهل الحديث بسرقسطة أيضاً، عبدالعزيز بن محمد بن سعيد ابن معاوية المكنى أبو محمد المعروف بالدروقي، لأنه منها سمع من أبي علي "رياضة المتعلمين" وكان مقدماً من أهل وقته في حفظ الحديث والبصر به، والمعرفة بعلمه والتميز لرجاله، وله مجموعات في معنى ذلك كله، توفى سنة (524هـ/1129م)[3].

كذلك عبد لله بن عيسى الشيباني، وهو من أهل سرقسطة يكنى أبا محمد، وهو محدث حافظ متقن ، كان يحفظ صحيح البخاري، وسنن أبي داوود عن ظهر قلب، وله اتساع في علم اللسان، وحفظ اللغة، وأخذ نفسه باستظهار صحيح مسلم، توفي ببلنسية سنة (530هـ/1135م)[4].

ومنهم أيضاً أبو عامر بن المستعين بالله أبي جعفر أحمد المؤتمن أبي عمر، يكنى أيضاً أبا عامر، يوسف المقتدر بالله أبي جعفر أحمد المستعين بالله أبي أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي السرقسطي ذو الوزارتين، سمع من أبي علي كثيراً وصحبه ورواي

7+12 Tc (1-0.12 Tc (') TE3 15
'P*Tc (l) Tj 0.040.06 Tc03 Tc (")
-h9D .0 15 Tf j -324
0.1086.3Tc2(I)(,8fTj20 Tc5(+)f4

ومما سبق ذكره يتبين أن علماء سرقسطة قد ساهموا بدور كبير في معرفة علـــم الحديث وتفسيره، واعتمدوا بذلك على كتب الصحاح، وموطأ مالك بن أنس، وحرصوا على سمعه من أهله.

ج- علم التفسير:

وقد اهتم المسلمون أيضاً بتفسير القرآن الكريم، وفهم معانيه وشرح كلماتهُ مـــن الناحية اللفظية اللغوية، وناحية المعاني والأفكار، وكان معظم اعتمادهم فـــي التفســـير على الحديث النبوي الشريف قولاً وعملاً، وهدفهم التوفيـــق بينـــه وبـــين أي الكتـــاب المنزل[1] لقوله[*] تعالى: "وَمَا أرسلنَا مِنْ رَّسُول إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَينَ لَهُمْ فَيضُـــلُّ الله مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِي مَنْ يَّشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم"، وقوله عز وجل[**]: "فَإِذَا قَرَأنهُ فَـــاتَّبِعُ قُرْءَانهُ ثم إِنَّ عَلَيْنَا بَيَأنهُ"(18) (صدق الله العظيم).

ومن أهل الحديث في مملكة سرقسطة، يوسف بن محمد السرقسطي، يكنى أبـــو الحجاج، كان قارئاً لكتب الحديث محسناً، توفى بعد سنة (470هـــــ/1077م) وكـــذلك سالم بن إبراهيم بن عبدالرحمن الصدفي، من أهل سرقسطة سمع من أبي علي وأكثـــر عنه، وكان أحد الملازمين مجلسه للحديث ومسائل الرأي وله رواية عن ابن محمد بن فورتش وأبي زيد بن الوراق، وعنى بالفقه والوثائق وكان حسن الخط، استوطن مدينة فاس، ثم رحل إلى المشرق، توفى بديار مصر يوم الأربعاء في السادس عشر من شهر محرم سنة (514هــ/1120م)[2].

د- علم الفقـــه:

عرف طاش كبرى زادة علم الفقه: "بأنه يتعرف منـــه علـــى اســـتنباط الاحكـــام

---

(1) آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله إلى العربية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2006م)، ص459.

(*) سورة إبراهيم، الآية 4، 5.

(**) سورة القيامة، الآية 17، 18.

(2) ابن الأبار: المعجم، ص320.

الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية"[1]، فالفقه الإسلامي إذن: هو التعمق في فهم الدين الإسلامي والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية من مصـــادرها الرئيســـية المتمثلة في القرآن والسنة[2].

هذا وقد اعتمد أهل المغرب والأندلس في أصولهم الفقهية على مذهب الإمام مالك بن أنس، وفي ذلك يقول المقرئ: "لا مذهب لهم إلا مذهب مالك"[3] حيث قلـــدوه دون غيره، وذلك أن جل رحلتهم كانت للحجاز وإلى المدينة النبوية فاقتصروا بـــذلك علـــى الأخذ من علماء المدينة، وإمامها ابن أنس، وتلاميذه من بعده، كما ســـاعدت طبيعـــة البداوة لدى الحجازيين على جذب كثير من أهل المغرب والأندلس إليها، وذلك لســـمة البداوة الغالبة عليهم، فاتجهت بذلك ميولهم في الترحال نحو الحجاز[4]، فكانوا يجـــدون كل ما يشتهون ثم يعودون حاملين معهم عادات المشرق الإسلامي ومذاهبه وروعتـــه وكتبه وعلمه[5].

هذا وقد ظهر في مملكة سرقسطة العديد من الفقهاء، الذين شهد لهم بالتبحر فـــي علم الفقه منهم على سبيل المثال لا الحصر إبراهيم بن جعفر الزهري، يعـــرف ابـــن الأشيري، وهو من أهل سرقسطة، ولد بها سنة (371هـ/981م)، كان فقيهـــاً عالمـــاً، حافظاً، كانت له رحلة إلى المشرق، وتوفى رحمه الله سنة (435هـ/1043م)[6].

ومنهم كذلك، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيـــوب الفهـــري الطرطوشي الأندلسي الفقيه المالكي، أصله من مدينة "طرطوشة" بالأندلس وإليها نسب،

---

(1) طاش كبرى زادة: المصدر السابق، 183/2.

(2) بشير التليسي وجمال الذويب:المرجع السابق، ص266.

(3) المقرئ: نفح الطيب، 206/1.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص285.

(5) صلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، (بيروت، د.ت)، ص19.

(6) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص116.

ويعرف بابن أبي رندقة[1] ولد سنة (451هـ/1059م) تقريباً ونشأ ببلدة طرطوشة وبها درس الفرائض، ثم انتقل إلى إشبيلية وبها درس الأدب على أبي محمد بن حزم الظاهري، ثم انتقل إلى مدينة سرقسطة وبها درس على الباجي مسائل الخلاف، وكان يميل لها، سمع منه الحديث وأجاز له. رحل إلى المشرق سنة (476هـ/1083م) ومن تأليفه "مختصر تفسير الثعالبي"، والكتاب الكبير في مسائل الخلاف، وكتاب في تحريم جبن الروم، وكتاب بدع الأمور ومحدثاتها، توفى بالإسكندرية في شهر شعبان وقيل في جمادي الأول سنة (520هـ/1126م) وصلى عليه ولده محمد، ودفن رحمه الله تعالى بالإسكندرية[2].

ومن أهل الفقه أيضاً محمد بن عبدالله بن شبرين القاضي، وهو فقيه محدث توفى سنة (503هـ/1110م)، وهي السنة التي قتل فيها المستعين بن هود[3]، ومنهم أيضاً الكميت بن الحسن، يكنى أبا بكر، سكن سرقسطة، وهو فقيه مالكي، وكان أيضاً من شعراء عماد الدولة أبي جعفر بن المستعين بالله أبي أيوب بن هود، قال الحميدي: "لقيته وقرأت كثيراً، ولم يذكر وفاته"[4]، ومنهم أيضاً، عبدالله بن محمد بن ذري التجيبي الركلي، وهو فقيه فاضل محدث، روى عنه أبو عبدالله بن سعادة بالإجازة، توفى رحمه الله سنة (513هـ/1119م)[5].

هـ- علم النحو واللغة العربية:

1- علم النحو:

هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب، فيما بين الكلام، لتأدية أصل المعنى مطلقاً

---

(1) صلاح الدين خليل بن أيبك الصدفي: الوافي بالوفيات، اعتنى به محمد بن محمود وإبراهيم بن سليمان، دار صادر، (بيروت، 1970م)، 175/5.

(2) المقرئ: أزهار الرياض، 163/3.

(3) الضبي: المصدر السابق، ص94.

(4) أبو العباس أحمد بن محمد المكناس الشهير بالقاضي: ذيل وفيات الأعيان: المسمى "درة الحجال في أسماء الرجال" تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، (القاهرة، 1970م)، 282/1.

(5) ابن الأبار: المعجم، ص453.

بمقيياس مستنبطة من أستقراء، كلام العرب بقوانين مبنية عليها، ليحتز بها عن الخطأ في التركيب من حيث الكيفية، وذلك بتقديم الكلام على بعض ورعاية التركيب[1].

ولقد أعطى المسلمون في الأندلس أهمية كبرى لدراسات النحو، ولـم يقنعـوا إلا بدراسة المؤلفات الأساسية، وكان العالم منهم الذي لا يتعمق في النحو، حتـى أعمـق أعماقه، ويتفهم كل شواذه وغرائبه، لا يحظى باحترام كبير، ومن أراد أن يسـلم مـن المزالق والسقطات، فلابد أن يدرس كتب المتخصصين المشارقة الضـخمة، وخاصـة كتاب سيبويه، الذي كان موضع للإعجاب الكبير[2].

هذا وقد حظيت مملكة سرقسطة بعدد من اللغويين والنحويين الذين ساهموا بإثراء الحياة الفكرية لهذه المملكة، منهم على سبيل المثال:

يوسف بن موسى الكلبي الضرير، من أهل سرقسطة، يكنى أبا الحجـاج، كـان نحوياً أصولياً إماماً، أخذ عن أبي بكر المرادي، وله تصانيف حسان، انتقل إلى العدوة، وتوفى بها في سنة (520هـ/1126م)[3]،ومن النحويين أيضاً محمد بن حكم بن محمد بن أحمد أبو جعفر السرقسطي النحوي، روى عن أبو الوليد الباجي، قال عنـه ابـن الأبار: "كان ذا حظ من علم الكلام، وحسن الأخلاق، قوالاً للحـق، تـوفى رحمـه الله بمدينة تلمسان، سنة 530هـ/1135م[4].

ومنهم أيضاً أبو زيد عبدالرحمن ابن محمد بن حيان الأنصاري المقرئ، من أهل سرقسطة كان مقرئاً، ماهراً، نحوياً، حافظاً[5].

---

(1) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي: مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، (القاهرة، 1937م)، ص 37.

(2) محمد عبدالحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1982م)، ص317.

(3) الضبي: المصدر السابق، 2/ ص457.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص476.

(5) شكيب أرسلان: المرجع السابق، 180/2.

2- علوم اللغة العربية.

ويقصد بها علوم اللسان العربي وتعد معرفتها ضرورية لأهل الشريعة، لان الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب لذلك لبدا من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان، لمن أرادا علم الشريعة، وتتفاوت أهمية هذه الأركان بحسب مقصود الكلام، فيأتي النحو في مقدمة هذه الأركان، لان الإخلال به إخلال باللغة[1].

وقد كان الناس أول الأمر يدرسون اللغة في الأندلس عن طريق قراءة النصوص الأدبية والكتب دون استعمال كتب خاصة في النحو، ثم بدأ تصنيف المعاجم يتطور في الأندلس جنباً إلى جنب مع دراسات النحو، وكانت طلائع مؤلفات الأندلسيين في هـذا الباب مختصرات لمعاجم مشرقية[2]، مثل كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ/786م)، الذي صار مرجعاً لكل كتب اللغة[3]، وأيضاً لاقت كتب أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (379هـ/989م)، مؤدب الخليفة هشام المؤيد في صغره، إقبالاً لدى الأندلسيين، وكانت مؤلفاته في علوم اللغة العربية، حيث كان يحث الأندلسيين على الاهتمام باللغة العربية الفصحى، ونبذ الألفاظ العامية[4].

وقد زخرت مملكة سرقسطة بالعديد من اللغويين الذين كانت لهم مساهمة طيبة في الإرتقاء بهذه اللغة، منهم على سبيل المثال، إبراهيم بن دخيل المقرئ، وهو من أهل وشقة، سكن سرقسطة، يكنى أبا إسحاق، أقرأ القرآن بجامع سرقسطة، وعلم العربية، كان رجلاً فاضلاً، جيد التعليم، حسن الفهم، توفى بسرقسطة سنة (470هـ/1077م)[5].

ومحمد بن يوسف بن عبدالله أبو الطاهر التميمي، السرقسطي، نزل قرطبة، سمع كثيراً من أبي علي الصدفي، قال عنه ابن بشكوال: "كان مقدماً في اللغة العربية شاعراً

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص585.

(2) آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص221، 225.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص585، 586.

(4) آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص340.

(5) ابن بشكوال: المصدر السابق، 117/1.

محسناً، توفى رحمه الله في جمادي الأولى سنة (500هـ/1107م)[1].

ومن اللغويين أيضاً غريب بن عبدالرحمن القيسي، من أهل سرقسطة، روى عن أبي علي، هو وابنه أبو الوليد محمد بن غريب، وكان من أهل العربية والآداب، وحسن الوراقة، استقر بمرسية، وتوفى بها سنة (512هـ/1118م)[2]، ومن أهل اللغة العربية أيضاً، محمد بن يوسف بن عبدالله التميمي، وهو من أهل سرقسطة، سمع من أبي علي الصدفي كثيراً، وكان مقدماً في اللغة العربية، شاعراً محسناً، وله مقامات من تأليفه، أخذت عنه واستحسنت، توفى رحمه الله بقرطبة في جمادي الأول سنة (538هـ/1143م)[3].

و- الشعر والموشحات:

أحب الأندلسيون الشعر في صدق وحرارة بلغت بعضهم حد العشق، حتى قال أحدهما: شيئان يقهراني ولا املك نفسي عندهما النظر إلى الوجه الحسن، وسماع الشعر المطبوع[4]. وقد أكد ذلك المقرئ بقوله: "الأندلس عراق المغرب، عزة انساب، ورقة أدب، واشتغالاً بفنون العلوم، وامتناناً في المنثور والمنظوم، لم تضق لهم في ذلك ساحة، ولا قصرت عنهم راحة، فلما مر فيها من مصر إلا وفيه نجوم وبدور وشموس، وهم أشعر الناس فما أكثره الله تعالى في بلادهم، وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والطيور والكؤوس، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن"[5]، وقد كان الشعر مكرماً في المدن التي أصبحت عواصم لملوك الطوائف ومن بينها سرقسطة، والتي حكمها بني هود وهم أسرة مستنيرة رعى ملوكها الآداب، وحموا الفنون، وأرسوا بسرقسطة،

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، 485/2، 486.

(2) ابن الآبار: المعجم، ص312.

(3) أبن بشكوال: المصدر السابق، 424/2.

(4) سعيد إسماعيل شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر "عصر ملوك الطوائف"، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1978م)، ص443.

(5) المقرئ: نفح الطيب، 359/4، 360.

أسس حضارة زاهرة[1]، وهذا الازدهار الأدبي يخالف الرأي، الذي قاله د. سعيد إسماعيل شلبي في كتابه "البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر"، عصر ملوك الطوائف بقوله: "أنه كانت السيادة في سرقسطة للعلم لا للأدب، فاتجه المفكرون إلى الفلسفة والرياضة والفلك، وهي العلوم التي عرف بها بنو هود، ولهذا قل الشعراء وكثر العلماء[2]، حيث حظيت سرقسطة بالعديد من الشعراء، الفحول الذين ساهموا مساهمة فعالة في الإرتقاء بالشعر العربي الأندلسي وإثرائه، ومن أبرز الإغراض الشعرية التي طرقها الشعراء ما يلي:

1- الغَزَل:

اشتهُرت بلاد الأندلس بالغزل، وهو ذلك الفن الذي عرف متصلاً بالمرأة، ولم يكن من الذيوع والانتشار مثلما كان في عصر ملوك الطوائف بالأندلس[3].

وفي مملكة سرقسطة، حكى أن الوزير الكاتب، أبا الفضل بن حسداي الإسلامي، وهو من رجال الذخيرة، عشق جارية ذهبت بلبه، وغلبت على عقله، فجن جنونه بها، وخلع عليها دينه، وعلم بذلك صاحبها، فزفها إليه، حتى ظن الناس أن إسلامه من أجلها، فحسن ذكره، وخفى على كثير من الناس أمره ومن غزله قوله[4]:

وأطْرَبنَا غَيّم يمازحُ شمْسَــه ∴ فيُستُر طوراً بالسحاب ويُكْشَفُ

تَرىَ قُزحَاً في الجّو يفتُح قَوسُه ∴ مُكَّباً على قُطْب من الثَّلجْ يُنْدَفُ

هذا ومن الشعراء الذين تغزلوا بالشيب وفقد الشباب، عبدالرحمن بن شاطر، يكنى أبا زيد، وهو من أهل سرقسطة، وقد كان ذو فضل وأدب وشعر، ومن شعره ما أنشده القاضي أبو علي بن سكره، قال: أنشدنا أبو زيد لنفسه بقوله[5]:

---

(1) المقرئ: نفح الطيب، 166/2.

(2) سعيد إسماعيل شلبي: المرجع السابق، ص352.

(3) سعيد إسماعيل شلبي: المرجع نفسه، ص443.

(4) المقرئ: نفح الطيب، 359/4، 360.

(5) ابن بشكوال: المصدر السابق، 359/1.

تنبه ويليك من رقدة الصبــــــــــى ∴ فقد دب صبح الشيب غسق الشعر

فقلت لها كفى عن العتب واعلــمي ∴ بأنَّ ألذ النوم اغفَاة الفجــــــــــر

ومن الشعراء الذين تغزلوا بالشباب أيضاً، أبو الطاهر يوسف بن الأشكركي، وهو إمام في علم اللغة، وكان له جاه، ومكان عند ملوك بني هود، ومن شعره قوله[1]:

يَا غُصُناً هَزه نـــــــداهُ ∴ يمنعهُ الحِلمُ أن يميــداً

لَمْ يَثْنِ منك الشباب عْطفاً ∴ وَلا استمال الفخار جيداً

إن تلقهُ فَالأنَام طـــــــرا ∴ وإن غد بينهم وحيــداً

يَهز منه القرِيض عطفــاً ∴ والمديح يثني إليه جيداً

ومن شعر الغزل أيضاً ما أنشده الشاعر يحيى السرقسطي، وقد كان موهوباً بقوله الشعر، ثم تركه وعاد إلى القصابة، فعلم بذلك المقتدر بن هود، فأمر ابن هود وزيــره ابن حسداى، أن يوبخه على ذلك، فكتب إليه أبياتاً من الشعر جاء فيها[2]:

تَركت الشعر من ضعف الإصَّابة ∴ وعدت إلى الدناءة والقصابــــة

فرد عليه يحيى الجزار ساخراً متهكماً، وكشف في بعض أبياتهُ سر هذا التحــول فقال:

تعيب علي مألوف القصْابة ∴ وَمَنْ لَمْ يَدْر قَدْرُ الشيء عَابْه

ولو أحْكَمْتَ منها بعض فِّن ∴ لَمَا استَبدلت منهَا بالحِجَابــه

ولو تدري بها كلف ووجدي ∴ علمت علام احتمل الصَّبابهْ

وإنك لو طلعت على يوماً ∴ وحولي من بني كلب عصابــة

لها لك ما رأيت وقلت هذا ∴ هذبر حيز الأوضاع غابــه

وكم شهدت لنا كلب وهــر ∴ بأن المجد قد حزنا بتابــــة

فتكنا في بني العنزي فتكاً ∴ اَقَرَ الْذعر فيهم والمهابـــــة

ومن يفتر منهم بامتنـــاع ∴ فَإنَ إلى صوار من إيابـــــه

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، 448/2.

(2) المقرئ: نفح الطيب، 229/5.

ويبرز واحد من الألــف ∴ فيغلبهم وتلك من الغرابـــة

وختمها بقوله[1]:

وحقك ما تركت الشعر حتى ∴ رأيت البخل قد أمضى شهابه

2- شعر الحنين:

الحنين إلى الأوطان والأهل والأحباب من رقة القلب وعلامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الأصل وتمام العقل[2]، والحنين إلى الماضي هو الحديث عن الحيــاة الجميلة التي عاشها الشعراء، ونعموا فيها بالسعادة، وسرعان ما تبدلت إلى حياة أخرى نقيضة للحياة الأولى لا يوجد فيها إلا الشقاء، فمن الأستقرار إلى الاضـــطراب، ومـــن الراحة إلى القلق، ومن الشباب إلى الشيخوخة، فعبر الشعراء عن ذلك بشعرهم، ومنهم الشاعر الأمير عبدالله بن هود الذي أخرجه بنو عمه منها، حيث ظل متجولاً ضائعاً من بلاد إلى آخر، في شمال أسبانيا، حيث ذهب إلى طليطلة، ثم انتهى به المطاف أخيــراً في بطليوس، وقد أشاد المتوكل ابن الأفطس، أميرها بذكائه وحكمته، وعينه حاكماً على لشبونه[3] ومن شعره في الحنين قوله[4]:

إِنْ بنْتُ عَنْ سرقَسَطَـــــةَ ∴ فَبُرغْم أَنفْي لا اخْتَيِارِي

مَا جَاَل طْرفي في الَّســماَ ∴ وَقَدْ نَأتَ عَنْها دِيَـارِي

إلا وَخْلِتُ قصُوَرهَـــــا ∴ بِرَياضَهِا هذه الــــدَّاري

ومن الشعراء الذين تغنوا بشعر الحنين إلى الأهل والإخوة، أيضاً الكاتــب أبــو عمرو بن جعفر الباجي، وهو شاعر وأديب له مكانتهُ[5]، وهو أيضاً فقيه جليل القــدر، رحل إلى المشرق حاجاً، ثم عاد إلى بلاده، فجل قدره عند احمد المقتدر بن هود، ملك

---

(1)المقرئ: نفح الطيب، 229/5.

(2) عبدالعزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1976م)، ص269.

(3) محمد سعيد محمد: دراسات في الأدب الأندلسي، منشورات جامعة سبها، (ليبيا، 2001م)، ص117.

(4) سعيد إسماعيل شلبي: المرجع السابق، ص352.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، 440/2.

سرقسطة، ومن شعره قصيدة مدح وحنين يخاطب به إخوأنه بقوله[1]:

سَلام على صفحَات الكَــرم ∴ على الغررِ الفارجات الغمم
فَلا أنس إلا أنس ذلك الحيَا ∴ وتلك المعالي وَتلك الشيــم
ودُنِيا بكم طلقة المجتلـــــى ∴ وَدهراً بكم وَاضح المبتسم
وسَاعَات أُنس تَجُول النفُوس ∴ لديهَا مجَال حمَام الحــرم
وانشر من فضلكم ما علمت ∴ على أنهُ ظافر العلــــــم[2].

3- شعر الهجاء:

حيث لم يخل الشعر الأندلسي من الهجاء، فقد اقتدى الأندلسيون أثر المشارقة في هذا الفن، مع الاختلاف فيما بينهم من حيث طول الهجــاء وقصـــره، فالهجـــاء عنــد المشارقة تكثر فيه القصائد الطوال، وتقل فيه المقطعات، وهذا على عكس ما يلحظــه الدارس في هجاء الأندلسيون، حيث تكثر فيه المقطعات، وتكاد تنعدم الطوال[3]. ومــن أشهر الشعراء الذين اشتهُروا بالهجاء في عهد بني هود الأمير أبو محمد عبــدالله بــن هود، والذي سبق لي وأن ذكرته[*] في شعر الحنين، حيث أنشد أبياتاً من الشعر، يهجو فيها بني هود أبناء عمه أمراء سرقسطة، ومما جاء فيها[3]:

ضللتم جميعاً آل هود عَنْ الهدى ∴ وضيعتم الرأي الموفق أجمعــــاً
وشنتم يمين الملك فقطعتــــــم ∴ بأيديكم منها وبالغدر أصبعــــاً
وَمَا أن إلا الشمس عند عياهــب ∴ حجت فأبت لي أن انبرو أسطعا
فَلا تقطعُوا الأسباب بيني وبينكم ∴ فأنفكم وإن كان أجدعــــــــاً

ومن شعر الهجاء أيضاً ما أنشده الشاعر السرقسطي أبو بكر بن يحيى الجــزار والتي يوصي فيها المرء بالتزامه وكف لسأنه عن القيل والقال، والتي جاءت في صورة

---

(1) أبن خاقان: قلائد العقيان، ص102.
(2) ابن سعيد: المصدر السابق، 405/2.
(3) عبدالعزيز عتيق: المرجع السابق، ص240.
(*) ينظر ص (179)، من هذه الرسالة.

حكمة جاء فيها[1]:

إياك من زلل اللسان فَإنمـــــــا ∴ عقل الفتى في لفظهُ المسَّموعَ

والمُرء يختبر الأناءَ بنقرهُ ليرى ∴ الصَّيع من المصـــــــــــدوعَ

وقال أيضاً الشاعر أبو القاسم بن الأنقر السرقسطي، أبياتاً من الشعر جاءت في صورة شعر توصية منها[2]:

احْفَظْ لسَانَك والجوارح كلهـــــا ∴ فلكل جارحة عليك لسَّـــــان

واخزنْ لسانك ما استطعت فإنهُ ∴ ليث هصول والكلام سِنْـــان

وقد أنشد أيضاً أبو الأصبغ عيسى بن أبي درهم، بعد أن ولاه المستعين بن هـــود قضاء مدينة وشقة، فقد كان مكرهاً لهذا المنصب، أبياتاً من الشعر يهجـــو فيهـــا هـــذا الرفض بقوله[3]:

دُفِعّتُ إلي ما لم أرده كراهة ∴ ولو أنني ابْغيه ما نَاله جَهـــــــــدي

فَتَعلم أن الدهر ليس أمـــوره ∴ تَسِيُر على عرف وتنزع في قصدي

4- شعر المديــح:

اشتهر الأندلسيون أيضاً بالمديح وبخاصة في الإشادة بالبطولات الحربية، حيــث خلد شعر الجهاد أولئك القادة الذين تصدوا للنصارى، ووجهوا حملات إلـــى الثغـــور الإسلامية المصاقبة لبلاد العدو، فتغنى الشعراء ببطولاتهم وأمجادهم التـــي حققوهـــا، وأشادوا بتلك الانتصارات الخالدة[4]. ومن أبرز الشعراء الذين تغنوا بانتصار الزلالقة أحمد بن عبدالله القيسي التطيلي، وهو شاعر محسن بليغ[5] ينتسب إلـــى قبيلـــة قـــيس

---

(1) المقرئ: نفح الطيب، 137/5.

(2) المقرئ: المصدر نفسه، 137/5.

(3) المقرئ: المصدر نفسه، 258/5.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، 460/2.

(5) محمد سعيد محمد: المرجع السابق، ص85.

(5) الضبي: المصدر السابق، ص174.

العربية، وكان ضريراً، لذلك اشتهر بلقب الأعمى، وعرف بالتطيلي، نسبة إلى مدينـــة تطيلة، وهي من أعمال مملكة سرقسطة، توفى رحمه الله سنة (535هـ/1140م) وقيل سنة (529هـ/1134م)[1].

ومن شعره قصيدة يمدح بها علي بن يوسف بن تاشفين وجيشه جاء فيها[2]:

طليعة جيشك الروحُ الأمين ∴ وظِلِ لوائكَ الفَتْحُ المُبيُـــن

وهزّه رمحِك الظفر المواتي ∴ ورَوَنَقُ سَيْفكَ الحَق اليقين

وَبَعْضُ رِضَاكِ للآجال دنيـــا ∴ وشكر نداك للآمال ديـــن

5- شعر الزهــد:

انتشرت موجة الزهد في الأندلس انتشاراً ملحوظاً، نتيجة لعــدة عوامــل منهــا الأضطراب السياسي والصراع القبلي اللذان ظلت تعاني منهما البلاد ردحاً طويلاً من الزمن، ففي هذا الجو المضطرب سياسياً واجتماعياً، صار شعراء الزهد تبعــاً لــذلك يعيشون في جو روحاني صوفي فيه نفور من الدنيا، ورفض زخارفها، وإحساس عميق بما بعدها عن خبايا النفوس، وقد صار شعراء الزهد في الأندلس لا يفكرون في أمــر من أمور الدنيا، والتي يرون أنه يشغلهم عن التفكير في الله وعبادتــهُ والتقــرب إليــه وابتغاء رضوأنه ورحمته، وذلك بمجاهدة النفس وترويضها على التقوى والصلاح[3].

ومن أشهر الزهاد في مملكة سرقسطة أبو بكر الطرطوشي، وقد كــان شــاعراً زاهداً، عابداً، متورعاً، منعزلاً، ومن شعره في التزهد في الحياة الدنيا قوله[4]:

إن لله عباداً فطنـــــاً ∴ طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا ∴ أنهُا ليست لحي وطنـــــا

---

(1) أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة: ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار الثقافة، (بيروت، 1963م)، ص13.

(2) الضبي: المصدر السابق، 175.

(3) علي محمد سلامة: الأدب العربي في الأندلس، "تطوره موضوعاتهُ وأشهر أعلامه"، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، 1989م)، ص222.

(4) المقرئ: أزهار الرياض، 164/3.

جعلوها لجة واتخذوا ∴ صالح الأعمال فيها سُفنا[1]

ومن الذين اشتهروا بالزهد أيضاً، أبو بكر التطيلي، وهو من مدينة تطيلة، ســكن غرناطة، وصار من أعيأنها وذوي النباهة فيها، وقد كان شاعراً إلا أنه في آخر أيامه، قد تزهد عن قول الشعر، وقد كتب له أحد الشعراء قصيدة منها قوله[2]:

لأبي بكر التطيلي بر ∴ يتبع الإخوان شرقاً وغرباً

فأجابه بقصيدة منها[3]:

يا أبا عبد إله المفـــــــدي ∴ من جميع الناس عُجمْاً وعُرْباً

ثمرات الإنس ترتاد عنــدي ∴ وهي من روضك تجلى وتجنى

قد بلوت الناس شرقاً وغرباً ∴ ودعوت الصبر حزناً فلبـــــى

فالزام حالك صبــراً وإلا ∴ روت بالعجز إلى الخطب خَطْبا

وقد اشتهر أيضاً أبو الوليد الباجي بشعر الزهد، ومن شعره الزهدي والذي يشبه به حياته وقرب نهاية أجله في الدنيا بقوله[4]:

إلهي قد أفنيت عمري بطالـــة∴ لم يثني عنها وعيد ولا وعــــــــــد

وضيعتهُ ستين عاماً أعداهـــا ∴ وما خير عمر إنما خيره العـــــــد

وقدمت إخواني وأهلي فأصبحوا∴تضمهم أرضا ويسترهم لحـــــــــد

وجاء نذير الشيب لو كنت سامعاً∴ لوعظ نذير ليس من سمعه بـــــــد

تلبست بالدنيا فلما تنكــــــــرت∴تمنت زاهداً حين لا يمتد الزهـــــد

وتابعت نفسي في هواها وغيهـا ∴وأعرضت عن رشدي وقد أمكن الجهد

ولم آت ما قدمتهُ عن جهالـــة ∴ يمكنني عذر ولا يدفع الجحــــــــد

وها أنا من ورد الحمام على مدى∴أراقب أن أمضي إليه وأن أعـــدد

ولم يبقى إلا ساعة إن أضفتهُـــا∴فمالي في التوفيق نقد ولا وعــــد

---

(1) المقرئ: نفح الطيب، 164/3.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، 450/2.

(3) ابن سعيد: المصدر نفسه، 450/2.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، 122/3.

6- شعر الرثـــاء:

يعد الرثاء أيضاً من فنون الشعر التقليدية التي احتذى فيهـــا شـــعراء الأنـــدلس أجدادهم المشارقة، وهذا الفن يكون معبراً عن توهج العاطفة وحرارة الأسى، إن كـــان المصاب ابناً، أو أخاً، أو أماً، أو زوجة، أو صديقاً[1]، ومن أشهر تلك المرثيات مرثية للفقيه الباجي عند وفاة أمه وأخاه، رحمهما الله تعالى يقول فيها[2]:

رعى الله قبرين اسْتَكَانَا بِبَلْــــدَة ∴ هُمَا اسْكنَاهَا فِي السَوَاد مِنَ القلـــــــــب
لئن غيب عنْ نَاظري وتبـــــوءا ∴ فؤادي لقد زاد التبَاعد فِي القـــــــــرب
يقر بعيني أن أزور رباهمــــــــا ∴ والزق مكنون الترَائب بالتـــــــــــــرب
وأبكي، وأبكي ساكنيها لعلنـــــــي ∴ سأنجد من صحب وأسعد من سحـــــب
فما ساعدت ورق الحمام آخا اسى ∴ ولا روحت ريح الصبا عن أخي كــــرب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى ∴ ولا ظمئت نفسي إلى البارد العـــــــذب
أحن ويثني اليأس نفسي عن الأسى ∴كما اضطر محمول على المركب الصعب

ومن أشهر شعر الرثاء أيضاً، رثاء الأوطان، فقد كان شـــعراء الأنـــدلس كبقيـــة مسلميها يشاهدون تساقط قواعدهم ومدائنهم تباعاً في يد النصارى، كما يشاهدون محو معالمها الإسلامية وطرد أهلها منها، والافتتان في صور تعـــذيبهم، فيســـتولى علـــيهم الأسى، والذهول ولا يملكون إلا أن يحاوروا بشعر الاستغاثة يخـــاطبون بـــه قلـــوب المسلمين عامة، فيستجاب لصريخهم حيناً، وتصم الآذان عنهم أحياناً، إمـــا لانشـــغال هؤلاء الملوك بأحداث وهموم بلادهم، وإما ليأسهم من أهل الأندلس أنفسهم[3].

فعندما بدأت حرب الاسترداد وسقطت بعض المدن الأندلسية في أيدي النصارى، عند ذلك أخذ شعر الجهاد منحى آخر وهو الدعوة إلى الوحدة، وتصوير حالـــة المـــدن التي سقطت والتحول الذي طرأ عليها، والاستصراخ والاستنجاد بالمسلمين من داخـــل الأندلس ومن خارجها، بعد أن عجز الأندلسيون عن الدفاع عن بلدأنهم وأصبحت كفّـــة

---

(1) علي محمد سلامة: المرجع السابق، ص213.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص121/3.

(3) علي محمد سلامة: المرجع السابق، ص172.

أعدائهم هي الراجحة وقد عبرت قصائد رثاء المدن عن ذلك بصدق وأمانة[1].

ومن أشهر تلك المرثيات التي قيلت عند سقوط مدينة بربشتر[*] في عهد المقتدر بن هود عام (456هـ/1064م) في يد النورمان، ومنها مرثية الفقيه الزاهد ابن العسال[**]، الذي جسد تلك الكارثة بقوله[2]:

ولقد رمانا المشركون بأسهم	∴	لم تخط لكن شأنهُا الصماء
هتكوا بخيلهم قصورهم فلهم بها	∴	في كل يوم غارة شعراء
باتت قلوب المسلمين برعبهم	∴	فحماتنا في حربهم جبناء
ولكم رضيع فرقوا من أمة	∴	فله إليها ضجة وبغاء
ولرب مولود أبوه مجدل	∴	فوق التراب وفرشة البيداء
ومصونة في خدرها محجوبة	∴	قد أبرزها مالها استخفاء
وعزيز قوم صار في أيديهم فعلية	∴	بعد العزة استحذَّاء
لولا ذنوب المسلمين وأنهُم	∴	ركبوا الكبائر مألهُن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس	∴	أبداً عليهم فالذنوب الداء
فشرارهم لا يختفون بشرهم	∴	وصلاح منتحلي الصلاح رياء

6- الخمريات:

وقد كانت مجالس الغناء في الأندلس لا تخلو عادة من لهو وأكثرها تقام في ربوع طبيعة الأندلس المتنوعة[3]، وقد أكثر الأندلسيون في هذه المجالس من الحديث عن

---

(1) محمد سعيد محمد: المرجع السابق، ص55.

(*) ينظر ص (149، 153) من هذه الرسالة.

(**) هو أبو محمد عبدالله بن فرج بن غزلون اليحصبي المعروف بابن العسال، زاهد طليطلة المشهور بالكرمات وإجابة الدعوات، توفى سنة (487هـ/1094م)، وكان رحمه الله شاعراً وفقيهاً وشيخاً مفسراً، حيثُ اتخذ مجلساً يفسر فيه القرآن = ابن بشكوال: المصدر السابق، 592/1؛ ابن سعيد: المصدر السابق، 21/2.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص40، 41.

(3) عبدالعزيز عتيق: المرجع السابق، ص363.

الخمر وافتننوا في وصفها، ولهم في هذا المجال تشبيهات طريفة[1]. وفي مملكة سرقسطة ثمة نوادر عديدة تحكي عن حياة المقتدر وكان مجلس الذهب مسرحاً لها[2]، حيث لم يخلو مجلسه من الندماء والشعراء حيث ذكر المقرئ أن أبو الفضل بن حسداي، كان في مجلس المقتدر بن هود، ينظر في مجلد، فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل ابن الدباغ، وأراد أن يندر به، فقال له: ما الذي تنظر فيه من الكتب، وكان ذلك بعد إسلامه، يا أبا الفضل، لعله التوارة، فقال: نعم وجلدها، من جلد دبغة من تعلم، فمات خجلاً، وضحك المقتدر[3].

وقد أراد أيضاً الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي، حضور نديم له، فكتب إليه أبياتاً من الشعر يحثه فيها على الإسراع إلى مجلسه جاء فيها[4]:

بالراح والريحان والياسمين ∴ وبكرة الندماء قبل الأذيْن
وبهجة الروض بأندائه ∴ مُقلداً منه بعقد ثمين
ألا أجب سبقاً ندائي إلى الكأس ∴ تبدت لذة الشاربين
هامت بها الأعين من قبل أن ∴ بخيرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شقفا معلنا ∴ فكن لها بله صبحاً مبين

أما عن **الموشحات**: فكلمة موشح منقولة عن قولهم، ثوب موشح، وذلك لوشى يكون فيه، وهي في الأصل العربي من حلى النساء[5] فالتوشيح لون من ألوان النظم ظهر أول ما ظهر في الأندلس في عهد الدولة المروانية في القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادي، ويختلف عن غيره من ألوان النظم بالتزامه قواعد معينة من حيث القافية، وبخروجه أحياناً على الأعاريض الخليلة وبخلوه أحياناً من الوزن الشعري،

(1) سعيد إسماعيل شلبي: المرجع السابق، ص352.
(2) هنري بيرس: المرجع السابق، ص138.
(3) المقرئ: نفح الطيب، 359/4، 360.
(4) المقرئ: المصدر نفسه: 359/4، 360.
(5) عبدالعزيز عتيق: المرجع السابق، ص341.

وباستعماله اللغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه، وباتصاله الوثيق بالفن[1].حيــث ذكر ابن خلدون أن مخترع الموشحات في الأندلس، هو مقدم بن معافى الفريري، وعنه أخذها ابن عبدربه، صاحب كتاب العقد الفريد، وهو من شعراء الأميــر عبــدالله بــن محمد[2]. وكان أهل الأندلس قبل ذلك يغنون القصائد الشعرية، وظل الأمر كذلك حتى ظهرت الموشحات الأندلسية، فأخذوا يغنوها مع نغمات الموسيقى، حيث ما أطل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، حتى دخل الموشح طور تكامله[3]، ومن أبرز تلك الموشحات تلك الموشحة التي كتبها الكاتب أبي بكر بن مالك السرقســطي والتــي جاء فيها[4]:

ماذا حَّملوا فؤادي الشجى يوم ودّعوا ∴ مالي بالنو بداً تستـــــطاعُ
ونار الجوى يدعكها الوداعُ وســـرَّ ∴ الهَّوى بدموع يــــُــــذَاعُ
بالحِّب تُهمِلُ عُيوُناً وتَلْتَاعُ أضلـــعُ ∴ هل يرجى إيابْ لأحد الحبائبْ
إِذا غصُنُ الشبابْ مطول الجوانْب ∴ ووصلُ الكعابْ مبذولَ لطالـــبْ
فلا تبخُل بالوصـــــــــــلِ ∴ ولا الحبُ يقنِــــــــــــعُ
لا أسْلوُ ولا أصفى للأحى بـــــل ∴ أصبُو إلى هضَيم الوشــــــاح
يجُيل الطلاً ما بين الأقاح فلـــو ∴ يعدل لما أبـــــــــــــــتْ
أظمأُ وينقعوا كم ذا تهَجـــــــعُ ∴ وجَفنيْ ساهـــــــــــــــرْ
بدر يطلع في الصبح للناظـــــرْ ∴ وله برُقع منُ سودُ الضفائـــــــرْ
أُسْيمَرْ حُلوُ بياضْ كل عاشــــْق ∴ يبيت معهــــــــــــــــا.

ومن أشهر الموشحين في عهد بني هود أيضاً الأعمى التطيلي، والذي نال شهرة بموشحته الشهيرة والتي مطلعها:

ضاحك عَنْ جمانْ ∴ سافر عنْ بــــدر

---

(1) مصطفى عوض عبدالكريم: فن التوشيح، قدم له شوقي ضيف، دار الثقافة، (بيروت، 1959م)، ص17.

(2) ابن خلدن: المقدمة، ص627.

(3) ميشال عاصي: المرجع السابق، ص107.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، 2 / 464.

ضاق عَنْهُ الزمانْ ∴ وحَوَاُه صدري [1]
آه مما أجِـــــــدْ ∴ شفني ما أجـــد
قام بي وقعْـــــدْ ∴ باطش متئـــــذ
كلمت قلت قـــدْ ∴ قال لي أين قـدْ
وانثنى غصن بانْ ∴ ذا فنَنَ نَضْـــر
لاعبتهُ يدان للصباْ ∴ والقَطْـــــــر
ليس لي بك بُـــدْ ∴ خذ فؤادي عن يد
لمْ تَدعْ لي جَلَـــدْ ∴ غير أني أجْهـد
مكرم من شُهُـــدْ ∴ واشتياقي يَشْهد[2]

علم التاريخ:

عرف ابن خلدون علم التاريخ بأنه "فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم وعلى أخلاقهم والأنبيـاء فـي سـيرهم، والملوك في دولهم، وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلـك فـي أحـوال الـدين والدنيا"[3].

وقد ولع الأندلسيون، كما ولع المشرقيون بتاريخ بلادهم، وملوكهم وحـوادثهم، وتراجم علمائهم وأدبائهم، والراحلين من بلادهم والوافدين عليها، ويبدو أن الاشـتغال بالحديث كان هو الذي أسلم إلى الاشتغال بالتاريخ، فكان المحدثون يجمعون أحاديث من كل نوع، بعضها يتصل بالعبادات والمعاملات، وبعضها يتصـل بسـيرة النبـي (r) والصحابة، فأسلم ذلك أولاً إلى جمع سيرة النبي (r) ثم أسلمهم شيئاً فشيئاً إلى كتابـة التاريخ[4].

وقد أولى عرب الأندلس التاريخ أهمية كبيرة، فقد ألفوا فيه كتبـاً كثيـرة فـي

---

(1) المقرئ: نفح الطيب، 362/4.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، 453/2.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص21.

(4) أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1969م)، 274/3.

التاريخ العام، وتاريخ المدن والتراجم، وأعطوا تاريخ الأندلس أهمية أكبر تتجلى فـــي كثرة ما ألفوا في أحوال بلادهم، وقد باهى ابن حزم بتفوق قومه في هذا الباب، فــذكر أنهُ قلما حضر أبناء مصر من الأمصار الإسلامية بلدهم، بتــأليف دون ســائر الــبلاد كالأندلسيين[1]. ومن ضمن من اهتموا بهذا العلم في عهد بني هود أحمد بن الحسين بن يحيى بن عبدالملك بن يحيى التجيبي، وهو من أهل قرطبة وجاء إلى سرقسطة، يكنـــى أبا عمر، وكان حسن الإيراد للأخبار، فصيح اللسان، ذا نباهة وجلالة، توفى بسرقسطة في شهر رمضان سنة (459هــ/1067م)[2].

وممن اهتم بدراسة التاريخ أيضاً الأديب أبو الحسن علي بن خير التطيلي، وهو من أهل تطيلة، ثم رحل عنها إلى سرقسطة، وكان أحفــظ أهــل عصــره بــالآداب، وأعرفهم بالتواريخ والأنساب، ولقد نال مكانة في عهد المقتدر بن هود، وحــل عنــده محل الواسطة من العقود والعلم[3].

ثانياً: نماذج من العلوم العقلية:

وهي العلوم التي اهتدى إليها الإنسان بعقله، من حيث أنه ذو فكر، ولم تقتصــر هذه العلوم على العرب فقط، بل اشتركت فيها جل الملل في البلاد المفتوحة[4].

وقد ازدهرت في مملكة سرقسطة عدد من العلوم العقلية والتي شملت كل مــن الطب والصيدلة، وعلوم الرياضيات والحساب والهندسة، والفلسفة، وعلــم الموســيقا، وهي على النحو التالي:

أ- الطب والصيدلة:

يعرف ابن خلدون الطب بأنه: "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيــث أنــه

(1) تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص304.

(2) ابن بشكوال:المصدر السابق، 83/1.

(3) أبن سعيد: المصدر السابق، 451/2.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص516.

يمرض ويصح، فيحاول حفظ صحتهُ وعلاج مرضه بالأدوية والأغذية التي تخص كل عضو من أعضاء بدنه، وأسباب تلك الأمراض وما ينشأ عنها[1].

وقد عرف العرب الطب بأنه: "حفظ الصحة موجودة وردها مفقودة"[2]، حيث اهتم الإنسان منذ القدم بالمحافظة على الصحة، حتى ينعم بحياة سعيدة ورغدة، وسعى من أجل ذلك لتحقيق ما توصل إليه عقله عبر مراحل التاريخ المختلفة، فكان يعتمد على السحر والشعوذة، وبعض الطقوس، غير أن هذه الاعتمادات لم تحقق للإنسان الشفاء الذي كان يسعى إليه[3].

حيث ما أن جاء الإسلام حتى زاد اهتمام المسلمين بالطب، إذ جعل الإسلام من هذه المهنة نعمة من نعم الله على الناس، واتخذت وظيفة اشتغل بها كثير من الناس، في ظل دولة الإسلام، من مسلمين وغير مسلمين[4]. فالطب هو علم نظري، وعملي أباحت الشريعة تعلمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض[5].

وقد أشاد القرآن الكريم بالحكمة وجعلها من أعظم الخير والبركة، على الإنسان فقال سبحانهُ وتعالى[*]: "وَلَقَدَ أَتَيْناَ لُقْمَنَ اِلحِكْمَةَ أَن أَشُكر للهِ وَمَنْ يَّشْكرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لَنَفْسهِ"، وقوله تعالى[**]: "وَمَنْ يُّؤْتِ الْحِكمَةَ فَقْد أُوتي خَير كَثِيراً[26]" صدق الله العظيم.

ومن الحكمة التطبب أو الطب، فهو من ضروب الحكمة، حيث أطلق المسلمون على الطبيب اسم الحكيم، ولا يزال هذا الاسم متداولاً بين الناس إلى اليوم، فجعل الإسلام هذه الصناعة نعمة يشكرها من أسبغها الله عليه[1].

وقد كان للحضارة العربية في الأندلس بريق خلب ألباب معاصريها، وخاصة في مجال

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص531.

(2) أحمد شوكت الشطبي: العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، 1970م)، ص102.

(3) بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص292.

(4) علي الشطشاط: تاريخ الجراحة في الطب العربي (من القرن 3-7هـ/9-13م) منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي، 1999م)، 86/1.

(5) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص207.

(*) سورة لقمان، الآية (11).

(**) سورة البقرة، الآية (268).

الطب[2]، وفي ذلك يقول المستشرق الأسباني آنخل بالنثيا: "أن علم الطب قد ازدهر ازدهاراً عظيماً بين مسلمي الأندلس"[3]، فإن التاريخ وإن غفل في كثير من الظروف عن صفحات مشرقة، فهو لن يغفل عن العبقرية العربية في الأندلس قاطبة،[4] ولاسيما في عصر ملوك الطوائف، حيث بدأت العلوم الطبية تشهد تطوراً مدهشاً، وقد برز في مملكة سرقسطة خلال هذه الفترة عدد من الأطباء الذين عاشوا في ظل بني هود الذين لم يبخلوا عليهم بتقديم أي دعم مادي ومعنوي في سبيل النهوض بهذه المهنة، حيث جاءت مصنفاتهم الطبية مبنية على التجربة والمشاهدة. ومن أشهر هؤلاء الأطباء ما يلي:

عمر بن عبدالرحمن بن علي الكرماني القرطبي الأندلسي، يكنى أبا الحكم، وهو أحد الراسخين في علم العدد والهندسة، رحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران[*] من بلاد الجزيرة، وعنى هناك بطلب العلم، ثم رجع إلى الأندلس، واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان

---

(1) إبراهيم الكروي، وعبدالتواب شرف الدين: المرجع السابق، ص293.

(2) إسماعيل سرور: الطب العربي في نظر العلماء والمؤرخين، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان 59، 60، دار النشر العربية، (بيروت، 1983م)، ص34.

(3) آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص517.

(4) عبدالله أنيس الطباع: القطوف اليافعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، دار زيدون، (بيروت، 1986م)، ص227.

(*) تقع في شبه الجزيرة الفراتية داخل الحدود التركية مع حدود بلاد الشام بمسافة ثلاثة أيام من مدينة الرقة = ابن حوقل: المصدر السابق، ص189، 190.

الصفا[*]، ولم يعلم أن أحد أدخلها الأندلس قبله وله عناية بالطب وتجارب فاضلة فيـــه، ونفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبط وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية[1].

قال عنه أبو الفضل بن حسداي: "ومحله في العلوم النظرية المحل الذي يجاري فيه عندنا بالأندلس"[2]، وقد توفى أبو بكـــر الكرمـــاني رحمـــه الله بسرقســـطة ســـنة (458هــ/1066م)، وقد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل[3]، وبذلك أســـهم الكرمـــاني بنصيب كبير في ذلك الازدهار الأدبي العلمي الذي اشتهر به بلاط بني هود[4].

وممن اهتموا بعلم الطب أيضاً، عبدالله بن غلند الأموي أبو الحكم، وهو أيضـــاً طبيب من أهل سرقسطة، سكن ونشأ بإشبيلية، قرأ الطب على أبي مروان عبدالملك بن زهر في سجن مراكش، حيث قرأ عليه كتاب "الاقتصاد في صلاح الأنفس والأجســـاد" وهو من مؤلفات أبي مروان، وكان ابن غلند طبيباً ماهراً، إلى جانب ذلك فقد كان أديباً شاعراً، خرج من سرقسطة مع والده وجده، حيـــث تغلـــب عليهـــا النصـــارى ســـنة (512هــ/1118م)، ثم رحل إلى قرطبة وإلى إشبيلية[5].

ومنهم كذلك عبدالعزيز بن علي بن عبدالعزيز أبو الأصبغ، وهـــو مـــن أهـــل طرطوشة ثغر سرقسطة، فقد كان هو الآخر مشاركاً في علم الطب، إلى جانب ذلك فقد كان فقيهاً أديباً عارفاً بالفرائض والحساب، توجه رسولاً من أهل بلده إلـــى مـــراكش،

(*) إخوان الصفاء: هم جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة الأولى ورتبوه في مقالات عدتهُا إحدى وخمسون مقالة خمسين نوعاً من الحكمة ومقالة حادية وخمسون جامعة لأنواع المقالات وهي مقالات مشوقات، في جميع أجزاء الفلسفة علميها وعمليها وأفردوا لها فهرستا وسموها رسائل إخوان الصفا وكتموا فيها أسمائهم وذلك في بلاد العراق = جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي يوسف القفطي: كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى، (القاهرة، د.ت)، ص82، 84.

(1) القفطي: المصدر السابق، ص163.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص484.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص484.

(4) آنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص509 .محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، "دراسة وتراجم ونصوص"، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1982م)، 60/1.

(5) محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، "دراسة وتراجم ونصوص"، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1982م)، 60/1.

لملاقاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1].

وقد كان لليهود والنصارى مشاركة طيبة بعلم الطب في مملكة بني هود، ومن الشخصيات اليهودية التي شاركت في هذا المجال، يونس بن إسحاق بن بكلارش، وهو طبيب يهودي من أكبر علماء الأندلس في صناعة الطب، وله خبرة واعتناء بالغ بالأدوية المفردة، وندم بصناعة الطب بني هود فقد ألف ابن بكلارش كتاب "المجدولة في الأدوية المفردة"[2]، ولهذا الكتاب اسم آخر وهو "المستعين" نسبة إلى المستعين بالله بن أحمد المؤتمن، ووضع هذا الكتاب على صورة جداول يذكر في كل جدول اسم الدواء وطبيعتهُ ومنافعه وجعل له مقدمة في معرفة أقوى الأدوية وخصائصها، وقد ألف هذا الكتاب بمدينة المرية[3].

ومن الأطباء اليهود أيضاً منجم الفوال، وهو من سكان سرقسطة، كان أيضاً هو الآخر متقدماً في صناعة الطب[4]، ومن الأطباء أيضاً، مروان بن جناح،وهو أيضاً يهودي من أهل سرقسطة، كانت له معرفة جيدة بصناعة الطب، فقد ألف فيها كتاب "التلخيص في الأدوية المفردة" وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب، من الأوزان والمكاييل وإضافة إلى عنايته بالطب فقد برع في علم المنطق مع التوسع في علم لسان العرب، واللغة العبرية[5].

ومما سبق يتبين أنهُ كان أيضاً لليهود مشاركة طيبة في علم الطب، وقدموا فيه مصنفات عظيمة، مبنية على التجربة والمشاهدة، وهذا يعطي دليلاً بارزاً على مدى حرية التسامح المطلق الذي شهده اليهود لدى أمراء هذه المملكة الإسلامية.

---

(1) محمد الخطابي: المرجع السابق، 55/1.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص501.

(3) محمد الخطابي: المرجع السابق، 501/1.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص478.

(5) محمد الخطابي: المرجع السابق، 55/1.

2- علوم الرياضيات[*] والحساب[**] والهندسة[***]:

كان علم الرياضيات والحساب والهندسة، من أول العلوم الرياضية، التي عنى العرب بدراستها، فأخذوا الحساب عن الهند وأخذوا الهندسة والفلك عن اليونان[1]، وفي عهد بني هود زاد الاهتمام بالعلوم الرياضية، بل أن مملكة بني هود أصبحت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مركزاً مهماً للدراسات والعلوم الرياضية[2]. وأبو الفضل بن حسداي والذي سبق لي ذكره[****] في رتبة الوزارة، فقد كان أيضاً بارعاً في علوم كثيرة منهما علم العدد والهندسة[3]، ومحمد بن سليمان التجيبي، يكنى أبو عبدالله وهو من أهل سرقسطة، سكن المرية، كان من أهل المعرفة بعلم الحساب، إلى جانب اهتمامه بعلم القراءات والفرائض، وصنف في ذلك كله، توفى رحمه الله تعالى في حدود سنة (530هـ/1135م) [4].

واشتهر كذلك أبو عبدالله بن أحمد السرقسطي، بعلم الأعداد والهندسة والنجوم، توفى رحمه الله سنة (488هـ/1095م) [5].

3- علم الفلك:

عرف هذا العلم بعدت مسميات منها علم الأفلاك، وعلم النجوم، وصناعة

(*) الرياضيات: هي علوم باحثة عن امور يصح تجردها عن المادة في الذهن= طاش كبرى زاده: المصدر السابق، 371/1.

(**)علم الحساب: هو صناعة علمية في حساب الإعداد بالضم والتفريق والتضعيف= ابن خلدون: المقدمة، ص 520.

(***) علم الهندسة: هي النظر في المقادير المتصلة بالخط والسطح والجسم وإما المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية= ابن خلدون: المقدمة، ص.520

(1) علي محمد راضي: الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي، (د.م، 1962م)، ص78.

(2) محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص295.

(****) ينظر ص (117) من هذه الرسالة.

(3) ابن ابي اصيبيعة: المصدر السابق، ص499.

(4) المراكشي: التكملة، السفر 6/ 121.

(5) ابن ابي اصيبيعة: المصدر السابق، ص499

النجوم، وعلم التنجيم، وصناعة التنجيم[1] وقد أهتم العلمـاء المسـلمين بعلـم الفلـك كعـلم، وبحـركات الكواكب كظاهرة علمية لها فوائدها في تحديد المواقع علـى ظهر الأرض، ومعرفة القبلة وحساب الأشهر والسـنين، ومواقيـت الصـلاة والحـج وغيرها من الجـوانب النافعة[2]، وقـد وردا في كتاب الله العزيز الكثير من الآيات الكريمة عن علم الفـلك منها على سبيل المثال قولة تعالى[*] (لاَ الشَّمْسُ يَنُبغَى لها أَن تُدرِكِ القَمَر وَلاَ اليلُ سَابقُ النَّهَارٌ وَكُـل في فَلَكِ يسَـبُحَوُنَ(39))

صدق الله العظيم

وقـد شـهدت مملكة سـرقسطة اهتمـاماً بهذا العـلم، حيـث كـان اولهـم احـمد المـقتـدر بن هود الذي كان عالـماً رياضـياً[3] وفـي ذلـك يقـول المـقرئ "وهل لكم فـي علوم الـنجوم والفـلك مـلك كاالمقـتدر بن هود صـاحب سرقسـطة، فإنـه كان في ذلـك آية"[4]. وابنه يوسـف المؤتمن الذي كـان مـن المشاركيـتن فيـها، حيـث الـف يوسـف المؤتمن كتـاب الأستكمال فـي الفـلك، وقـد درسـه موسـى بـن ميـمون[**]، ووضـع لـه شـرحاً وقـال: انـه جديـر بان يدرس بنفتس العنـاية التـي تـدرس بـه كتـابات

---

(1) ماهر احمد مصطفي: صفحات من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الآداب،(القاهرة، 2003م)، ص171.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، منشورات ذات السلاسل، ط2، (الكويت،1986)،ص110.

(*) الآية رقم (39)، من سورة يس.

(3) ابن خلدون: العبر، 4/ 163.

(4) المقرئ: نفح الطيب، 1/ 153.

(**) هو موسى بن عبد الله بن ميمون القرطبي (529- 600هـ/ 1034- 1203م) درس فـي مـدارس اليهـود والعرب في قرطبة وقد الف بالعربية كتابه المسمى "رسالة في الردة" وقد لقب بأمير مفكري الأندلس= آنخـل بالنيثا: المرجع السابق،ص562.

اقليــدس [*]والمجــريطي[**] [1]. وبـــــهذه المؤلفات ساهم أمراء بني هــود بالأرتقـــاء بعلم الفلك الذي يعد من أهم العلوم العلمية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

الفلسفـــــة:

كلمة يونانية معناها الحكمة، ومنها يستنتج أن الفيلسوف هو الحكيم[2]، وللفلسفة غاية واحدة وهي البحث عن الحقيقة[3]. ولم تحظى الفلسفة في بادئ الأمــر باهتمـــام الباحثين وطلاب العلم بالأندلس بقدر ما لاقتهُ العلوم الأخرى، وذلك لأن الفلسفة تبـــيح التفكير في الوجود والعدم، فنفر منها من أجل ذلك. ويذكر المقرئ أن كل العلوم لهـــا عند الأندلسيين حظ كبير وأعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فيقول: "فإن لهما حظاً عظيمـــاً عند خواصهم، ولا يتظاهر بها خشية العامة.. فإذا قيل أن فلاناً يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلق عليه اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة وأحرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة، وكثيراً ما كان يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت"[4].

وقد شهدت الفلسفة فترات ازدهار، وفترات اضطهاد، حيث ازدهرت في عهـــد الحكم المستنصر، ثم تعرضت للاضطهاد على يد المنصور بن أبـــي عـــامر، حيـــث

(*) اقليدس: هو حكيم يوناني عاش في بلاد الشام، كان نابغة في علم الهندسة والف فيها كتابـــه الشـــهير المعروف بكتاب الأركان، وهو كتاب جليل القدر ولقد قيل ان حكماء اليونان كانوا يكتبون على ابـــواب مدارسهم لا يدخل مدرستنا من لم يقرأ كتاب اقليدس، الذي اشتهر به، هذا وله كتب أخرى منها كتـــاب المناظر وكتاب تأليف اللحون وكتاب المفروضات = القفطي: المصدر السابق، ص62، 63.

(**) المجريطي: هو مسلمة بن احمد المجريطـــي، المولـــود فـــي مجـــريط "مدريـــد" والمتـــوفي عـــام (1008/393م) كان إمام الرياضيين بالأندلس وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم تـــوفي قبيل الفتنة القرطبية سنة (393هـــ/ 1008م) ومن مؤلفاته كتاب الاستطرلاب، وثمار علم العدد وتعديل الكواكب= القفطي: المصدر السابق، 326، 327؛ تقي الدين الدوري: المرجع السابق، ص313.

(1) آنخل بالنيثا: المرجع السابق، ص 266.

(2) علي عبد الله الدفاع: العلوم البحتة في الحضارة العربية، ط2، مؤسسة الرسالة، د.ن، 1982م، 77.

(3) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايـــين، ط2، (بيـــروت، 1979م)، ص81.

(4) المقرئ: نفح الطيب، 205/1.

اضطهد المنصور الفلسفة وأصحابها، وذلك تحبباً إلى عوام الناس، ولم يستثن من فروعها إلا الحساب والطب[1]، وعادت إلى الازدهار في عهد الطوائف، حيث اشتهر في عهد بني هود، أبو بكر محمد بن الصائغ المعروف بابن باجه فهو "فيلسوف الأندلس"[2]. فقد كان ابن باجه كغيره من مفكري العصور الوسطى ملماً بجميع علوم اليونان، وقد ألف عدداً من التصانيف بعضها من وصفه الخاص وبعضها شرح لمؤلفات أرسطو وغيره من الفلاسفة، وأهم ما اشتغل به ابن باجه شرح لمؤلفات أرسطو، ومن ذلك شرحه لكتاب "السمع الطبيعي" لأرسطو طاليس وشرحه لكتاب الآثار العلوية" كما وضع شرحاً لمنطق الفارابي، كما أنهُ ألف عدة كتب منها كتاب "اتصال العقل بالإنسان" وكتاب "تدبير المتوحد" وكتاب "التشوق الطبيعي وماهيتهُ"[3]، ويعتبر ابن باجة أحد العلماء الذين كونت ثقافتهم مرحل انتقال من عصر الطوائف إلى عهد المرابطين[4].

ومما سبق يتبين أنه بالرغم من تاريخ هذه المملكة المليء بالحروب والصراعات الداخلية والخارجية، إلا أنها قد شهدت ازدهاراً أدبياً وعلمياً، في مختلف فروع العلوم النقلية والعقلية، وهذا يعطي دليلاً واضحاً على مدى أصالة الحضارة العربية الإسلامية وقدرتها على التكيف والانسجام حتى في أصعب الأوقات والظروف.

5- علم الموسيقى:

ازدهر فن الموسيقى في بلاد الأندلس منذ طليعة القرن الثالث الهجري/الرابع الميلادي، وأصبح من أكثر وسائل اللهو شيوعاً وتفشياً في المجتمع الأندلسي[5].

ونظراً إلى اهتمام أمراء الأندلس بالموسيقى والغناء، نشطت حركتها في مدن

---

(1) آنخل بالنيثا: المرجع السابق، ص502، 504.

(2) ابن سعيد: المصدر السابق، 119/2.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص515، 516؛ انخل بالنثيا: المصدر السابق، ص382.

(4) عبدالله الزيات: المرجع السابق، ص67.

(5) مصطفى عوض عبدالكريم: فن التوشيح ، قدم له شوقي ضيف، دار الثقافة، (بيروت، 1959م)، ص17.

الأندلس، خاصة بعد دخول علي بن نافع المعروف بزرياب، كما سبق لي ذكره[*] من قبل بلاد الأندلس، في عهد الأمير عبدالله الثاني بن الحكم (238هـ/852م)[1]، حيث أن زرياب أحدث انقلاباً كبيراً في شتى جوانب الحياة الاجتماعية بما في ذلك فن الغناء والموسيقى[2].

وفي عصر الطوائف ازدهرت فنون الموسيقى والغناء، ومن أشهر من اشتهر بهذا الفن أبو بكر بن باجة، وهو من الفلاسفة الذين تخضرموا بين عهد الطوائف والمرابطين[3]، وهو صاحب التلاحين المعروفة[4]، وقد قال عنه المقرئ: "وأما الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجه في ذلك كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر[**] الفارابي، وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس"، التي عليها الاعتماد[5] وقد عاش في كنف أحمد بن يوسف بن هود الملقب بالمستعين آخر أمراء بني هود، وعندما دخل المرابطين سرقسطة سنة (503هـ/1110م)، نال ثقتهُم واتخذه عامل سرقسطة، إبراهيم بن تيفلويت كاتباً له في سنة (508هـ/1114م)[6]. ولا شك أن هذا الاهتمام الذي أولاه ابن باجه بعلم الموسيقى في مملكة سرقسطة واشتهاره بالألحان قد ساهم في تقدم فن الموسيقى وشهرة سرقسطة بها.

(*) ينظر ص(155) من هذه الرسالة.

(1) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود مكي، هامش المحقق رقم (581)، ص435، 458؛ المقرئ: نفح الطيب، 107/3، 110.

(2) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، (القاهرة، 1985م)، ص120.

(3) عبدالله الزيات: المرجع السابق، ص67.

(4) المقرئ: نفح الطيب، 209/2.

(**)هو أبو نصر محمد الفارابي، نسبة إلى فارب وهي بلدة على نهر جيحون، ولد سنة (229هـ/843م)، وهو من أصل تركي، ثم انتقل إلى بغداد ونشأ فيها، ولقد كان عالماً بالفلسفة، توفى رحمه الله في دمشق سنة (339هـ/950م) = أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني: الأنساب، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، (بيروت، 1981م) 212/9؛ بشير التليسي وجمال الذويب: المرجع السابق، ص306.

(5) المقرئ: نفح الطيب، 162/4.

(6) عبدالله الزيات: المرجع السابق، ص67.

الخاتمة

استطعت خلال هذه الدراسة بعون الله تعالى، أن أتوصل إلى عدة نتائج وتوصيات، أوجزها على النحو التالي:

كان للموقع الإستراتيجي المهم لمدينة سرقسطة في شمال شرق الجزيرة الأندلسية دور كبير في تكوينها السياسي عبر تاريخها الإسلامي العريق، فقد شكلت هذه المدينة الثغر الأعلى الأندلسي النائي والمنعزل للدولة الإسلامية والحد الفاصل والمجاور بينها وبين جميع ممالك النصارى الأسبان.

- أتضح من هذه الدراسة، أن أمراء بني تجيب الذين سبقوا بني هود في حكم سرقسطة قد تقلدوا مناصب كبيرة في الجيش، خاصة إبان عهد المنصور بن أبي عامر، حيث تولوا حكم مدينة لاردة وتطيلة بالثغر الأعلى، وفي سنة (403هـ/1012م) عهد إليهم سليمان المستعين بحكم مدينة سرقسطة، وقد بقى في حكمها أميرهم المنذر بن يحيى التجيبي حتى سنة (431هـ/1039م) وذلك بعد مقتله في قصره على يد أحد كبار قواده، الأمر الذي دعا أهل سرقسطة إلى دعوة سليمان بن هود حاكم لاردة إلى حكم سرقسطة.
- تبين كذلك، مدى الدور الكبير الذي لعبه سليمان بن هود، أول أمراء بني هود، في توطيد حكم مملكته الفتية الناشئة، حيثُ عظم أمره واشتهُر ذكره، إلا أنه قد أرتكب خطأ في سياستهُ تجاه جيرانه من أمراء الطوائف، وخاصة أمراء بني ذي النون في طليطلة، حيث دخل معهم في حرب عدائية دامت ثلاث سنوات، الأمر الذي دعا كل منهما إلى الاستعانة بملوك النصارى في الشمال، والذي مهد بعد ذلك لتدخل نصارى الشمال في شؤون الممالك الإسلامية.
- بينت هذه الدراسة أيضاً مدى الخطاء التاريخي الفادح الذي أرتكبه سليمان بن هود قبل وفاته، وذلك بتقسيمه مملكة سرقسطة بين أبنائه الخمسة، الأمر الذي أورث الحقد بينهم، وجعلهم يدخلون في حرب أهلية ضارية، تحمل أهالي مملكة سرقسطة

ويلاتهُا، والتي انتهُت بتولي أحمد المقتدر بن هود حكم المملكة.

- كما أكدت هذه الدراسة مدى الدور الجهادي المشرف الذي قام به أمراء بني هـود وذلك بتعاونهم مع أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين في معركة الزلالقة، حيث وقف الأمير المستعين بن هود بقواته لمراقبة قوى النصارى في الشمال مما حـال دون تقدمهم من وراء جبال البرتات، كما قاموا بمراقبة القوى الصليبية عند نهر الأيبرو، ولقد ساهم هذا الأمر في انتصار المسلمين في معركة الزلالقة المجيـدة، بعـد أن ساهم بني هود بشكل إستراتيجي في كبير تخفيف الضغط على الجيوش الإسـلامية في تلك المعركة، وقد قدر الأمير يوسف بن تاشفين هذا الموقف لبني هـود وذلـك عقب انتصاره في تلك المعركة التي ساهمت في بقاء المسلمين في الأندلس في تلك الفترة التاريخية الحرجة لفترة زمنية طويلة.
- وقد بينت هذه الدراسة أيضاً مدى التنظيم الذي وصلت إليه مملكة سرقسطة عقـب تولي أحمد المقتدر بن هود لحكم المملكة، حيثُ اعتبره بعـض المـؤرخين بأنـه المؤسس الحقيقي لمملكة سرقسطة، وأن المملكة قد شهدت عصرها الـذهبي فـي عهده، حيث بلغت المملكة أقصى اتساع لها، وضمت العديد من الأقاليم، الأمر الذي انعكس على التطور العمراني والحياة الاجتماعية داخل المملكة.
- أثبتت هذه الدراسة كذلك مدى الأزدهار الاقتصادي الذي شهدته المملكة إبان عهـد بني هود، خاصة في مجال الزراعة، وذلك بفضل جودة تربتها ووفـرة مياهـا، وتنوع محاصيلها الزراعية، الأمر الذي أوجد سوقاً رائجـة لتصـدير المنتوجـات الزراعية إلى خارج المملكة والذي ساهم بدوره في دعم خزانة المملكة المالية.
- أما في مجال الصناعة، فقد بينت هذه الدراسة، مدى التقدم الصناعي الذي شـهدته هذه المملكة، وذلك بسبب توفر المواد الخام والتي نجح أهالي المملكة في استغلالها وخاصة في مجال صناعة السفن، وذلك لوجود معدن الخشب بكثـرة فـي مدينـة طرطوشة، إلى جانب وجود معدن الحديد، الذي أسهم في تقدم صناعتها، وقد كـان لهذه الصناعة دور كبير في شهرة سرقسطة الاقتصادية سـواء داخـل الـبلاد أو

خارجها.

- كما أثبتت هذه الدراسة ما تميزت به مملكة سرقسطة من اطلالها على البحر المتوسط، وخاصة بسيطرتهُا على ثغري طرطوشة وطركونة الساحليتين، وكثرة الطرق البرية مع قرطبة وبلنسية، الأمر الذي أسهم في قيام علاقات تجارية مع دول الجوار بل ومع مصر بلاد الشام أيضاً، والتي كان له مردود مادي كبير شكل دعماً لخزانة المملكة.
- وفيما يخص النظم الإدارية، فقد وضحت هذه الدراسة، بأن النظم الإدارية للمملكة لم تكن إلا امتداداً للنظم الإدارية السابقة من عصر الخلافة، حيث أن أمراء سرقسطة، ساروا على نهج التنظيمات الموروثة السابقة، خاصة في مجال الوزارة والكتابة والحسبة والقضاء، فقد حرصوا على أن يكون وزرائهم وكتابهم من الشخصيات المرموقة، وممن اشتهروا بالفطنة والحنكة السياسية، والذين ساهموا بدور كبير في الأرتقاء بالمملكة من الناحية السياسية والإدارية.
- كذلك بينت الدراسة مدى تعدد الأجناس والأعراق البشرية، التي تكون منها المجتمع السرقسطي من عرب ومغاربة ومولدين ومستعربين والصقالبة بصفة خاصة، الذين انصهروا في مجتمع بني هود، خاصة بعد سيطرة أحمد بن هود على إمارة طرطوشة، التي كان يحكمها الفتيان الصقالبة، كما أكدت هذه الدراسة مدى التسامح المطلق الذي حظي به المستعربين واليهود في ظل حكم بني هود لهم، حيث وصل نفوذ اليهود في المملكة إلى أعلى المناصب، حيث ظهر منهم الوزراء والأطباء والعلماء.
- أكدت هذه الدراسة أيضاً عدم اختلاف العادات والتقاليد والاحتفالات الدينية في مملكة سرقسطة عن غيرها من المدن الإسلامية الأخرى، إلا في لباس المأتم حيثُ يلبس أهالي سرقسطة الملابس البيضاء في مثل هذه المناسبات، على خلاف أهالي المشرق الإسلامي الذين يلبسون الملابس السوداء في هذه المناسبات، إضافة إلى ذلك فقد شارك أهالي سرقسطة أيضاً إخوأنهم المسيحيين في احتفالاتهم الدينية الذين

حظوا بسائر الحريات الدينية والفكرية، وهذا دليل على حرية التسامح بين المسلمين والمسيحيين في هذه المملكة الإسلامية.

- تبين أيضاً مدى الاهتمام أولاه أحمد المقتدر بن هود للحركة العلمية والفكرية داخل مملكتهُ، وذلك لأنهُ كان عالماً رياضياً، حيث زخرت المملكة بالعديد من العلماء والفقهاء وأهل الحديث الذين تنقلوا إلى كافة المدن الإسلامية في المغرب ومصر وبلاد الشام والحجاز، وذلك في سبيل طلب العلم وأهله وساهموا بمؤلفاتهم بعد عودتهم إلى المملكة في الارتقاء بالحياة الفكرية وتطورها.
- أتضح أيضاً أن العلوم الأدبية، قد شهدت ازدهاراً كبيراً في مملكة سرقسطة، وخاصة علوم الشعر والأدب وهذا الأمر ينافي الآراء التي ذكرها بعض المؤرخون المحدثون، بان العلوم العقلية كانت الأكثر حظنا وازدهارا.

أما عن أهم التوصيات التي خرجت بها من خلال تناولي لهذا الموضوع فتتلخص في كونه أنه من المتفق عليه تاريخياً أن الحكم الإسلامي لبلاد الأندلس، استمر قرابة ثمانية قرون، منذ فتحها سنة (92هـ/711م) على يد القائد المسلم طارق بن زياد، وحتى سقوط غرناطة سنة (898هـ/1492م) وهي آخر معقل إسلامي يسقط بيد الأسبان.

وقد شهدت الأندلس خلالها أحداثاً وتقلبات سياسية كثيرة، كما شهدت أيضاً قيام أعرق وأرقى حضارة إنسانية عرفتها البشرية في تلك البقعة البعيدة جغرافياً عن المشرق العربي الإسلامي.

ومن المتعارف عليه في قسم التاريخ في الجامعات الليبية، أنه يتم تدريس مادة "تاريخ الإسلام في الأندلس" في السنة الجامعية الثالثة فقط، ومن وجهة نظري الشخصية، فإن تدريس هذه المادة في سنة دراسية واحدة لا تكفي لإعطاء هذه الحقبة الزمنية الطويلة حقها في التدريس، لذلك أرى، أن يتم تقسيم هذه المادة إلى قسمين،(أ) و(ب)، على أن تدرس في السنتين الثانية والثالثة على التوالي، حيث تدرس في السنة الجامعية الثانية مادة تاريخ الإسلام في الأندلس (أ)، متناولة تاريخ الأندلس منذ الفتح

الإسلامي وحتى قيام عصر الطوائف، وتدرس في السنة الجامعية الثالثة مـــادة تـــاريخ الإسلام في الأندلس (ب)، منذ قيام عصر الطوائف وحتى سقوط آخر معقل إســـلامي والمتمثل في مملكة غرناطة، لكي يتسنى للطلاب التعرف على ما قدمتـــه الحضـــارة العربية الإسلامية لبلاد الأندلس وأوربا على وجه الخصوص من عظمة وأزدهار والتي لا يزال أثرها شاهداً على ذلك حتى يومنا هذا.

"وأستغفر الله العظيم من كل خطأ أو زلل"

الباحثة

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- القرآن الكريم "برواية قالون".
- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (م: 659هـ/1260م).
  - § الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة.
  - § المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2008م).
- ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن (م: 630هـ/1232م).
  - § الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، 1992م).
- ابن الأخوة، محمد بن أحمد القرشي (م: 729هـ/1328م).
  - § معالم القربة في أحكام الحسبة، ورد ضمن كتاب التراث الاقتصادي الإسلامي، تقديم عبدالحميد فايد، دار الحداثة (بيروت، 1990م).
- الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس (م: 548هـ/1160م).
  - § نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2002م).
- ابن بسام، أبي الحسن على الشنريني (م: سنة 542هـ/1147م).
  - §الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس، 1981م).
- ابن بشكوال، أبو القاسم، خلف بن عبدالملك (م: سنة 578هـ/1183م).
  - § كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: شريف أبو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2008م).
- أنس بن مالك (م: سنة 179هـ/ 795م).
  - § الموطأ، تحقيق،محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2005م).

- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم، (م: 668هـ/ 1269م).
  - § عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).

- الباجي، أبي الوليد سليمان بن خلف (م: 474هـ/1081م).
  - § أحكام الفصول في إحكام الأصول، تحقيق ودراسة: عمران علي العربي ، منشورات جامعة المرقب (ليبيا، 2005م).
- البكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز (م: 487هـ/1094م),
  - § كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له ادريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية (تونس، 1992م).
- التطيلي، أبي جعفر أحمد بن عبدالله (م: سنة 525هـ/1130م).
  - § ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار الثقافة (بيروت، 1963م).
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أ؛مد (م: 456هـ/1064م).
  1- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر العربي (القاهرة، 2008م).
  2- نقط العروس في تواريخ الخلفاء، مجلة كلية الآداب، تحقيق: شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول (القاهرة، 1951م).
  3- طوق الحمامة في الآلف والآلاف، تحقيق محمد يوسف الشيخ وغريد يوسف الشيخ، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 2008م).
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (م: 380هـ/909م).
  - § صورة الأرض في الطول والعرض (بيروت، بدون تاريخ).
- ابن حيان، أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان (م: 469هـ/1076م).
  1- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي (بيروت، 1965م).

2- المقتبس، نشره شالميتا، المعهد الأسباني العربي للثقافة (مدريد، 1979م).

- ابن حمد يس، عبدالجبار أبوبكر بن محمد (م: 527هـ/1103م).

§ ديوان أحمد ابن حمديس، صححه وقدم له إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1960م.

- ابن الحكم: عبدالرحمن عبدالله (م: سنة 257هـ/870م).

§ فتوح أفريقية والأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع (بيروت، 1964م).

- الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الأزدي (م: 488هـ/1095م).

§ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبيانري، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت).

- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (م: 866هـ/1461م).

§ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة، 1937م).

- الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحمودي الملقب بشهاب الدين (م:626هـ/1228م).

1- كتاب المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، تحقيق محمد الرجب (بغداد، 1846م).

2- معجم البلدان (بيروت، 1979م).

- الخشني، أبو عبدالله محمد بن الحارث بن أسد القيرواني الرومي (م:361هـ/971م).

§ قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة، 1966م).

- ابن خاقان، الفتح بن خاقان (م: 535هـ/1134م).
1- قلائد العقيان، المطبعة الخديوية (القاهرة، 1866م).
2- مطمح الأنفس ومسرح التآنس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1983م).
- ابن الخطيب، لسان الدين (م: 776هـ/1374م).
1- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ليفي بروفنسال، دار المكشوف (بيروت، 1956م).
2- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية (القاهرة، 1347م).
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (م: سنة 808هـ/1405م).
1- المقدمة، اعتنى به هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، 2007م).
2- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي (لبنان، 1971م).
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس (م: سنة 681هـ/1282م).
§ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، 1968م).
- ابن خير، أبو بكر بن محمد الاشبيلي، (م: 593هـ/ 1196م).
§ فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وضع حواشية، محمد فؤاد منصور، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1998م).
- ابن دحيه، أبو الخطاب، عمر بن حسن السبتي البلنسي (م: سنة 633هـ/1235م).

§ المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، المطبعة الأميرية (القاهرة، 1954م).

- الذهبي، شمس الدين بن عثمان (م: سنة 748هـ/1374م).

1- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، 1994م.

2- سير أعلام النبلاء، تحقيق عمر عبدالسلام تدميري، (بيروت، 1997م).

- الزهري، محمد بن أبي بكر (ت: في أواسط القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلادي).

§ كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د.ت).

- ابن ابي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي: (م: 726هـ/ 1325م).

§ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط، 1962م).

- ابن زيري، عبدالله بن بلقين (م: سنة 483هـ/1090م).

§ مذكرات الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري بغرناطة، المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال، تقديم سليمان العطار، دار المعارف (القاهرة، 2008م).

- أبي زرعة، عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (من مخضرمي المائتين الرابعة والخامسة للهجرة/القرن العاشر – الحادي عشر الميلادي).

§ حجة القراءات، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي، 1974م).

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (م: سنة 685هـ/1286م).

§ المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة، د.ت).

- ابن سماك، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي (م: في النصف الثاني من القرن الثامن الهجي/الرابع عشر الميلادي).

§ الزهرات المنثورة في نكتب الأخبار المأثورة، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2004م).

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (م: سنة 911هـ/1505م).

§ تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، ط2، الناشر مكتبة نزار مصطفى البان (الرياض، 2007م).

- السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (م: سنة 626هـ/1228م).

§ مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده (مصر، 1937م).

- السمعاني، أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (م: سنة 562هـ/1161م).

§ الأنساب، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، (بيروت، 1981م).

- الصدفي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/1362م).

§ الوافي بالوفيات، اعتنى به محمد بن محمود، إبراهيم بن سليمان، دار صادر (بيروت، 1970م).

- الأصطرخى، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (م: في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

§ المسالك والممالك، تحقيق: محمد جبار، مراجعة شفيق غربال (القاهرة، 1961م).

- الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (م: سنة 599هـ/1203م).

§ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة المصرية (صيدا، 2005م).
- طاش كبرى زادة (م: سنة 968هـ/1561م).
§ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وآخر، دار الكتب الحديثة (القاهرة، د.ت).
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (م: سنة 520هـ/1126م).
1- سراج الملوك، تحقيق: نعمان الصالح نعمان، دار العاذرية للنشر والتوزيع (الرياض، 2005م).
2- الحوادث والبدع، دار الكتب العلمية، تحقيق: نعمان الصالح نعمان، (بيروت – لبنان، 2003م).
- ابن عبدون، محمد أحمد التجيبي (م: في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).
§ ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة، 1955م).
- ابن عذاري المراكشي محمد المراكشي (م: أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي).
§ البيان المغرب في ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: ج، س، وليفي بروفنسال، ص2، دار الثقافة، بيروت، 1980.
- عياض، القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (م: سنة 544هـ/1159م).
§ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وجمعه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية (بيروت، 1998م).

- ابن عبدربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (م: سنة 328هـ/939م).
  - § العقد الفريد، تحقيق: محمد شاهين، ط2، المكتبة المصرية (صيدا – بيروت، 1999م).
- العذري، أحمد بن عمر (م: سنة 478هـ/1085م).
  - § نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبدالعزيز الأهواني، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، 1965م).
- ابن عمر، أبو زكريا يحيى (م: سنة 289هـ/902م).
  - § كتاب أحكام السوق، تحقيق: محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2004م).
- ابن العوام، يحيى بن محمد الإشبيلي (عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي).
  - § كتاب الفلاحة، ترجمة: دون جوزيف انطونيو، مطبعة مدريد الملكية (مدريد، 1082م).
- ابن غالب، الحافظ محمد بن أيوب (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).
  - § كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول (القاهرة، 1955م).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (م: سنة 732هـ/1331م).
  - § كتاب المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د. ت.
- القزويني، زكريا بن محمد محمود (م: سنة 682هـ/1283م).
  - § أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (م: سنة 821هـ/1418م).

§ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه نبيل الخطيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر (1407هـ/1987م).

- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (م: 646هـ/1248م).
§ كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى (القاهرة، د.ت).
- ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي (م: 809هـ/1407م).
§ كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت، 1983م).
- ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد (م: سنة 628هـ/1231م).
§ جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس (الرباط، د.ت).
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن مزاحم (م: سنة 368هـ/977م).
§ تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1982م).
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (م: سنة 774هـ/1372م).
§ البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر (الرياض، 1966م).
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك التوزري (عاش في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).
§ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد،

1971م).
- أبن المعسكر، ابي الراس محمد بن الناصر، (م: سنة، 1149هـ/ 1735م).
§ الحلل السندسية في شان وهران الجزيرة الاندلسية، تحقيق: سليمة بنعمر، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،(طرابلس، 2002م).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (م: سنة 450هـ/1058م).
§ الأحكام السلطانية والولايات الدينية جمع بين المسائل الشرعية والسياسية، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث (القاهرة، 2006م).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (م: سنة 261هـ/874م).
§ صحيح مسلم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع (القاهرة، 2005م).
- المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (م: سنة 1041هـ/1631م).
1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1968م).
2- أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه إبراهيم الإبياري ومصطفى السقا وعبدالحفيظ شلبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1994م).
- المالقي، أبو الحسن بن علي (م: أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي).
§ تاريخ قضاة الأندلس، "المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه: صلاح الدين الهواري، المكتبة المصرية (صيدا – بيروت، 2006م).

- مجهول.
§ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الفرجاني (القاهرة، 1994م).
- مجهول.
§ الحلل الموشية في ذكر الأخبار الماركشية، تحقيق: سهيل زكار، وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء، 1979م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن العباس (م: سنة 845هـ/1441م).
§ إغاثة الأمة بكشف الغمة، قدم له وعلق عليه: ياسر سيد صالحين، مكتبة الآداب (القاهرة، 1999م).
- المراكشي، ابن عبدالله عبدالملك (م: سنة 703هـ/1304م).
§ الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، 1973م).
- المراكشي، عبدالواحد علي التميمي (م: سنة 669هـ/1271م).
1- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم، دار الفرجاني (القاهرة، 1994م).
2- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 1997م).
- المكناس، أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بالقاضي (م: 960هـ/1052م).
§ درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، ودار المكتبة العتيقة (تونس، 1970م).
- المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (م: سنة 380هـ/990م).
§ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2 (ليدن،

1909م).
- الناصري، أحمد بن خالد السلاوي (م: سنة 1251هـ/1835م).
§ الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (الدار البيضاء، 1954م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (م: سنة 732هـ/1331م).
§ نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1980م).
- الونشريسي، أحمد بن يحيى (م: سنة 914هـ/1508م).
§ المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1980).
- اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر (م: سنة 283هـ/ 895م).
§ تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، 1960).

ثانياً: المراجع:

- إبراهيم، رجب عبد الجواد: ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دار غريب (القاهرة، 2001م).
- أبو الفضل، محمد أحمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1996م).
- أبو مصطفي، كمال السيد- 1- بحوث ودراسات في تاريخ الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1997م).

2- تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية، د.ت).

3- تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مكتبة ومطبعة الإشعاع (الإسكندرية، د.ت).

- أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).
- أمين، أحمد: ظهر الاسلام، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1969م).
- التليسي، بشير،وجمال الذويب: تاريخ الحضارة الإسلامية،دار المدار الإسلامي (بيروت، 2002م).
- التواتي، عبد الكريم: مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد، (الدار البيضاء، 1979م).

- حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ط13- دار الجيل، بيروت، ومكتبة الثقافية المصرية، (القاهرة، 1991م).

-حومد، أسعد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت،1980م).

- الخطابي، محمد العربي: الطب والأطباء والأندلس الإسلامي "دراسة وتراجم ونصوص"، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1982م).

- خالص، صلاح : التاريخ السياسي لشبيلة في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة (بيروت، 1981م).

- خطاب، محمود : قادة فتح المغرب العربي (بيروت، 1966م).

- خلاف، محمد عبدالوهاب: تاريخ القضاء في الأندلس "من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي"، المؤسسة العربية الحديثة (القاهرة، 1992م).

- الدفاع، علي عبدالله : العلوم البحتة في الحضارة العربية، ط2، مؤسسة الرسالة، (د.ن،1982م).

- الدوري، تقي الدين عارف: تاريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس، منشورات، جامعة ناصر (الخمس، 1997م).

- دندش، عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1976م).

- دندش، عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1976م).
- دولت، احمد صادق وآخرون: جغرافية العالم "دارسة إقليمية"، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، 1959).
- راضي، علي محمد : الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي، (د، ن، 1962).
- رمضان، عبد العظيم : الصراع بين العرب وأوربا، دار المعارف، (القاهرة، د ت).
- الزيات، عبد الله محمد : رثاء المدن في الشعر الأندلسي، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي، 1990م).
- زغلول، سعد عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي، منشاة المعارف للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1995م).
زيادة، نقولاً-
1- الحسبة والمحتسب في الإسلام، المكتبة الكاثولكية، (بيروت،1992م).
2- الجغرافية والرحلات عند العرب دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1967).
- زيدان، جورجي :تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، (بيروت، 1935م).
سالم، السيد عبد العزيز، 1- المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1986م).
2- بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1991م).
3- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1972م).
4- تاريخ مدينة المرية الإسلامية " قاعدة أسطول الأندلس)، دار النهضة العربية، (بيروت، 1969م).
5- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 1985م).

6- قرطبة حاضرة الخلاقة الأموية بالأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1972م).
سيسالم، عصام سالم: جزر الأندلس المنسية "التاريخ الإسلامي لجزر البليار" دار العلم للملايين، (بيروت، 1984).
- سلامة، إبراهيم عبد المنعم: وصاياً الدفن عند المسلمين في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، (الإسكندرية،2005م).
- الشطشاط، علي حسين : 1- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، 2001م).
2- تاريخ الجراحة في الطب العربي من القرن الثالث- السابع الهجري/ التاسع- الثالث عشر الميلادي، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي،1999م).
3- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة،2001م).
4- نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة،2001م).
- الشطبي، احمد شوكت : العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق،1970م).
- شعيب، عبد الواحد : دور المرابطين الجهاد في الأندلس، (468- 430هـ/ 1086-1197م) منشورات، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (طرابلس، 1990م).
شلبي، سعد إسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، "عصر ملوك الطوائف" دار النهضة العربية، (القاهرة، 1987م).
- الصالح، صبحي :النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، (القاهرة، 1969م).

- الصلابي، علي :الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامي، (القاهرة، 2003م).
- الطيبي، أمين توفيق: دارسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب ، (تونس، 1984م).
- طقوش،محمد سهيل - 1- تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، (لبنان،2005م).
2- التاريخ الإسلامي الوجيز- دار النفائس، (بيروت،2006م).
- الطباع، عبد الله أنيس: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، دار زيدون، (بيروت، 1986م).
- طرخان، إبراهيم : دولة القوط الغربيون، (القاهرة، 1959م).
- طه، عبد الواحد ذنون 1- الفتح والأستقرار العرب في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، (بيروت، 2004م).
- العبادى، احمد مختار 2- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية،2003م).
عبد البديع، لطفي: الإسلام في اسبانياً، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة،1969).
- عاصي، ميشال: الشعر والبيئة في الأندلس، (بيروت، 1970م).
- عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون-
دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ط2، منشورات، ذات السلاسل، (الكويت، 1986م).
- عبد الكريم، مصطفي: فن التو شيح، قدم له شوقي ضيف، دار الثقافي،(بيروت ،1957م).
- عبد الحليم، رجب: العلاقات بين الأندلس واسبانياً النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، (القاهرة،د.ت).

- عباس، رضي الهادي: الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، منشورات، ألجا، (مالطا، 1998م).
- عتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت،1976م).
- عويس، عبد الحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، مكتبة الزهراء، للإعلام العربي،(القاهرة،2000م).
- عيسى، محمد عبد الحليم: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي،(القاهرة، 1982م).
عنان، محمد عبد الله 1- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانياً والبرتغال، ط2، مؤسسة الخناجي، (القاهرة، د ت).
2- دولة الإسلام في الأندلس منذ الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الأول، مؤسسة الخناجي، (القاهرة،1960م).
3- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح ا لمرابطي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2003م).
علي، إبراهيم: النظم المالية في الإسلام، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة،1972م).
غالب، جهاد: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة، مركز الأفق، (الأردن، 2001م).
- فروح، عمر : تاريخ الفكر العربي أي أيام ابن خلدون، ط2- دار العلم للملايين، (بيروت، 1995م).
- القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة،(بيروت،1995م).
قجة، محمد حسن: محطات أندلسية، دراسات في التاريخ والآداب والفن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (السعودية،1985م).
الكروي، إبراهيم وعبد التواب شرف الدين:الحضارة العربية، ذات السلاسل،(الكويت، 1984م).

كحيلة- عمر مصطفي: تاريخ الصقالبة في الأندلس، مركز البرانس للطباعة، (د، ن، 1979م).

المنجد، صلاح الدين: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، (دار الكتاب الجديد، د.ت).

المصري، عبد الحليم: مقومات الاقتصاد الإسلامي، (القاهرة، 1975م).

محمود، حسن إبراهيم: قيام دولة المرابطين "صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصر الوسطى، (القاهرة، 1957م).

محمد- علي جمعة: المكاييل والموازيين الشرعية، القدس للإعلان والنشر، (القاهرة، 2001م).

محمد، سامية مصطفى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة،مكتبة الثقافة الدينية،(القاهرة،2003).

محمد، سعيد محمد: دراسات في الأدب الأندلسي ، منشورات جامعة سبها ،(ليبيا،2001).

- مرزوق، محمد عبد العزيز: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس،دار الثقافة الإسلامية،(بيروت،د.ت).

مصطفي ،ماهر أحمد: صفحات من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الآداب ،(القاهرة،2003م).

منصور، محمد صالح: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالأندلس، " يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف"، منشورات جامعة بنغازي، (بنغازي، 1995م).

- مكي، الطاهر احمد: ملحمة السيد، دار المعارف، (القاهرة،1995م).
- نصر الله، سعدون: تاريخ العرب السياسي في الاندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1998م).

- هيكل – احمد:الأدب اللأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلاقة، دار المعارف،

(القاهرة، 1985م).

ب- المراجع المعربة:

- اينهار: سيرة شارلمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه عادل زيتون، دار حسان للطباعة (دمشق، 1989م).

- أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبدالله عنان، (تطوان، د.ت).

- بالنثيا، آنخل: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله إلى العربية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2006م).

- بلباس، توريس: الأبنية الإسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ترجمة: علية إبراهيم (مدريد، 1953م).

- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيلة أمين فارس، دار العلم للملايين، ط6 (بيروت، 1974م).

- بروفنسال، ليفي:
  - الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز السالم وآخرون، مؤسسة شباب الجامعة (القاهرة).
  - حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار الحياة (بيروت، د.ت).

- بيرس، هنري: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة أحمد مكي، دار المعارف (القاهرة، 1988م).

- دينت، دانيل: الجزية والإسلام، ترجمة: فوزي فهيم جادالله، راجعه: إحسان عباس (بيروت، 1960م).

- غليك، توماس: التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، ضمن كتاب: سلمى الجيوسي، الحضارة الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت،1998م).

- رينهرت دوزي:

- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة).

- مورينو، مانويل جوميث: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد عبدالعزيز سالم (القاهرة، 1968م).

ثالثاً: الدوريات:

- العبادي، أحمد مختار: الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد العاشر، 1979م.
- سرور، إسماعيل: الطب العربي في نظر العلماء والمؤرخين، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان ، الجزء الخامس (دمشق، 1922م).
- طه، عبدالواحد ذنون: التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثلاثون (العراق، 1986م).
- عبادة، عبدالفتاح: "الشرطة" البوليس عند العرب، مجلة الثقافة، العدد الخامس (دمشق، 1961م).
- عزالدين، حبيب مصطفى: الحسبة على الأطباء والصيادلة، مجلة الثقافة العربية، العدد 284 (بنغازي – ليبيا، 2007م).
- علي، محمد كرد:
  - غابر الأندلس وحاضرها، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثاني، الجزء الخامس (دمشق، 1922م).
  - كتاب في الحسبة، مجلة الثقافة، العدد الأول، السنة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1939م).

- عرفة محمود،: خطة الشرطة بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر، مجلة المؤرخ المصري، العدد الحادي عشر (القاهرة، 1993م).

- كرنوس، محمد: شريعة الحسبة في الإسلام، مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني،

السنة الثامنة، دار الكتاب العربي (القاهرة، 1954م).
- مؤنس، حسين: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 1992م).

رابعاً: معاجم اللغة:

- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ط2 (بيروت، 1987م).
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، ط3، دار الفكر ودار صادر (بيروت، 1994م).
- خيرالدين الزركلي: الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (بيروت، 1992م).
- محمد مرتضى الزبيدي: تاريخ العروس، دار صادر (بيروت، د.ت).
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، دار الجيل، (بيروت، د.ت).

خامساً: الموسوعات والأطالس ودوائر المعارف:

- البستاني، بطرس: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة (بيروت، دت).
- سالم، السيد عبدالعزيز: دائـــرة معارف الشعب، مطابع الشعب (القاهرة، 1959م).
- مؤنس، حسين: موسوعة تاريخ الأندلـــس، مكتبة الثقافة الدينيـــة (القاهرة، 1996م).

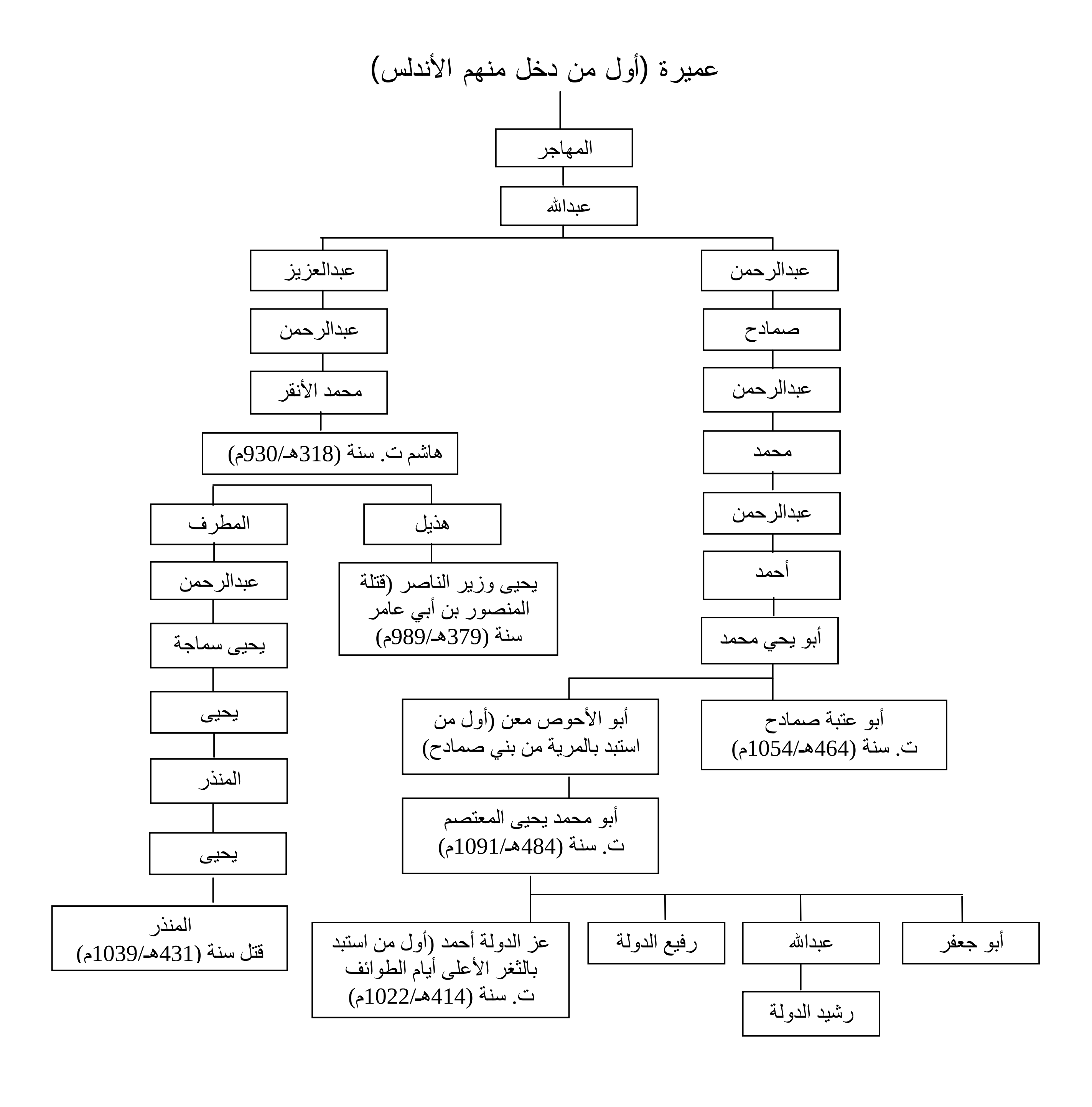
سادساً: الرسائل العلمية:

- أبو صاع، حنان علي: قرطبة في ظل بني جهور (422-1031هـ/462-1070م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس (بنغازي، 2007م).

- البرغثي، يوسف حسن: المظاهر الحضارية لدولة المرابطين في المغرب والأندلس (484-541هـ/1091-1146م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008م.
- العبار، نجاة امراجع: القضاء في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/775-1031م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بنغازي،(بنغازي، 2009م).
- داوود، عبدالنبي علي: دولة بني هود في سرقسطة "دراسة في التاريخ السياسي" رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الإسكندرية، 1992م).
- النيهوم، هدي حسن: دور الصقالبة في الأندلس منذ عصر الإمارة حتى نهاية عهد الطوائف الأول (180-468هـ/796-1076م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس (بنغازي، 1998م).

الملاحق

ملحق رقم (1) (*)

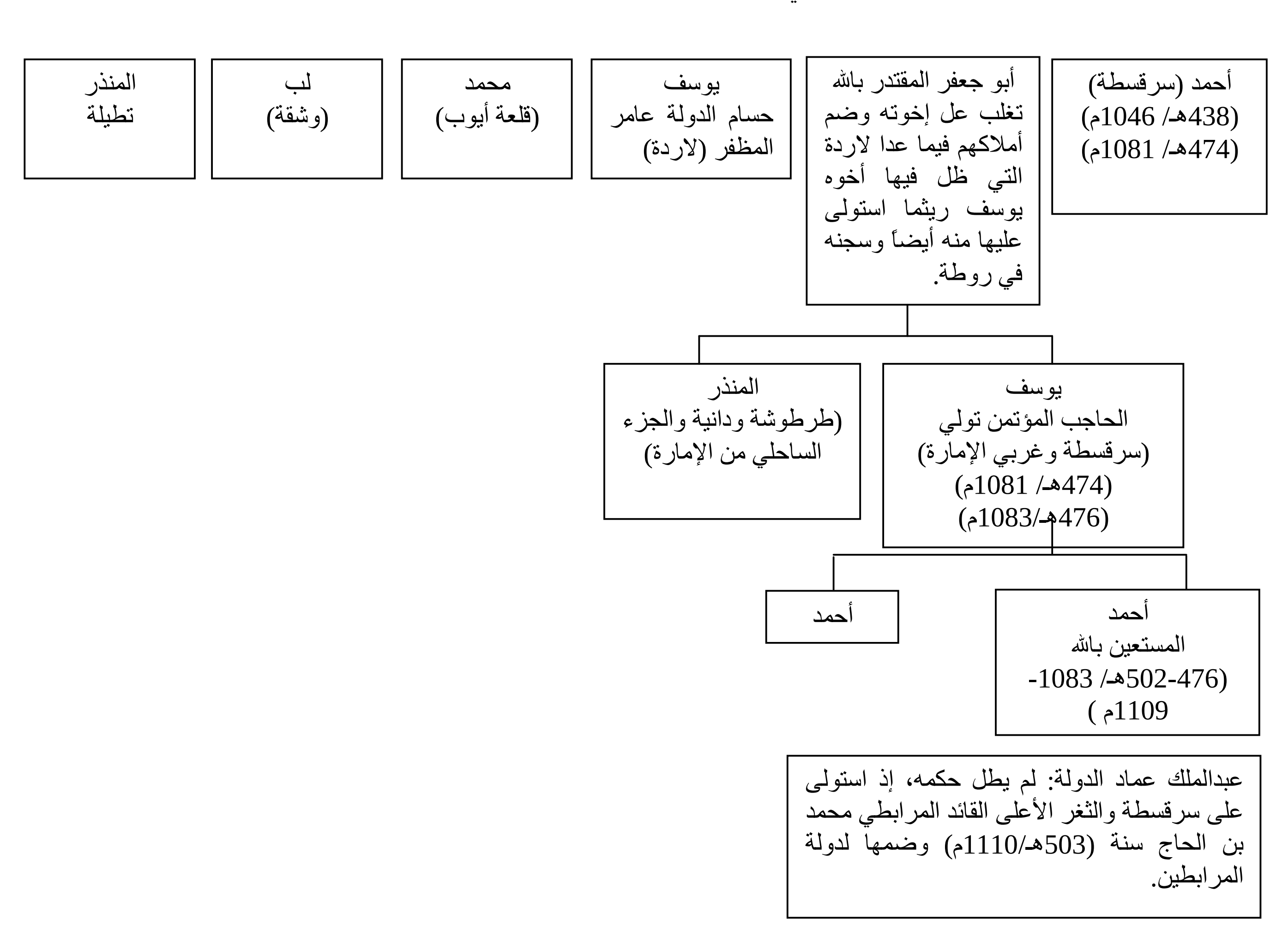


(*) نقلاً عن ابن الآبار: الحلة السيراء، 2/ 80.

ملحق رقم (2) (*)

أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (431، 438هـ/ 1039، 1046م)

كان من كبار وجوه الجنود بالثغر الأعلى، وعند قيام الفتنة استولى على لاردة سنة (431هـ/ 1039م)، ثم دخل سرقسطة وأصبح صاحب الثغر الأعلى كله سنة (438هـ / 1046م) وعند موته فرق بلاد الثغر الأعلى على أولاده الخمسة كما يلي:



(*) نقلاً عن ابن الآبار: الحلة السيراء، 2/ 245.

ملحق رقم (3) (*)

رسالة جوابية من يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله بن أحمد بن هود حملها إليه ابنه عماد الدولة بن هود الذي أرسله والده إليه لزيارته في مراكش.

من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين، إلى حضرة المستعين بالله أ؛مد بن هود، أدام الله تأييده، من حضرة مراكش حيث تتلى آيات شرفك، ومآثر سلفك، ونحن نحمد الله بجميع المعامد، ونستهديه أحسن الموارد، ونسأله أتم الفوائد، وأنجح المقاصد، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، صفوة أوليائه، وخاتم أنبيائه، وأما الذي عندنا – أيدك الله – لجانبك الكريم وبحرك الطامي، ومجدك الصميم المعلوم – فود صريح، وعقد – في ذات الله تعالى – صحيح ووردنا نشأة السيادة والنبل والنباهة والفضل، أبو مروان عبدالملك، ابنك ولادة وتنسباً، وابننا وداداً وتقرباً، زاد الله به عينك قرة، ونفسك مسرة، ومعه خاصتك الوزيران(**): أبو الأصبغ، وأبو عامر، أكرمهما الله بتقواه، وكلاً وفينا حق نصابه، وآتينا بره من بابه، وأديا إلينا كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور، فوقفنا منه على وجه شخوصهما، وأصفينا في تفعيل حملته إلى تخليصهما، فألقينا إليهما مراجعة في ذلك ما لقنوه وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه، وحملته الوفاق، وجماعة الانتظام في سك ما يرضي الله تعالى والأنساب، إن شاء تعالى، والسلام.

(*) مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص75.

(**) اطلعت على كتب التراجم والأدب ولم اعثر لهما على أية ترجمة .